faldabos.org

مختارات الخواطر

تقوم ميكرزان

الجزء الأول

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

مختارات الخواطر

مجموعة مقالات اجتماعية وطنية
كانت تظهر في الهدى تحت عنوان «خواطر»

بقلم

نعوم مكرزل

منشىء جريدة الهدى اليومية في نيويورك

الجزء الاول

مطبعة الهدى - نيويورك - سنة ١٩٣٢
Al-Hoda Press, 55 Washington St, New York.

نعوم مكرزل
١٨٦٤ - ١٩٣٢

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

مقدمة

هذي «الخواطر»

وحيفٌ ان يليَ امرؤ وصف «الخواطر» تقديماً الى القراء وتعريفاً، وهي اقدم من ان تقدّم، واعرف من ان تعرّف.

سطعت تاجاً على مفرق ام الجرائد العربيّة في المهاجر الأمريكية

ولمعت وساماً على صدر «الهدى» زمناً غير يسير

ودارت سلافاً على ندامى الأدب فاخذتهم هزّة الطرب!

فمن لم يوسر بحيّاها!

ومن لم يسكر بحميّاها!

«الخواطر» التي انثرت نثوراً على صفحات «الهدى» خمسة وثلاثين حولاً، وسفرت بدوراً ثم اختبأت في ظلال الورق، قد شاء واضعها، غفر الله له، ان ينظمها عقوداً، في جيد اللغة، وينشرها بنوداً، خواطرَ في مجال البلاغة، سوافرَ في سماء البيان،

فكان هذا الكتاب، الاولَ من «مختارات الخواطر»

**

ضمّ بين حاشيتيه، فيما ضمّ، اول مقالة خطّها صاحب «الهدى» في صدر «الهدى» ـ وآخر مقالة حبّرها على متن البحر، في رحلته

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

الاخيرة الى باريس فكانت آخر مرحلة له، حطت به على شواطىء الابدية.

في مقالته الاولى «الى الاتحاد حاجتنا» وفي مقالته الأخيرة «طفل امة» نسق واحد وروح واحد ونفس واحد حتى ليستغرب المطالع المطّلع على «الخواطر» في أدوارٍ متباينة متباعدة، هذه الوحدة العجيبة في اسلوب صاحب الخواطر ويعجب كيف ان ملكة الكتابة قد ملكت عليه قيادَ اليراع، فلم يتحول عن هذا النهج الذي اختطه لنفسه واختصّ بذاته، لم يتابع فيه غيره من الكتّاب، ولم يخرج عنه طول حياته.

الا قل انه المعدن الصافي الثمين يستخرج منه لكل موضوعٍ صيغةً تليق له ويلبسه ثوباً يليق به، فاذا هو موسوم بسمه!

خذ مقالاً غفلاً، لكاتبٍ، وتكون قد قرأت له ولغيره من الكتّاب، اقوالاً، واتبه، فانه لا يشقّ عليك ان تنسبه الى هذا او ذاك. ولكنك قد تخطىء او تصيب. فطالما تشابه الكتّاب في طرائقهم واساليبهم. ولكنك اذا قرأت لصاحب «الخواطر» ثم دُفع اليك مقالٌ من قلمه، غفلٌ وقرأته وقيل لك انسبه، فانك لا تلبث ان تقول فوراً: هذا لصاحب الهدى. ولا تخطىء، انه له.

اجل! ان له طابعاً خاصاً يُعرف به ولو اختلفت المواضيع وتشعبت المباحث.

ومن كصاحب الهدى تناول كلّ موضوعٍ وكتب في كل

شأنٍ من شؤون الحياة، لم يترك باباً من ابواب الكلام الا ولجه، ولا فناً من فنون الإنشاء الا عالجه، على طريقته. وكان في كلها موفقاً.

***

هل سمعته، في حفلٍ كبيرٍ او في حلقة صغيرة يخطب؟ انه في كلتا الحالتين تراه قد وقف وتكلم مشتدّاً معتدّاً، يتدفق الكلام منه متقطعاً. كأنّ ما في نفسه من رأيٍ او قصدٍ او مبدإٍ يريد ان ينفذه الى السامعين شديداً فيخرج من صدره ناراً وشراراً!

وكما يخطب يكتب!

هل دخلت يوماً عليه في مكتب الهدى. ورايت تلك الورقات البيضاء موضوعة امامه مهيأة للكتابة، ملساء ناعمة. فاذا بدأ يكتب «الخواطر» وقد امرّ على الورقة قلمه الرصاصيّ، وغالباً ما كان يكتب به، رايت على الصفحة خدوداً، أثرها نافذٌ الى الورقات التي تلي. حتى لو انك انعمت النظر في الورقة التالية تحاول معرفة الأثر عليها لاستطعت، على سهولةٍ، قراءة ما كتب.

هذا شأنه في الخطّ، دليل العزم المتين يسيل حتى من أنامله على خدود الورق الناعم!

وطريقته في الكتابة، أنه اذا كتب، لم يعمل برأي الشاعر الفرنسوي الشهير بوالو اذ قال: «اكتب وصحّح ثمت اكتب وصحّح» فهو ينطلق في الكتابة كأنه ينسخ عن كتابٍ امامه فيجيء المقالة الطويلة تستغرق صفحةً من الهدى كبيرة او صفحتين، ولا

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

يمحو كلمةً ولا يبدّل لفظةً الاّ نادرًا فهو حاضر الخاطر، سريع البيان، تنقاد له نواصي الكلام طوعاً وتسير على حدّ يراعته جوادي الالفاظ عفوًا، على مثال ما ذُكر عن الكاتب البولندي الشهير هنريك سنكافيتش، صاحب «كوفاديس» فقد كتب تلك الرواية الكبيرة الغراء لم يبدّل سطرًا بسطرٍ الا قليلاً. ولما سئل في ذلك قال: «اني اعيد النظر في كتابتي، في دماغي، وانا اتمشى.»

على ان كثيرين من الكتّاب المشهورين لا يعملون بهذه الطريقة. فقد عرفت منهم الشيخ يوسف الخازن المعدود من شيوخ الصحافة وارباب اليراعة، انه اذا عمد الى الكتابة يخطّ سطرًا او سطرين او ثلاثة فلا تروقه فيمزق الورقة ويعود الى الكتابة فالتمزيق مئتي وثلاث ورباع حتى تستقيم له العبارة فيذهب فيها الى النهاية - وهو مقلّ مجيد - فتأتي كتابته مجلوّة كالحسناء مصقولة كالمرآة.

وصاحب «الخواطر» يكتب اينما كان، في المكتب، وفي البيت، وفي القطار، وعلى الباخرة، ولا تخونه الذاكرة، ولا يعييه البيان.

وانشاؤه جزلٌ، مرسلٌ عفوَ الخاطر، طليقاً، نفّاذًا وثّاباً، فيه شدّةٌ وبأسٌ، وقوة وعزم واقناع وايجابٌ. وجملة القول: إنه يكتب «كمن له سلطان»

وفي هذا، سر تأثير كتابته، ونفوذ كلمته،

قال مرّةً، وكثيرًا ما كان يتعاشى الادلال والافتخار بآثاره كتابته، يقولون اني في قلمي خشنٌ قاسٍ. فانا لا انكر اني كذلك،

ولكنّ شأني في قومي وعشيرتي شأن الطبيب العليم الغيور فهو لا يتأخر عن البضع يرافقه الألم وسيل الدم، رغبةً منه في سلامة الجسم. ولو كان قومي على غير ما هم لكنتُ غيرَ ما كنتُ.

***

أقف، في هذه العجالة، عند هذا الحدّ، اكتفي بما اوردتُ من هذه التتف، عن صاحب «الخواطر» المغفور له، بياناً واذكارًا.

نيويورك «منصفان»

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

ترجمة نعوم مكرزل

ان الآداب العربية، على وفرة ما فيها من كتب التراجم والسير، لجدّ مفتقرة الى ترجمة اعلامها القدماء والمحدثين على اسلوب جديد يكشف القناب عن شخصية المترجم ويدرس اخلاقه وبصف الاطوار المختلفة من حياته. فقد اقتصرت معظم كتب التراجم قديماً وحديثاً على سرد بعض الحوادث الهامّة من سيرة المشاهير ونسبهم ومولدهم ومكان وفاتهم وضبط اسمائهم بالشكل مع ايراد بعض اقوالهم من نعر ونثر. وما ذلك بموصل الدارس الى غرضه، او بكاف الطالب موونة فهم تاريخ العظام والاعتبار بحياتهم واطلاع من يأتي بعدهم على حقيقة حالهم.

ليس القصد من تدوين السير ذكر محاسن كل شخص وما يليق بالمترجم من مكرمة، او نادرة، او نعر لتفكّه به متأمله، كما ذكر ابن خلكان في مقدّمة كتابه «وفيات الأعيان»، بل جلاء شخصية المترجَم ودرس حياته بما فيها من محاسن ومساوئ، ليكون ذلك تذكرة وتبصرة لأولي العقول المستبرة. وقد تقدمنا الغربيون في هذا المضمار ووفوا فنّ الترجمة حقّه.

فكان يجب اذاً، وقد ادركنا مواطن الضعف في طريقة التراجم القديمة، ان نقتفي آثار الغربيين في مسالك الترجمة وان نقتدي بهم حين اقدم اليراع على حطّ العنوان في محاولة ترجمة صاحب هذا الكتاب الطيّب الذكر نعوم مكرزل. ولكن ضيق الفسحة المحدودة في مقدّمة نظر وُضع لجمع المختار من خواطر الكاتب لا لدرس سيرته يرغمنا على الالتجاء الى اختصار ما كنّا لنقيل به ومجال القول ذو سعة، ولذلك نكتفي بايراد الحوادث الجديرة بالذكر في حياته بايجاز، وتعداد اهمّ مآثره، مع المامة في بعض المواقف على مناحي اخلاقه وشخصيته.

واشهى ما تعلّق النفس به من الآمال ان يقوم احد معاصريّ الفقيد

فيوفيه حقه من الترجمة في مؤلف مستفيض يكون مشكاة انوار يطلع بها كل من امعن النظر وتفكر على دقائق شخصية كبيرة وصور اخلاق بارزة وتفاصيل اطوار حياة ادبية وسياسية واجتماعية حافلة بعظائم الرغائب والأعمال. نودّ ان يتم ذلك قبل ان يسرع الزمن في طيّ من شهدوا جهاده وحفظوا في اقداس قلوبهم ذكريات ما عرفوه عن حياته الخصوصية والعمومية لئلاّ يسدل الزمن سجوفه على ما يجب ان يعرفه الملأ عن نعوم مكرزل امام الصحافة العربية في امريكا ومذكي نار الوطنية اللبنانية في قلوب المهاجرين. ولئلاّ يغيب عن بصيرة الخلف مظهر جليل باهر من مظاهر العبقرية الشرقية في ديار الهجرة.

ولعمر الحق ان ما فعله نعوم مكرزل في ٦٧ عاماً من حياته ليعجز ان يحيط ببعضه الكاتب الماهر في مجلدات فكيف بصفحات قليلة لا تتسع سوى خطوط ورسوم ضئيلة من صور حياته الزاهرة. الا ان السنين لتضيق بالمؤرخ الأمين في تدوين ما لا يجب ان يعفو من آثار عظيم ملأ الكون ضجة مستجة والدنيا عملاً صالحاً نافعاً.

*

وُلد نعوم مكرزل في ٢ آب سنة ١٨٦٤ في قرية الفريكة من ابوين هما الخوري انطون مكرزل وبريارة عقل مكرزل.

بقعة شريفة منيفة قرية الفريكة في مديرية الغاطع من قضاء المتن في لبنان ـ كمش النسر في كنف الجبل المطل على الوادي الجميل ـ فلا غرو ان خرج منها احد فشاعم لبنان.

واسرة مكرزل من الأسر اللبنانية العريقة في النسب يرجع تحدرها من المردة ومنبتها شمالي لبنان. وقد استوطنت القاطع منذ مئات السنين وكان احد عمدها يزيك مكرزل من متابع بيت شباب من موقعي الجمع اللبناني المنعقد في سنة ١٧٣٦. وفي نسبتها الى الصليبيين ضعف على ما في اسمها من مشابهة للاعلام الارلندية ـ وقد كان بين فرسان الصليبيين كثير من الارلنديين.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

مهما يكن اصل المكرزليين فلا يمنعنا ذلك من ان نقول ان نعوم مكرزل فينيقي في اقدامه، مردي في بسالته، عربي في شيمه، صليبي في مفاداته، وفوق كل ذلك لبناني ـ له صلابة صخور لبنان في عزيمته، وشمم قمم لبنان في منازعه، ونبالة ارز لبنان في مبادئه.

وكان والده الخوري انطون مكرزل كاهناً ماروناً وقف شطرا من عمره على الدرس والتحصيل وتلقى علومه في مدرسة عين ورقة الاكليريكية وكان من رفقائه عدة مطارنة. وعهد اليه بتصحيح كتب كثيرة في مطبعة طامش اللبنانية

اين تلقى المترجم دروسه الاولية؟

لم تكن المدارس قد انتشرت في قرى لبنان في ذلك الحين. ولذلك يغلب على الظن انه تعلم مبادىء القراءة والكتابة تحت السنديانة كمعاصريه النابغين. وجل ما نعلمه انه دخل وهو يافع مدرسة الحكمة في بيروت فدرس علوم اللغة العربية على العلامة عبدالله البستاني وحفظ له حق التعليم وحرمة الاستاذية حتى ذهب المعلم للقاء ربه وتبعه التلميذ على الاثر بعد نحو عامين تقريباً.

وتلقن اللغة الفرنساوية في ما تلقنه من الدروس في مدرسة الحكمة. وكان من رفقائه فيها داود عمون والامير شكيب ارسلان. وانهى دروسه العالية في كلية الآباء اليسوعيين في بيروت.

وخرج نعوم مكرزل من معهد العلم يحمل شهادته النهائية وفي صدره آمال واحلام.

وضاق لبنان على سعته بالشاب نعوم وقد استيقظت فيه نزعة الحرية الموروثة عن المردة ـ ورأى فيه من ضغط الحكام ومحاولتهم خنق بذور الحرية ما حبب اليه مغادرة الوطن فتزوح الى مصر وقد سئل ان يكون استاذ البيان في مدرسة الآباء اليسوعيين في القاهرة.

وبعد ان تولى هذا المنصب سنة اصيب بحمى اكرهته على العودة الى لبنان. فانتاب في مسقط رأسه الفريكة مدة داخلية.

ولم تمض عليه سنتان في وظيفة التهذيب الحية الى نفسه حتى آثر المهاجرة الى امريكا بتشويق احد اشقائه. فعقدا شركة تجارية ومرا على باريس فاشتريا بما كان في ايديهما من رأس المال بضائع املا لها الرواج. وجاءا نيويورك فافتتحا فيها حانوتا للاتجار وكان ذلك سنة ١٨٩٠ اي في فجر عهد المهاجرة السورية الى الولايات المتحدة الامريكية.

ولامر يريده الله كتب لصاحب الترجمة الا يصيب ربحاً في متجره. فخسر رأس ماله وانصرف الى تدريس اللغة الفرنساوية في مدرسة الآباء اليسوعيين في نيويورك. ومن ثم تولى تدوين حسابات بعض البيوت التجارية اللبنانية.

الا ان نعوم مكرزل لم يخلق للاتجار والمحاسبة ـ بل اختير رسول تهذيب وتنوير. هذب الناشئة زمناً في لبنان. وهذبها في مصر. وهذبها في نيويورك. ففتحت الحيرة عينيه على ميدان تهذيب اوسع نطاقاً وابعد آفاقاً هو ميدان الصحافة مهذبة الكبار والصغار. وعنوان رقي الامم. فشعر بالدعوة اليها وهو يمارس الكتابة التجارية في نيويورك فانثا دون ان ينقطع عن عمله مجلة صغيرة دعاها «العصر» ـ كان يطبعها على اجلائين ـ وهي ثاني الصحف العربية التي ظهرت في الولايات المتحدة. واولها «كوكب امريكا».

لم تعمر «العصر» طويلاً. وهي صحيفة صغيرة خطية لم تتبع مطامعه الواسعة. فانصرف عنها الى درس الطب ولبث على ذلك سنتين ولم يبق له لنيل الشهادة الا سنة واحدة. وهنا طرأ عليه ما حوله عن تطبيب الجسوم. لم يقيض له الله ان يكون تاجراً ناجحاً ولا ان يحترف التعليم او المحاسبة او الطب طيلة حياته. وانما كانت دعوته الحقيقية في الصحافة ـ في تهذيب العقول وتطييب الارواح. فعاد اليها وانشأ مجلة «الهدى» الاسبوعية في فيلادلفيا فصدر اول عدد منها في ٢٢ شباط سنة ١٨٩٨

كانت حروف الصحف العربية في ذلك الحين تنضد باليد. فاستجلب صاحب الترجمة حروفاً من مصر ـ والى القارىء ما ذكرته «المجلة التجارية» لصاحبها الاستاذ سلوم مكرزل شقيق المترجم في احد اعدادها في وصف مطبعة

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

الهدى وجهاد صاحب الهدى في اول عهد الصحافي: «كانت مطبعة الهدى اذ ذاك مطبعة صغيرة قوامها بضعة صناديق من الحروف ومطبعة صغيرة للجريدة من طراز قديم ومطبعة صغيرة للمطبوعات التجارية وقليل مما يلزم لاعداد الجرائد من اطواق واخشاب وما اليه. وكانت الهدى تصدر اسبوعية بشكل مجلة بحجم صغير ذات غلاف ملوّن. وقد استمرّت تصدر على هذه الصورة سنة ثم تحوّلت الى شكل الجرائد وصدرت بثماني صفحات صغيرة بخطين اولاً ثم بثلاثة خطوط في الصفحة، وكان صاحب الهدى يحرّرها باجمعها ويمسك حساباتها وكل ما يعوزه من المساعدين من يكتب له عناوين المشتركين، واستمرّت الهدى على ما يقارب هذه الحالة زهاء اربع سنين».

ورأى صاحب الهدى ان مجال التقدم محدود في فيلادلفيا وان المركز الاوفق لجريدة عربية هو مدينة نيويورك وفيها الجالية السورية اللبنانية الكبرى. فنقل مطبعته وجريدته اليها. فصدر اول عدد من الهدى في نيويورك في ٢٥ آب سنة ١٩٠٢ وكان صدورها يومياً باربع صفحات ولم تنقطع عن الصدور يومياً منذ ذلك الحين الى يومنا هذا فهي اقدم جريدة عربية حية في المهجر واول جريدة يومية صدرت في الولايات المتحدة.

رافقت الهدى الجالية السورية في الولايات المتحدة منذ فجر هجرتها في سيرها المطّرد نحو الفلاح فكانت مرآة تقدمها ودليل رأيها وسجلّ وقائعها - فهي تاريخ الجالية الزمني والروحي من عهد ماهديها الى عصرنا الحاضر بما بين الزمنين من اطوار نمو وارتقاء ونضوج فكرة، وتكوين وطنية، واحساس بشعور القومية وروح الوجدان في كيان جسم مستقلّ كان مولفاً من ذئاذ افراد فاصبح كتلة بل امة تُعرف بالمهاجرين اللبنانيين السوريين لها اخلاقها ولها مآتيها ولها تاريخها المستقلّ ولها مكانتها تحت الشمس.

وقام نعوم مكرزل على ادارة دفّة الهدى طيلة حياته يسيرها نحو المرفأ الامين غير مبالٍ بالعواصف والزوابع - وكم اجتاز بها في مخاطر وغامر في مهالك وخاض غمار المعارك فخرج منها مرفوع الرأس وقد ارتسمت على جبينه آيات الاخلاص تنير السبل المظلمة وتطرد عنه اشباح كل تهمة.

وكانت حياة صاحب الهدى في صحيفته كفاحاً وجهاداً في سبيل مبادئه ومناهجه، ومعاركه القلمية كثيرة وحملاته النارية على خصومه مشهورة، وما اندفاعه فيها بشدة قد يستنكرها المتّئدون الا لشدة تعلقه بالحقيقة حسبما يلوح له وجه الصواب في امرها. وفي الدفاع عن هذه الحقيقة كان يمطر قلمه الصواعق - ذلك القلم الذي قال فيه رحمه الله في خاطرة ١ تموز سنة ١٩١١:

«نفضّل ان نكسر القلم على ان لا نجريه في معالجة الحقائق ومحاولة ازهاق المخارق ومحاربة الاستبداد والمطالبة بالحرية على رشاد - نفضّل ان نكون من غير الصحافيين اذا كان لا بد من الصانعة والمخادعة والمداهنة والمطاوعة اذ ليست على ذلك الصحافة الراقية، وليس من ذلك الصحافيون الاحرار».

اربعة وثلاثون عاماً اعظم بها من حياة جهاد في الهدى لم يقف لصاحبها قلم في اعظم معمعة ادبية وطنية صحفية قام بها رجلٌ واحد في المهجر. اجل لقد كانت حياة نعوم مكرزل صراع عمل لا يقف وجهاداً لا ينقطع، وسعياً الى التجديد والتجويد لا يفتر. كان يدأب في العمل ست عشرة ساعة واكثر في يومه، مُجدّاً في التجديد والتجويد، لا يمضي حين دون ان يستحدث في صحيفته تحسيناً من وجهات ادبية وعملية، ومن هذه الاخيرة اهتمامه بالمنضّدة العربية التي وضع حروفها اخوه الاستاذ سلوم مكرزل شريكه في جهاده الصحافي. وكانت الهدى اول من استعملها في العالم العربي عام ١٩١١. واستعمال المنضّدة من الهنات بازاء مشاريعه الوطنية والاجتماعية التي لم يكلّ في خدمتها ولم يملّ من الدعوة اليها في حينها، وهو مع ذلك شاعر بالحاجة الى الازدياد من التجويد غير منجح بما يأتيه معترفٌ لانضاعه بقصوره طامحٌ الى الافضل والاجود - ومن آيات وداعته قوله المشهور: «انا لا نزال مبتدئين» جعلها شعاره في خواطر شتى ومنها اعترافه التالي الجميل:

«كل سنة في مطلع العام الهدي وبعده نقول انا لا نزال مبتدئين. ولماذا؟ - لاننا يوم انشأنا الهدى لم نكن على شيء من الاختبار والمعارف

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

الصحافية ـ لاننا كنا بالرغم من صرفنا الاعوام في المدارس والكليّات لم نختبر، ولا استفدنا حنكة ـ لاننا تطفّلنا على الصحافة تطفلاً اردنا من بعده ان نستبدله بالاهلية فاجتهدنا وسعينا، ولا نزال نجتهد ونسعى ـ لاننا تطرّفنا وتصلّفنا ايام لم يكن لنا من البضاعة الصحافية الاّ مُزجاها. ثم عرفنا اننا على غير هدىً يليق «بالهدى» فاستعضنا عن التطرّف والتزلّف والتكلّف بالاعتدال والحزم والجرأة والحقيقة الجارحة. واستغنينا عن الخيلاء الباردة بالاباء الذي فيه فائدة، لان الاستكبار لا يكون الاّ عن اغترار، وغير حسن هو...»

لم تكن طريق منشىء الهدى مفروشة بالورود ـ وطريق العظمة تكثر فيها الاشواك والعقبات والدواهي ـ وكذا كانت سبيل صاحب الترجمة ولكنه اجتازها متغلباً على المصاعب بصبره وثباته ونقاء يقينه ومتانة عقيدته واخلاصه لمبادئه وثقته بنفسه ـ خلالٌ لزمته فاحرز بها الزعامة دون ان يطلبها. فاصبح قومه يأتمرون بأمره يسيرون بكلمته ويقفون باشارته في كل عمل عمومي. وايّد الله به لبنان في المهجر فكان له حصناً حصيناً وقام بنشر الدعوة الوطنية بين ابنائه المهاجرين حق القيام فأحيا مواتها في ارض الغربة ولم يكن لها من شأنٍ قبله. وكان حب لبنان يملأ شغاف قلبه فيفيض على من حوله. ولكثرة ما كتب في لبنان ودافع عن لبنان ونادى الى لبنان ما نحسبه مرّ عليه يوم من حياته لم يغمس قلمه في سبيل لبنان. ولفظ انفاسه الاخيرة في باريس وقد رحل اليها لاجل لبنان.

من الصعب ان نجد مشروعاً جليلاً بين المهاجرين ليس له فيه اصبع. اما تعداد مشاريعه والالمام على تاريخها فتضيق به هذه الصفحات وحسبنا ان نكتفي بالاهمّ منها.

الهدى اول مشاريعه ـ وهي جريدة الشعب وله ومنه. ولا تزال تسير على المنهاج الذي اختطّه لها منشوءها.

النهضة اللبنانية جمعية المهاجرين الكبرى التي مضى عليها نحو العقدين من السنين تخدم لبنان وابناءه وتسعى الى ما فيه فلاحه وفلاحهم ـ انشأها

سنة ١٩١١ وانتخب رئيساً مشارفاً عليها مدى الحياة. وهي نهضة مباركة لتحقيق الغايات الوطنية في بلاد الهجرة.

تعزيز اللغة العربية في المهجر ـ كان رحمه الله معدوداً بين ايمّة اللغة العربية في المهجر وفي مقدمة معززي آدابها. وكان اول من دعا المهجر اندلس ثانية. وحث الامّيين من المهاجرين على التعلم والدرس واهدى الهدى الى من كان منهم راغباً في الاستفادة. ولا سيما المرأة التي شجّعها على السير في ميدان الرقيّ والتهذيب وحمل القلم ومعالجة الشؤون النسائية في الصحف. ومن تلميذاته الكاتبة الشهيرة المرحومة عفيفة كرم.

جمع اشتات المهاجرين ـ كان اول من جمع شملهم في العقيدة الوطنية وحثّهم على الظهور كمجموع ودعاهم الى تأسيس الجمعيات لرفع شأنهم فانشأوها في انحاء الولايات المتحدة.

استقلال لبنان ـ ومن يجهل جهوده في سبيل لبنان. وقد كان من ابطال استقلاله دعا اليه بقلمه وحمل اماني المهاجرين الى مؤتمر السلام فكان احد رجالات لبنان الذين طالبوا باستقلاله تحت مشارفة فرنسا وتمّ لهم ما ارادوا. وما برح يدافع عن استقلاله وفلاحه حتى النسمة الاخيرة من حياته وحملاته على طلاّب الوحدة معروفة. ومن آيات وطنيته حثّه اللبنانيين المهاجرين على التطوّع في الفرقة الشرقية في اثناء الحرب الكبرى.

اغاثة منكوبي لبنان ـ كان عماد لجان اسعاف المنكوبين في لبنان في اثناء الحرب الكبرى وبعدها. اثمرت مساعيه الحميدة ودعاوته الواسعة بين المهاجرين فارسلت مئات الوف الدولارات الى لبنان سرّاً في زمن الحرب ونجح في ارسال البواخر الحاملة الاقوات لاطعام جياع اللبنانيين والملابس لاكسائهم بعد الحرب. وجمع عشرات الوف الدولارات لاغاثة منكوبي الثورة الدرزية عام ١٩٢٦ . وجمع مقداراً طائلاً من المال لجمعية الصليب الاحمر في لبنان.

الدفاع عن المهاجرين ـ لم تطل يدُ الضيم المهاجرين الاّ سعى المترجم الى رفع ظلامتهم الى المراجع العليا والدفاع عنهم في قضايا خصوصية

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

وعمومية. ومن الأخيرة الدفاع عنهم في قضايا الجنسية الأمريكية يوم مُنعت عنهم بحجة انهم من غير الجنس الأبيض، وفي طردهم من هايتي واضطهادهم في بعض جمهوريات امريكا الوسطى والولايات المتحدة.

ومن امانيه التي حالت المنيّة دون تحقيقها الدعوة الى التجنيد في لبنان. وانشاء متحف وطني في لبنان بمال المهاجرين. والعهد الى مورّخ حبير بكتابة تاريخ مطوّل للبنان حالٍ من الاضاليل. ووضع تاريخ للنكبة اللبنانية.

∴

قام المترجم بعدة رحلات في الولايات المتحدة والمكسيك وكتب عن مباحاته فصولاً يجدر بها ان تُجمع في كتاب. امّا اهمّ رحلاته الى خارج امريكا فرحلته سنة ١٩١٣ الى باريس لحضور المؤتمر العربي فيها ممثلاً النهضة اللبنانية حيث اجتمع بالغفور له عبدالحميد الزهراوي ورفقه وخالفهم في امر لبنان متشبثاً بحقوقه في الاستقلال. ورحلته سنة ١٩١٩ الى باريس يحمل امماني المهاجرين الى مؤتمر السلام حيث التقى بالمثلث الرحمة البطريرك الحويك فاتفقت امنيته مع امانيه واشتغل مع الوفد اللبناني في سبيل استقلال لبنان الكبير بمشاركة فرنسا واقتراح الراية اللبنانية في شكلها الحاضر وقبلها الأرزة. ومراسلاته من باريس ومذكراته السياسية محفوظة نأمل ان تُنشر في كتاب لما فيها من جليل الفائدة التاريخية.

وانتهت رحلته الثانية الى باريس بزيارته مصر وعودته منها الى الولايات المتحدة دون ان يتيح له الوقت زيارة وطنه لبنان وكان يعلّل النفس برؤية جباله الشماء واوديته الفيحاء.

وعرفت الحكومة الفرنساوية له فضل جهاده في سبيل لبنان فعرضت عليه وسام جوقة الشرف فأبى معتذراً بانه لم يفعل شيئاً يستحق الوسام. وفعل مثل ذلك عندما اهدت اليه الجمهورية اللبنانية منذ عامين وسام الاستحقاق اللبناني من الدرجة الثانية.

وفي ٧ نيسان سنة ١٩٢٣ احتفلت الجالية اللبنانية السورية بيونيل الهدى القضيّ فاقامت له مأدبة في نزل بوسرت في بروكلن حضرها المئات من وجوهها وادبائها وتبارى فيها الخطباء والشعراء في تعداد مآثره وقدره حق قدره - وقد جُمع ما قيل فيها من الخطب والقصائد في كتاب تذكاري يدعى «الشواعر الشريفة» يحتفظ به عارفو فضله خير ذكرى لتكريم مجاهد كان ولي قومه يهديهم بعلمه ووطنيته وما احقه بان يُنعت بالهادي وهو صاحب «الهدى».

∴

كان الفقيد جبّاراً في الاحتمال والصبر على الاوصاب. نهب جسمه في سبيل نزعات روحه فكان يغالب الآلام ويتجلّد لها سنوات طويلة ولم يُبْتَ مرض او وعكة عن المثابرة على العمل فكان يكب احياناً خواطره وهو في فراشه وكثيراً ما جلس الى منضدته للتحرير والعلة تهد قواه فيتحامل ويصبر على ما لا تستطيع احتماله الجبابرة.

وكان في السنة الأخيرة من حياته تحت عناية الطبيب لا ينهض من وعكة حتى تنتابه اخرى غير ان ذلك لم يمنعه عن الرحيل الى باريس عندما دعاه داعي الوطنية اليها للمطالبة بالاصلاح في لبنان. فركب البحر اليها في ١٨ اذار سنة ١٩٣٢ فلم يلبث فيها اياماً حتى اشتكه العلة واسلم امره الى سكين الجرّاح. فاجرى عليه احد مشاهير جرّاحي فرنسا عملية كانت ناجحة الا ان قواه لم تحتمل صدمتها فصرّمت انفاسه الاخيرة في ٥ نيسان. وحفظ نعيه سقوط الصاعقة على الجالية اللبنانية في باريس والمهجر اجمع ولبنان. ونُقل جسمانه الى نيويورك فجرى له فيها استقبال حافل اشتركت فيه الجمعيات والوفود. وكانت حفلة جنازته من اعظم حفلات الاسى واروع مظاهر الحزن الشعبي في المهجر.

∴

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

يُذكر المرء بما فعل وبما قال. وقد اوردنا في هذه العجالة بعض ما اتاه فقيد الصحافة والوطنية منشىء الهدى المغفور له نعوم مكرزل توطئة لسفر يجمع اليسير من اقواله. وفي ما تقدم وما يأتي مضمار قدوة للمقتدين ومرقاة مساماة للمتبارين فليستفد منهما من يريد وليس للانسان الا ما سعى. وما اجمل في هذا الموقف قول ابن هاني متنبي الغرب:

ولم اجد الانسان الا ابن سعيه فمن كان اسعى كان بالمجد اجدرا
وبالهمة العلياء ترقى الى العلى فمن كان اعلى همة كان اظهرا
ولم يتأخر من اراد تقدماً ولم يتقدم من اراد تأخرا

فهرس الكتاب

صفحة

اهداء الكتاب .....
الى الاتحاد حاجتنا ١
القناني ٢
رواية حقيقية ٥
من اجلها ٧
من اجله ١٧
من عبر البحر ٢٦
دوار الشمس ٣٣
العالم لي ٣٧
اذا خانك الزمان فلا تخن نفسك ٣٩
الثروة الصاحية ٤٣
شرف العمل ٤٦
انا ٤٩
العمى والجنون ٥٥
العمر والفكر والبشر ٥٩
جنين الايام ٦٦
يجب ان تحلم ٧١
الفيش ينغص العيش ٧٦

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

صفحة

مراحل الحياة ٨٢
في احقر شيء عند ابناء الوطن ٨٨
الغد ـ وما اقربه وابعده ٩٣
في الليل الدامس ٩٤
الأزهار الذاوية ٩٨
الفتح الروحي ١٠٢
حرب وحرب ١٠٨
ماذا يهمني ١١٤
الله يعين ١١٩
معنى الانسانية ١٢٤
ايها الدولار الكلي القدرة ١٢٨
سبّحوا الله بالقيثار ١٣٢
اضمدوا جراحاتها ١٣٥
يومهم ويومنا ١٤٠
الثورات ومن يقوم بها ١٤٦
ابل اغراض الانسان ١٥٢
ما هو الفرق ١٥٧
حسناء تهتف ١٦١
خلع العذار ١٦٣
بين الأثر والأثر ١٦٨
لغة الأرواح ١٧٣

صفحة

يخرب بيت امريكا ١٧٧
قبران في قبر ١٨٢
خلاصة التعليم الوطني ١٨٧
من نحن ١٨٩
انت ايها العام الجديد ١٩٣
المهاجرون العائدون ١٩٦
لغتنا في المهجر ١٩٩
ما اجملك ٢٠٠
ساعة بين القبور ٢٠٣
الحقيقة الناصعة ٢٠٧
بين الاعتبار والازدهار ٢٠٩
طفل امة ٢١٣

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

الى الفريق المؤمن بالرقي، وبالحرية المعتدلة، وبالاستقلال المعقول، وبالمساواة العادلة بالتكافوء، وبالرعاية الفرنساوية البريئة من الاستعمار والاستئثار، وبالمبادىء الشعبانية، وبالتعليم الالزامي الشامل القائم على التهذيب والفلسفة الطبيعية، وبالتجنيد الارغامي الرامي الى المدافعة لا المهاجمة، وبالترفع عن المصالح الذاتية ولا سيما الوظائف والالقاب، وبالعمل النافع، وبالمحبة الجميلة، وبالمطامع النبيلة ـ الى

النهضة اللبنانية

التي ارجو لها الخلود بعزائم النشء الأبيّ، وحكمة الكهول والشيوخ، وفضل النسويّة النقيّة في الشعب الحيّ الآمال لتخليد الاعمال اهدي الجزء الاول من خواطري.

نيويورك نعوم مكرزل

الى الاتحاد حاجتنا

«اول خاطرة نشرت في اول عدد صدر من الهدى»

نريد الاتحاد ولانريده، ونمدحه ونذمّه، ونُعليه ونسقطه، ونعرفه ونجهله، فنريده للناس ونؤاخذهم على كل خلاف وننكر عليهم كل شقاق، ولكننا لانطلبه فعلاً، ولانسعى وراءه باخلاص ـ فنحن لا نريده.

ونمدحه بمن ظهرت منافعه بهم وأدرت البركات اخلافه عليهم: من محبة ومواساة وكرم وشهرة. ونذمه بتجنبه ومحاذرته فعلاً ـ فنحن لانريده.

ونُعليه متكلمين، ونرفعه ناصحين، على اننا نسقطه فاعلين ونخفضه ممارسين ـ فنحن لانريده.

ونعرفه نظرياً ونجهله عملياً ـ فنحن لانريده.

بين ظهرانينا الكبار والوجهاء والكرام والعلماء وابناء البيوتات ورجال التدابير والسياسات، فلماذا نهرب من الاتحاد ولانعمل بالحكمة والسداد، والله يختاره، والوطنية توحي به، والغربة تدعو اليه، ومهاجرتنا تشهد على خبائث تلك السياسة الخرقاء التي انتصرت علينا في الوطن ولاتزال تورثنا الرزايا والمحن؟

نحن في حاجة الى الاتحاد ولا بدّ من ادراكه مهما نقم المخلفون وتناكر المتناظرون وحرّش المتحرشون.

ـ ٢٢ شباط سنة ١٨٩٨ ـ

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

القنانيّ

منزله ابرهيم لنكلن عند الاميركيين تشبه منزلة علي بن ابي طالب عند المسلمين في امورٍ كثيرة.

مات عليّ شهيد الحق الذي كان يقاتل له، ومات لنكلن شهيد الانسانية التي كان ينصرها.

اشتهر عليّ بالخطب والامثال، وطار صيت لنكلن بها.

عُرف عليّ بالعزم والثبات والفضيلة والاقدام، وعرف لنكلن بمثلها.

كان عليّ من اعظم دعائم الاسلام، وكان لنكلن من اقوى ارکان النصرانية بتأييده الانسانية على النخاسة.

ولا يفضل عليّ لنكلن الا في شرفه: فكان علي سيدًا ابن سيد وكان لنكلن من السوقة الساكين، واجتمعت للاثنين امارة العقل

قال علي: ـ ان كل انتفاخ اجوف اي ان كل ضخم في المعنى الادبي دليل على فراغ داخلي. وقد اوردنا هذه الرواية لعليّ لنروي شيئاً سمعناه عن لنكلن.

قال لنكلن: ـ اذا كانت القنينة ملأى او فارغة وحركت فلا تحدث صوتاً، وانما الصوت يحدث من القنينة التي يكون نصفها فارغاً

اي ان الرجال ثلاثة: رجل عاقل، ورجل غبي، ورجل بين بين. فالرجل العاقل لايحدث قرقعة وضجيجاً بعقله ـ لايدعي انه

عاقل ولايسأل الناس اطراءه لعقله، لان جمال العقل والاحتشام فيه والعمل بالرزانة والرصانة.

والرجل الغبيّ لايملأ الارض ادعاءً وتطلباً لانه غبي وغباوته تمسكه الى حضيض الخمول والخفاء. وهو وان يكن قليل النفع للعالم والمساعدة على ارتقائه فنافع بلزومه حدّ معرفته.

اما الرجل الذي هو بين العقل والغباوة فبلية على الناس وعلى نفسه لانك تراه يدّعي الكمال على نقص، والمعرفة على جهل، والحكمة على سفه، والشرف على خمول، والعلم على عاية، فهو مبعط في الجهل كيف جئته واردته.

القنانيّ ثلاث: ملأى وفارغة وبين بين، والرجال ثلاثة: شريف ووضيع ومدّعٍ. فالشريف يتكلم شرفه عنه، والوضيع لايزاحم احداً على شرفه، والمدعي يرتجّ كالطبل لانتفاخه بالجهل

القنانيّ ثلاث والرجال ثلاثة: عالم وجاهل ومدّعٍ، فالعالم لايحتاج ان يقال عنه انه عالم لان علمه يخرق كل حجاب وينفذ في كل حائل، وهو يغنى عن الاطراء، وغير العالم لايدعي العلم لانه يعرف عجزه اذا سئل عن شيء وظهر جهله، امّا المدعي او الذي هبّ نسيم العلم عليه ولم يعلق به شيء من أرَجه فتراه العلّامة الفهامة، والخطيب المصقع، والشاعر الفحل في كل مجلس وحفل.

القنانيّ ثلاث، والرجال ثلاثة: كريم وبخيل ومقتر، فالكريم يبذل المال للافادة والخير ومساعدة المشاريع الوطنية على انواعها ولا

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

ينتظر ثناء واطراء، والبخيل يهرب من الظهور لان في الظهور اضطراراً الى الانفاق المبتعد عنه، اما المقتر فيريد ان تنظم فيه القصائد وتلقى امامه الخطب، وتملأ اعمدة الجرائد تمدحاً منه وثناء عليه، ويكون جوده انه تصدق يوماً بدرهم.

ان يكون الانسان فارغاً خيرٌ من ان يكون مناصفاً.

انفع له ان يكون حماراً من ان يكون عظماً يترفع.

انفع له ان يكون أمياً من ان يكون مدعياً.

وخيرٌ له ان يكون خاملاً من ان يكون مشهوراً بعار.

- ٨ تشرين الاول سنة ١٩٠٢ -

رواية حقيقية

حدّث احد الادباء قال :

«اجتمع الناس مرة في احدى امهات مدن الولايات المتحدة الحافلة بابناء الوطن للمفاوضة في امرٍ عائد عليهم بالخير. وبعد ان استقرّ بهم المقام اقترح احدهم ان تكتب اسماء الحاضرين في مدرج فاستحسن الجميع الاقتراح.

وتناول احدهم ورقة وسأل الجمهور رأيه في كيف يبدأ بكتابة الاسماء فساد السكوت.

ساد سكوتٌ عظيم لان كل واحد منهم كان يرجو في سرّه ان يدوّن اسمه في رأس المدرج

ثم تبدل السكوت بلغط وكثرت الاقتراحات، فقال هذا - نبتدئ بكتابة اسم الاقدم منا في المهاجر، وقال ذاك - لا بل نبتدئ بالاسماء بحسب ترتيب حروف الهجاء، فمن كان اسمه يبتدئ بالهمزة كان الاول، ومن كان اول اسمه باء كان الثاني وهكذا الى النهاية.

فاعترض احدهم وقال - لا بل نقدم الاعمار على الاقدار والحروف، فمن عمره فوق عمر غيره كانت له الاسبقية، ورضي الناس بذلك.

فقال الكاتب - باسم الله ونبتدئ، فمن هو الاول ؟

فقام كهل كان يدعي دائماً انه لم يتجاوز الثلاثين من عمره

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

وقال ـ انني بلغت الخامسة والاربعين في الساعة كذا واليوم والشهر والسنة كذا ولي حق الاسبقية. فحدث اختلاف جديد ولم يتم الاتفاق على شيء وتفرق الملتئمون للخير.»

هذه رواية حقيقية حدثت لبعضنا في هذه الجمهورية المشهورة بوطنية قومها واجتماع كلمة الناس فيها في الاعمال العمومية.

وهكذا نجتمع ونفترق وتكون البداية ولاء والنهاية عداء.

وهكذا لا نبدأ عملاً ونكمله لعدم وجود جامعة لنا، ولان كلاً منا يريد ان يكون الاول

ان حب التقدم لدليل على كبر النفوس، ولكن الاباء اذا صار استكباراً، والانفة تشامخاً، والخير نزعاً بالغايات الملتوية فان تقدمنا بطيء.

ليس المجلس الاول ولا الاسم الاول ما يجعل الانسان رجلاً فالانسان بعمله !

ـ ٣٠ كانون الاول سنة ١٩٠٢ ـ

من اجلها

١

من شوارع المدينة التي لها تحت سماء الله سماء من الدخان ـ من مدينة بتسبرغ في ولاية بنسلفانيا او من مدينة الفولاذ والزجاج خرجت أم بابنتها الناهد تطلب مدينة المحبة الاخوية ـ فيلادلفيا ـ فاقامت بها مضطرة من الدهر تقرضها الخصاصة وبعضها ناب الفقر الى ان مد المصورون والحفارون ابصارهم الى وجه اليتيمة فمدت هي اليهم من شمس جمالها حبالاً مقيدة وربطاً مشدودة فبذلوا لها المال لتجلس لهم فيقلدوا منها الجمال.

دولاراً عن كل ساعة كانوا يبذلون لها، وليس الدولار الواحد لساعة من الزمان بالشيء اليسير والربح الحقير عند من كانت لم تسمع من قبل رنة قطعة من الفضة على مثلها ولا حفيف ورقة على ورقة مما له في المعاملات قيمة.

والفقر أعدى اعداء الانسان يصغر نفس الرجل الكبيرة، ويخشن روح المرأة اللطيفة، ويصرف الحكيم عن الحكمة، وينفي الأبي عن الكرامة، ويمزق غشاء الطهارة، ويجر الرجال والنساء مرغمين الى مهاوي الهوان ـ الفقر الذي نصفه الواحد من الجهل ونصفه الآخر من عدم العدل يحمل الاكثرين على الشرور : فالعفيف على الفجور، وصاحب الامانة على الخيانة، والمستقيم على

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

الفعل الذميم ـ الى كل ما ليس له حصر ولا فيه فخر ـ الفقر الذي اوجده الانسان لنفسه، او اوجده الانسان للانسان كان ولا يزال يقوّض اركان البيوت، ويهدم بنيان السعادة، ويدك حصون الطهارة، ويزعزع معاقل الفضل بعتل الذل ومعاول الرذائل.

وكانت اقلين نسيت فقيرة!

٢

انقضت الشهور على البنيّة وأمها الأيم في المدينة البطيئة في جهرها، السريعة في سرّها، واقلين تسبك بحرارة صدرها الدولار وتروي غليلها بماء وجهها المشرق الى ان اعتزمت والدتها السفر الى نيويورك. فاقبلت المرأتان متغرتين متضعضعتين وليس لهما من رجل شريف المبادئ ملجأ، ولا على رجل كريم الاخلاق والاعراق معوّل. فأخذت الابنة تأكل وتطعم امها من عرض جمالها على ريشة الرسّام، وتنير الغرفة التي تسكنانها بضوء الابتسام، وظلّت على هذه الحال الى ان تنبهت للمسارح، فانتظمت في سلك راقصات يدعوهن الناس تساهلاً ممثلات، وهناك ابتدأ شقاؤها.

من وراء الستار تبدل البياض سواداً والضياء ظلاماً اذ وقع نظر ستنفورد هويت المهندس الشهير عليها. فالتمس من مدير المسرح ان يجيز له اخذ اقلين تحت حمايته وتعليمها ما تحتاج الممثلة الحقيقية الى تعلمه، فانتزعها من بين رفيقاتها وادخلها دار شهواته قبل ادخالها المدرسة، وكان الرجل كبير الثروة، كثير البذل، واسع

الشهرة، رفيع المقام، له بين الوجهاء والكبراء والاغنياء والعظماء منزلة يحسده عليها ابعد الناس شهرة. ولعمري ان الفقر لا يقاوم الغنى، ولا يرفض الشيء الهنيء! فرضيت العصفورة البشرية بان يكون قفصها في غرف الرجل السريّة التي كانت كثيرة ومتفرقة لئلا يجمع الحسناء الى الحسناء فيقع الجفاء والعداء.

وكان الرجل زوجاً ووالداً، ولكنه لم يكن يلتفت الى واجب بيتي، ولا ينعطف مع العطف الاهلي، وبين رجال هذه الحضارة التي تغالي بها من لا يزعجهم تهتك ولا يقلقهم غدر، فترى الواحد ـ ولا سيما من الاغنياء ـ يستحلّ كل محرّم ويستسهل كل صعب ولا يرجع عن قصده حتى يبلغه كأنه من شرّاد الكهان.

من وراء الجدار، من وراء الباب، من وراء النافذة، من فوق البيت ومن تحت السرير منافذ لفريق من الاغنياء يستخرجون بها الآمنات الغافلات والنساء الجميلات.

تجلس امرأة الغني من طبقة هويت في بيتها، تنتظر قدوم زوجها فيمضي الهزيع الاول والاخير من الليل وهي ـ ان كانت غير ام ـ تشعر بألم قلبها، وان كانت امّاً تشعر مع افلاذ كبدها، والرجل بين الدنان والقيان، والحدق والورق، والحضور والحسارة، والنهود والتهتدات عابث، لا يحفل بغير حيوانيته.

كثيرة هي جرائم بعض الاغنياء والوجهاء في هذه البلاد، كثيرة هي مفاسدهم وكثيرة هي مكايدهم، قوم لا يرحمون

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

انفوسهم، ولا يرحمون فرائسهم، ولا يشفقون على اولادهم، ولا يعطفون على فرائسهم الا ليتملقوا بالاعطاف ويعملوا باقبح الظلم والاجحاف.

على اقدامهم تنطرح البكارة، وعلى اعناقهم تتساقط دموع الطهارة، ولكنهم يكونون قد استسهلوا الشرور في احشاء الحمور، واستطابوا الغرور تحت جنح الديجور، فلا تغرقهم الدمعة المترقرقة، ولا تحرقهم اللهجة المحترقة - وحوش عليهم ثياب الكتان والصوف والخز، وفوق رؤوسهم قبعات الحرير، وفي ايديهم وعلى صدورهم حجارة كريمة على غير كرامة، هم وحوش! والشريعة تعلم هذا ويدها مغلولة، لان مجرد اتهام الغني والوجيه اقبح من زج العشرات من الفقراء في السجون!

اشبع هويت شهواته الى حين من فريسته السكينة، فارسلها الى المدرسة ليحل غيرها محلها، وهناك استفاقت الصبية من غفلتها ونظرت الى عمق الهاوية التي سقطت فيها فبكت بكاء مرا. بكت حيث لا يجدي البكاء وانما يخفف عن قلب الحزين همومه

بكت حتى كادت تخرج دمها مع دمعها من بين الجفون، وطلبت السلوى من الدروس فانكبت عليها انكباب العطشى على الماء الزلال فشربت حتى ارتوت، وكانت بين اترابها الفتاة الحليمة الحكيمة، الاديبة اللبيبة، اللطيفة الظريفة، كوردة قطعت من اصلها وغرست في الارض الاصطناعية فظنها الناس كما هي منظرها

وفاتهم انها جريحة مطروحة!

اقامت في المدرسة الداخلية الى ان حصلت شيئاً من العلم فانقطعت عنها المساعدة، فاضطرت الى مغادرتها لا تملك مالاً ولا تهتدي الى عمل فرجعت الى المسرح الذي انتزعها الحب الكاذب منه وارجعها الظلم الشديد اليه، وهناك وقعت عين هرّي ثاو ابن احد كبار اغنياء بتسبرغ عليها فاحبها حباً جماً لا غش فيه وخطبها فتزوجها واجتمع البيتان - وثاو يتيم.

٣

شاب في مقتبل العمر، جميل المنظر، متنفخ الجيب، عريض الجاه، خصصت له امه ثمانين الف دولار ينفقها على «ضروريات حياته!» يقترن بابنة خاملة لها كما يقول الامريكيون «تاريخ» ويحمل امه على ارغام الطبقة العليا في مدينته بقبول عروسه في حفلاتها ومجتمعاتها ليس شاباً يحب حباً وقتياً.

وحماة تعرف كل ماضي حياة كنتها وتعترف لها الكنة بكل شيء فلا تشترط الحماة الا الانقطاع عن الصلات القديمة ليست حماة من عامة الناس.

هنا الموعظة يا ايها الناس، هنا المغفرة الحقيقية، هنا العاطفة الانسانية، اذا كانت الفلين نسيت قد سقطت فهي الان تكفر عن ذلك السقوط بامانتها واخلاصها وحبها، ومن هو الانسان الذي لم يسقط؟!

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

ليست الفضيلة في ان تكون مسبوقة برذيلة، لا والف لا! ونحن السوريين واللبنانيين على الاخص لنا ادب يحملنا على احتقار كل فتاة تعثر ولكن اذا وقعت السقطة ووُجدت نفس كريمة تعترفها، او نفس عاشقة تتناساها فتلك النفس هي نفس المسيح مع المجدلية، ومن روح الله مع كل رجل وامرأة.

صونوا عفافكم يا ابناء الوطن! صونوا بناتكم واعراضكم يا ايها الآباء الأباة، صونوا اقدس ما هو مقدس عند رجال المروءة وهو العفاف في العذارى، فانكم لا تجدون فضيلة تتحلون بها اجمل من فضيلتكم هذه، ولكن لا تجرحوا عواطف قوم كبير يتسامح ويتساهل.

ان في المغفرة الوهيا واعظم مغفرة هي ان تكون على ما وصفنا، ولا نظن ان مفكراً يستنتج من كلامنا غير ما نقصده من الحث على الصون والعفاف لصيانة كرامة الامة وشرفها، واذا وجد قوم يرى المغفرة حتى بعد هذا السقوط الذي اشرنا اليه فضيلة، بل الوهية فليكن له منا الاعتبار ـ الاعتبار الكبير.

العذراء التي تسقط تسقط لنفسها وتحط من كرامة اهلها، ولكن الزوجة، ولاسيما «الام» التي تسقط تفسد العالم كله، وذنبها غير مغتفر الا باسقاطها من الهيئة لانها هي ـ وهي وحدها ـ «قدس اقداس» البشرية.

٤

صارت الفين نسيت «افلين نسيت ثاو» واقيلت عثرتها واجبها زوجها كأنه حسب اغترارها السابق معذوراً، او انه تزوج ارملة، ورفعت منزلتها الى طبقة السيدات اللواتي يوجد بينهن عدد غير قليل مثلها في الطبقة الغنية، ومع كل ذلك لم يثبت هويت على اهماله لتلك المسكينة فكان بعد زواجها يراودها بالمراسلة، على ما يقال، فثار ثائر الزوج وانذر الوقح فلم يفده الانذار، وبينما هو في المكان المدعو «ماديسون سكوار غاردن» مع امرأته رأى عدوه جالساً الى مائدة، ويزعمون انه كان اساء الادب بالاشارة الى فريسته الاولى المنبوذة منه فتقدم نحوه واطلق عليه الرصاص بين عزف الموسيقى واصوات المغنين والمغنيات فقتله لساعته وظل كأنه لم يرتكب جريمة، فانتظر النحنة الى ان جاءت فسلّم نفسه وقبّل امرأته ومضى الى السجن ـ الى السجن مضى بعد ان قبّل امرأته قبلة من يعلم ما تكون نهايتها بعد ان اخمد انفاس رجل بلحن مسدسه الذي ابطل كل عزف وغناء.

٥

من وراء القاتل اربعون مليون دولار، ومن وراء القتيل ثروة ايضاً وشهرة عظيمة، والغريب ان المحامين عن القاتل يحاولون ان يجعلوا الدفاع قائماً على اختلال في دماغ القاتل لاعتقادهم ذلك او لمحاولة انقاذه، والقاتل يقول «انا صحيح الجسم والعقل» ويطلب

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

المحاكمة بحسب الشريعة الطبيعية غير المكتوبة، وهي شريعة يعرفها الجميع من اناثة الاب والاخ والزوج حق الدفاع عن اعراضهم، وربما اطلق سراح ناو القاتل كما اطلق سراح جوزفين تراتوفا الايطالية التي قتلت اثنين انتقاماً لعرضها وبرأها المحكمون.

ان ناو يستحق الاعتبار، لا لانه قاتل، فالقتل هدم بناء اقامه الله وهو غير جائز حتى في مثل هذه الحال التي وقع فيها، بل لانه لا يريد ان يكون جباناً، لا يريد ان يقول غير الحقيقة.

٦

ويتراءى لنا ان اكثر العواطف ميالة الى القاتل، فان اقدر واشهر كتاب الاميركيين انشأوا الفصول ونظموا القصائد في مناصرة الزوج المظلوم، والمعذور كما يقولون، ومن براهينهم ان القاتل مع انحصار فائدته في نفسه لم يكن الا مدافعاً عن الانسانية، اما القتيل فيذهبون الى انه كان كالذئب الضاري او الحية الرقطاء لا يلام من يطهر الدنيا منهما.

ويقولون ايضاً انه اذا جاز للدولة ان تنتقم لشرفها من دولة اخرى فبحق اولى يجوز للزوج ان ينتقم لامرأته، وقد قلنا من قبل اننا على غير رأي القتل لان من كان غير سعيد مع امرأته فالشريعة تنصفه، ومن كان سعيداً ويقصد احد الناس ان يبدل سعادته بتعس فالشريعة ايضاً تنصفه، وليس لانسان ان يكون شريعة لغيره من نفسه.

ويقولون ان القتيل كان يفترس الفتيات القاصرات، ويفسد الاخلاق، ويخرب البيوت، ويكثر عدد المتهورات، ولكن هل الذنب كله ذنبه؟ اين التربية وما معنى الحكومة الاولى التي لها او يجب ان يكون لها في كل بيت عرش؟

لا مدافع عن فساد اخلاق القتيل مع ذكائه وعبقريته ونبوغه، ولكن ما ينسبونه اليه من الافادة للعالم بتمهره العظيم في الهندسة وعدم افادة القاتل الا الافادة الشخصية لا نراه يحمل العالم على عذره، فان هؤلاء المتفردين بالوجاهة والمال والشرف والمواهب هم الاشد خطراً على الاخلاق والطهارة، حتى ان في اصحاب المواهب الصغيرة بيننا خطراً عظيماً.

٧

ولا بد لنا من اظهار اعجابنا بامرأة القاتل الذي قتل قاتل شرفها فانها بكل شجاعة تعترف بسقطاتها الماضية وتقول انها لم تكن مطالبة ولا مقيدة ولا مدركة، اما الان فهي واقفة مع زوجها الى آخر نسمة من حياتها، وانها توثر ان تخسر جمالها الذي هو، حتى في نيويورك، اكمل وانم جمال فداءً لشعرة واحدة من رأس زوجها

هذا من جهة زوجة القاتل، اما من جهة زوجة القتيل - الزوجة المحزونة والام الحزينة - فانها لم تظهر شيئاً يدل منه

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

على الرغبة في الثأر او الرضى بالقصاص، ومن يلومها؟!

٨

من اجل جمال اقلين نسيت نسي هويت نفسه واهمل امرأته وابنه، ومن اجلها لقي الموت الذي هو «اجرة الخطيئة». ثم من اجل اقلين نسيت ثاو ظهرت غيرة الزوج الشرعي، ومن اجلها قتل المتطاول عليها - من اجلها ....

- ١٣ تموز سنة ١٩٠٦ -

من اجله

١

اقبلت مسز ثاو. اقبلت الام! فهل اقبل الخلاص؟

بصدر منتفخ من الهموم انتفاخ البحر بامواجه، ووجه اوجدت الشجون عليه من الغضون ما توجد الريح على صفحة الماء من الثنايا المتحولة والروابي الذائبة عادت ام القاتل من مصيفها في اوروبة وقد استظهرت نفسها على الاوصاب واستوى جسدها على الاتعاب واستهزأت بلجج البحر وجياله فلم تبق تلك السيدة المريضة المحتاجة الى الخدمة الدائمة والعناية الملازمة وليست الا الانتباهة من غفلة الجسد وهجعة القوة واليقظة من رقاد العلة في مثل اللمحة التي تنهدم امامها اطواد الحوائل وتسقط على الاقدام حصون الدهر الحرون.

على اول باخرة ماخرة بين اوروبة وامريكة جاءت والدة ثاو قاتل هويت فوصلت الى نيويورك وذهبت تو[1] الى السجن الذي انفتحت لها ابوابه لتدخل بالمهابة الوالدية. وسمع الابن وقع قدمين تفرعان البلاط بلطف مزدوج - لطف المرأة ولطف الشيخوخة. ومن قبل ان ينظر المقبلة عليه او يعرف من هي، بل من قبل ان يعرف هل كان القادم رجلاً او امرأة صرخ من وراء الحديد - امي! امي! فصرخت هي - هري! ولدي! حبيبي! - تعارفا بالروح.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

اجتمع الابن بالأم وشريعة السجن ان لا يجاز للمتهم بالقتل مقابلة احد خارج قفصه الحديدي. ولكن هذه الشريعة التي هي اصلب من الحديد نفسه لانت حتى كادت تذوب فانفتح باب القفص واندفع الابن السجين الى صدر امه وبسطت الأم ذراعيها لئلا يلطم رأس حبيبها غير صدرها او تسقط من عينيها دمعة على غير عنقه فالتقى الاثنان وتعانقا وسال القلبان دموعاً بللت حتى الضلوع واحتبس اللسانان فلم يسمع الا صوت الغيرات وعبارات الزفرات والسجان واقف لا يعترض. نسي الواجب - غلبه بياض شعر الأم الكثيرة القلب واغرقه الدموع المتساقطة فبهت لا يحرك.

وكان المنظر مهيباً!

لم يكن تساهل السجان للملاقين. لم يكن للجمال الرائع. لم يكن للاوامر القاضية عليه بالتقاضي، وانما لاجلال الشيخوخة - لاجلال شيخوخة الأم.

٢

وظن السجان ان الأم وابنها لا يفترقان، ولكن حوض الدمع لا يبقى ملآن ولا خزانة العواطف مفتوحة. فافلت كل من الملاقيين الآخر وجلسا يتحادثان.

- ماذا فعلت يا هري؟

- لم افعل شيئا وانما قتلت حشرة مضرة!

- لا تقل هذا يا بني فانك قد اجترمت جريمة عليها قصاص الموت.

- لا. لا. لم اقترف ذنباً. لأن الوحش يقتل!

- اذن انت مجنون!

- انا! مجنون! انا اقتل لانني ذدت عن شرف امرأتي. انت قاسية يا امي. حتى امي ظالمة!

- انت لست مجنوناً في كل وقت. وانما انت كذلك اذ تثور بك عواطف الانتقام. وقد كنت مجنوناً اذ قتلت عدوك.

- لا والف لا. انني غير مجنون. انني قتلت هويت لانه مس شرف اهلين وكل من يمس شرفها يموت موتاً.

- لم يتغير نصحي لك يا هري ولا تحول حبي. فانا لا اقول انك مجنون الا لأنك كنت كذلك اذ فتكت بهويت. وانت حتى في جنونك تعلم ان الشريعة تقتلك على الكرسي الكهربائي اذا ثبت لها انك صحيح العقل. فارحم نفسك، ارحم قلبي الكسير، ارحم روحي المسحقة!

- لا ارحم احداً. انني غير مجنون. وانا اعلم هذا. واهلين تعلمه وتقول قولي. ومحامي الخاص يعتقد اعتقادنا. لست مجنوناً انا.

٣

تركته امه وذهبت الى نزلها فخاوضت مكتب بلاك واولكوت

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

وضربت موعدا للاجتماع بالقاضي اولكوت الذي كان رأس المحامين فاجتمع الاثنان وتباحثا ملياً واظهر المحامي الحكيم للام الحزينة ان انقاذ ابنها لا يتم الا بالدفاع بالجنون. فاخبرته بما كان اخبره بنفسه مع ولدها وسألته انقاذ حبيبها الخاص من بين اولادها فقال لها ـ انه يجتهد. ولكن كيف يقدر ان يخلصه من غرور المرأة وتغرير الطامع ـ من القلين التي تحبه حتى العبادة على غير رؤ ومن المحامي الذي يتطلب الشهرة من وراء دعوى جنائية عظيمة ـ الشهرة مع الربح...

هذا هو الفرق بين الحب الخالص والحب الفاسد ـ بين حب الأم الحنون وحب الزوجة المتصلفة وبين الاخلاص والمذق، والمعرفة والجهل، والتبصر والتهور ـ بين محاميين احدهما رفيع حتى لا يسقط والآخر وضيع يحاول الارتفاع بتعويض من يدعي صداقته للقتل.

كثيرات هن الزوجات اللواتي يحببن بدون شك، ولكن حبهن عن غير حكمة ولا تبصرة كحب القلين التي تشفق ان يقال عن زوجها انه مجنون ولو كان في ذلك نجاته من طائلة القصاص. هي تحبه حباً شديداً الآ انها لا تدرك للخطر اهمية. هي تحبه حتى في الموافقة على الاذية الشخصية كأنها تظن ان في ذلك بعض الكفارة عن حياتها الماضية. هي تحبه حتى المفاداة وقد لا تضن بشيء دون الحياة عليه الآ انها لا تدرك ما هي العواقب. هي ترجع في مثل

هذه الشدة الى شيء من التربية القديمة فانها كالعصفورة الجميلة الصادحة تدجن ولكن تحت المراقبة.

اما المحامي الذي يدعي القدرة على انقاذ القاتل بقوة الشريعة «غير المكتوبة» فليس الوحيد بين المحامين ولا بين سائر المحترفين. فكم من الذين يتلعون الاعناق الى المعالي وهم اقزام. وكم من الذين يبذلون كل شيء وكل انسان لمحبة الذات. وكم من الذين يتطلبون الشهرة حتى بالمضرة. وكم من الاحياء في ظواهرهم وضمائرهم ماتت وهم يعلمون ان العلقة لاتكون وردة الا انهم يحاولون الارتفاع على مناكب الناس لمجرد اشتهار يعطشون اليه، ومجد فيهم اليه جوع اكال. انهم اعدى اعداء الفضل والتقدم في كل صناعة وتجارة ومهنة وحرفة.

٤

هل العمر يكسب الحكمة، والمحبة الصادقة توجب الحزم؟ لا شك في ذلك ولا ريب. ان العمر المختبر الباحث ـ العمر المراقب الملاحظ يكسب الانسان حكمة او لا يكون بين الانسان وسائر الحيوان كبير فرق. والمحبة الصادقة توجب اخذ الامور بالحزم ولو كان من ورائه الم النفس.

هذه هي الأم ثاو التي انفقت مئات الالوف من أجل ابنها ومن اجله سهرت الليالي اذ كان ينطرح في خادسها على غير هداية ودراية. هذه هي التي اقامت على احب اولادها اليها حراساً سريين

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

يراقبونه حتى لا يسقط ويتشلونه عند سقوطه ويردون المخاطر عنه هذه هي التي جادت بالنصائح حتى نفدت، ولانت حتى ظن انها تعصر، ولم تدخر في مسرة ولدها شيئاً ـ هي اليوم غير ما كانت بالامس ـ هي قاسية!

٥

ليست جدران الحديد ولا قضبان الفولاذ من حول قاتل هويت اقسى عليه من شفتي امه تتطبقان ومن اصابعها تتقبض. ومن هو هري ثاو اذا اغلق باب المصرف في وجهه وانقبضت انامل امه عن امضاء الحوالات، بل ما هو دفاع القاتل بغير مال! العدالة تنفذه؟ لا شك في ذلك ولكن للعدالة فماً يأكل ومعدة تهضم واسناناً تقضم. العدالة ـ العدالة اين هي بغير مال؟! هذه العدالة التي نغالي ونعجب بها هي راقدة بين دوائر الدولار وكل قطعة من النقود ـ الا اذا كانت صغيرة او زائفة ـ وها من الورق الاخضر دثار. هذه العدالة لها جنود لا يتقلدون في الدفاع عنها غير الاسلحة المصنوعة من الفضة والذهب او ما كان من قيمتها. هذه هي العدالة الا نادراً ـ وهي الان في صدر الأم ثاو التي تنتظر ان تلين قساوة ولدها فتنعطف عليه.

لا تقصد الأم ان تكون ظالمة ولكنها تريد ان تخفف من صعر ولدها وان تقوده الى خيره بزمام الخضوع لها. تقول له: اطعني

انقذك واعصني اهملك! ووراء الاهمال الموت ـ الموت احراقاً بالكهرباء!!!!!!

هي تقول له ما هو ابلغ من ذلك ـ ان اغراء المحامي الذي يعلك بالنجاة ليشتهر ولو فقدتك لا يدوم لك الا بمالي. وهذا المال لا ابذله الا لأشهر مهرة المحامين، لانني لا اقصد ان اعرض حياتك للخطر لاشباع طمع احد دهاة المشترعين ولك الخيار في الاذعان والرفض ـ اما ان تكون تحت امري لانني ارى ما لا تراه، واما ان تتبع مشورة طالبي المال والصيت من دعواك.

٦

انا امرأة يا هري، وقد احببت اقليني واغتفرت ماضيها ورفعتها الى اسمى منزلة. انا فوق ذلك، امك يا هري. فكل من تزاحمني على حبك تزاحمني لحب قد يكون شريفاً ولكنه لا يكون ابدياً.

من هي هذه الواقفة الى جانبك تعدك بالثبات على حبك فتزيدك تصلباً ومكابرة؟ من هي هذه التي تعتمد عليك في نفقاتها وانت علي في جميع النفقات؟ من هي التي تقول لك ان شهادتها وحدها تنقذك ـ انها مستعدة لقبول الفضيحة على نفسها بالاعتراف بماضيها لتخرجك من سجنك ـ من هي؟ من هي، اغير حبيبة هي؟ اغير زوجة لا تزال معك في اول المترك، ولكننا لا ندري هل تثبت الى النهاية او تنحاز الى الدهر عليك متى تنكر لك؟ استفق يا بني استفق!

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

٧

ولكن هري ثاو ليس كعامة الناس. انه جمع بين الشجاعة والجبانة. يقرأ الجرائد المقترحة على الشعب محاكمته فيجد ان المتصرين له والقائلين ببراءته هم اضعاف المستهجنين لعمله - لجريمته. يكون قد غلبه حنو الأم الشيخة واوشك ان يذعن لمطالبها فاذا جاءته القلين - اقلين نسيبت ثاو امرأته - ينسى ذلك الحنو الوالدي ويغرق في بحر تأملاته الغرامية لانه وجد المرأة التي يقولون ان حبها يحمل الانسان على الاستخفاف باعظم الامور حتى الموت. هو يستحم بدموعها ويرشف رضابها. في لمس يدها حرارة وفي جبينها النور. ابتسامتها راحة وهناء ونفسها النسيم الرطيب. عينها جبة سهامه وحاجبها سيف دفاعه. هي كل شيء له. هي الان نعيمه وقوته، ولا جحيم له منها حتى في اعماق السجون. هذه هي التي لا تزال مستظهرة على الأم. هذه هي الشمس في رائعة النهار لم تصبغ بعد بلون البهار وهذه هي التي يرى ثاو شجاعاً اذ تكون معه ولو بروحها، وجباناً اذ يفتكر في غيرها.

٨

ليس للاخت نصيب من الرأي مع ثاو لان النزاع بين الام والزوجة الحبيبة. الشقيقة التي يضيق صدرها عن الزفرات فتمزقه وجنتها عن العبرات فتغرقه، وتموت مئة مرة لموت الزوجة مرة لا نصيب لها من اخيها ولا حظوى لان اخاها عاشق.

قالى متى يدوم هذا؟

اتنتصر الأم التي امر الدين باكرامها؟

اتنتصر الزوجة التي قال الانجيل بالالتصاق بها؟

اتنتصر الشقيقة التي هي اكرم واشرف صديقة؟

ام ينتصر الثلاث عليه من اجل خيره، وهن قد بذلن كل شيء الى هذا الحين من اجله - من اجله فقط؟

- ٢٣ تموز سنة ١٩٠٦ -

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

من عبر البحر

١

سكنت الهمم في الرجال فانبسطت كالسهول، وعادت ثارت بهم فارتفعت كالتلول.

وضع فيهم السيف فصبروا، ونزل بهم الفقر فصبروا، ومسهم الذل فصبروا، ولا يزالون على بعض الضيم او اكثره صابرين.

ولكنها نفوس ابائهم الكبار استمتهم من الابدية هيئتها فذكروا ما لم يكونوا يذكرون ونهضت بهم العزائم فاندفعوا الى حيث لم يكونوا يندفعون او ان تلك الارواح «اللطيفة العنيفة» هبت عليهم اعصاراً فجعلتهم في البلاد تاراً فهم الان يضربون في مناكب الارض يبتغون مرافقهم بعراقهم، ويستنزلون سعودهم بهبوطهم وصعودهم، ويتيمون لنفوسهم بناءً من المجد مشمخراً، وحصناً ينطح برأسه السماء، وكان على الارض مستقراً ـ اولئك هم السوريون.

اولئك اخواني اذا الناس فاخروا باصلٍ عريق او عراك ملازم

٢

نزلوا من لبنان ليركبوا البحر بين امثال اطواده ووهاده. ونسلوا من السهول المجاورة، والآمال واسمة امامهم مثلها، وقصدوا الى ابعد من المدينة التي بناها آباؤهم. القوا على قرطجنة الطرف وان لم يتبينوا رسومها ومزقوا حجاب «بحر الظلمة» حتى بلغوا العالم

الجديد فانتشروا فيه بين القطبين لا العناء يثنيهم ولا الشقاء يثبط عزائمهم، وهم في المدينة والبرية اثر وذكر، وفي البرد والحر طي ونشر ـ هؤلاء هم السوريون

اباه وان جار الزمان عليهم بأعنفه امراً واصأبه قدرا

٣

هذا هو الفقر. هذا هو الظلم. هذا هو الدهر ـ يقول هذا وذاك وذياك ما حمل السوري على الجلاء. هذه هي المدينة، هذه هي العمامة، هذه هي الجبة ما اقصت السوري عن وطنه يقول القائلون. فهل الانسان زرع زرعاً حتى لا يطيق قلعاً، ورصف رصفاً فلا يعرف عطفاً! ألم يكن الراحل ما بين الجبل والساحل، ألم يكن منذ وجد عادياً ومنذ قوي غازياً؟

يوماً يجزوى ويوماً بالعقيق وبالـ مذيب يوماً ويوماً بالخليصاء

ليس في الجلاء بلاء ولا في الغربة سبة. ليس في التنقل غضاضة ولا في الارتياد ذل. ليس في الكد ضلالة ولا في الاجتهاد جهالة. ليس في الاقدام مسلام ولا في العزم ذام. واذا كان الجهل اوجد القهر واوجد الفقر واوجد الاستبداد واوجد قساوة القلوب وغلاظة الاعناق وجساوة الادمغة كأنها قطعة من الجماد فصار السوري يهاجر من حيث الذهب تحت قدميه والخير بين يديه بعد ان استطاب الرق ونام عن الحق وبعد ان استسلم للهوان وتقاذفته تعصبات الاديان فذلك لانه كان خلوقه جاهلاً، وعن اصلاح نفسه غافلاً، وفي مجاراة

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

الناهضين خاملاً، وامام كل مشروع قائلاً لا فاعلاً، ولكنه مع كل ذلك هو السوري

يكاد يذوب من فرط الذكاء ويصبر في الشدائد والبلاء

٤

من مثلك ايها السوري في النفس الشماء والهمة القعساء؟ من مثلك في جوب الآفاق وحني الاعناق؟ من مثلك في انكار الذات واحتقار اللذات؟ ومن مثلك في محبة النفس وتعشق الفلس؟ تجمع ما بين النقيضين ولا يهولك التبديل والتغيير. فانت في الجو والبحر سابح، وفي الجبل والسهل سارح، تتناولك المطامع وتتقاسمك المنازع وتفرقك المآرب وتمزقك المذاهب وترى حتى في بلاد الغربة غريباً عن الجامعة، نائياً عن الالفة، عاملاً على التباعد، ساعياً الى المنازعات خاطراً في ثوب الجهالة، لك من قدمك رأس ومن رأسك قدم. ويعلم الله اي وقت تريأ بك النفس عن السخف وترفعك من انقاض الضعف. ولكنك السوري على كل حال

تصافح كفّ الدهر والغدر ضاحكاً

وتعزم والويلات حولك تحشد

٥

من مثلك ايها السوري وطئت كل ارض، لا مال لك تستعين به ولا الفة تساعدك ولا صناعة تسهّل لك العمل ولا نفوذ يشدّ ازرك ولا جامعة تصون قدرك او تصلح امرك، فكنت من نفسك لنفسك

نصيراً ومن اجتهادك في جهادك مديراً، فاقتربت الغبراء والتحفت السماء وجمعت المال وانشأت المحال حتى صرت في عالم التجارة منظوراً وما بين الصرحاء في كل بلادٍ مقدوراً. وما بك آفة الاّ انتزاع ثوب اخيك وصيانة ثوب الغريب ومقاتلة ابن وطنك ومجاملة كل اجنبي والاعجاب بكل ما يكون بعيداً والاستخفاف بكل ما يكون دانياً. ولكنك السوري

حبيبٌ، على كل العيوب التي به

عزيزٌ، على علاته والشوائب

٦

من مثلك ايها السوري وجد منك اكثر من مئة الف في الولايات المتحدة وما اليها فكنت اقل المهاجرين جرائم واحفهم مغارم وابعدهم عن السرقة وارفعهم عن الفحشاء واسلمهم من الداء مع ما انت عليه من الشقاء.

تلك هي السجون ليس فيها الا الافراد من اخوتك، ولولا التهور لم يكونوا بها مقيمين.

تلك هي المستشفيات تكاد تكون خالية من اعلائك لان البلاد التي خرجت منها، والتي يوجد بينك من يحتقرها، اولتك هذه النعمة من قوة البنية واحتمال الشقاء.

تلك هي الملاجئ ليس منك من التجأ اليها واثقل كاهل الحكومة او الشعب بعجزه او حاجته.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

أليس لسان حالك يقول انه ما زالت الارض واسعة وفيها ماء ومأوى وما كل ومأمل فانت لاتكون حملاً ثقيلاً على احد.

المعامل تعوّل عليك في مصنوعاتها، والبيوت التجارية ترجع اليك في مبيعاتها، والمساكن المنفردة في الحرج والقفر تنتظرك لحاجاتها، وانت في رقي دائم وتقدم ملازم من هذا القبيل

خير بخير وكل الشر ننظره من فعلك الحر او من دقة النظر

٧

من مثلك ايها السوري تعلّم شيخك القراءة والكتابة بعد مهاجرته ونشأ صغيرك على حب العلم وطلبه ؟

من مثلك في شبانك الذين دخلوا المدارس فسبقوا اقرانهم وفازوا في كل منافسة ومسابقة ؟

من مثلك في شاباتك اللواتي هنّ بالنسبة والمقابلة اوفر البنات حشمة واكثرهن تصوناً ؟

من مثلك في نسائك يبلغن في عشرين سنة ما لم يبلغه اخواتهن في مئة سنة ؟

من مثلك في شيوخك الذين تسمع من كلامهم الوطني نغمات المحبة والامانة ؟ ومن مثلك في كل طبقة من طبقاتك ؟

صغيرك يسعى للكمال بجدّه وشيخك يسعى للجلال بجهده

٨

خذ الجرائد تجد فيها عنوان مجدك وتقدمك. ان اصغر واحقر

جريدة عربية في المهاجر من الجمهورية الفضية الى البرازيل الى ألكسيك الى الولايات المتحدة الى انكلترة فيها فائدة ولذة. بل ان ارقى صحافة عربية هي صحافتك في بلاد الغربة متى اعتبرت الوسائط وعدت الاعوام

اما ترى اعلانات التجار كاوسمة شرف

اما تقرأ مقالات الادباء والاديبات وكلها مفاخر

اما تجد للنهضة في كل رسالة حتى في الحبر البسيط اثراً

دع عنك ذكر المناظرات والمهاترات فانها لم تكن من الصحافيين ولا من الشعب بل من اعدائهم واعدائه ـ من الذين يأكلون ويشربون وينامون وتلك هي الحياة عندهم الا بما يرافقها من التفريق والتمزيق والشهوات والغايات

اقدر واشهر صحافة هي صحافتك ايها السوري !

معرض للذكاء والعلم فينا أحسن الناس ظنهم ام اساؤوا

٩

من مثلك ايها السوري لو انك ثابت ! اذكر عهد جمعياتك وما جاءت به ايام انتظامها. فهل كان سبقها سابق لو كانت الى الان ثابتة ؟

ابعث رائد الفكر وعدّ الدور والحقول التي اشتراها السوري وهو لايزال طفلاً في هذه البلاد.

واذا لم يكن للسوري شأن سياسي في نيويورك فان شأنه

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

عظيم في غيرها ـ في الداخلية وفي كل جمهورية ـ وليس غريباً ان يكون الغريب ضائعاً في مدينة مثل نيويورك.

ولائنس ادباءك الذين زاحموا الاجانب في لغاتهم وكانت لهم شهرة عظيمة. ففي الانكليزية وفي الفرنساوية وفي الاسبانية افراد من السوريين المعدودين من بلغاء الكتاب والشعراء.

اما الموسيقى والتصوير فقد سمعت بنوابغها والعهد قريب من الذكر

ولو ان للسوري شبه مشجع لكان زعيم الفضل غير مدافع

١٠

واذا كنا نكثر من الشكوى ونبالغ في التذمر فليس ذلك دليلاً على اننا في تقهقر قبيح. السوري يتقدم ولاشك في تقدمه. ولكنه لو لم يكن شديد المحافظة وكثير الادعاء ومفرطاً في خضوعه الاعمى لكان تقدمه اعظم بكثير مما هو الان

تهمل الارض سنة فلا تزرع ثم تزرع من بعد ذلك فتكون الفائدة منها اجزل. وقد اهمل السوري سنين وقروناً فهو الان مستعد لافضل التقدم والترقي بعد استراحته اذا صح هذا القياس الطبيعي.

اصلحوا بيتنا الرؤوس فانا نصلح الحال بعدهم والامورا
ضلة ان نكون في كل وقت نلبس الشر للسوى والغرورا
وامام العيون نور مضيء فاحفظوه مدى الزمان منيرا

ـ ٦ آب سنة ١٩٠٦ ـ

دوار الشمس

ليضع لك العلماء ما شاؤوا من الاسماء. ليصفك الشعراء بالاصفرار والانحناء. ليثر منك الثائرون حبات القلب ويخرجوا منك ذلك اللب فانت اجمل اذ تدعوك «دوار الشمس»

على ساقك الطويلة ارتفعت. وفي رأسك الكبير انضمت. ولم تستأثر بالسلطة والعظمة فاحللت الناصحين والساعدين من نفسك ولم ترتفع عنهم الا قليلاً لتشير الى الثرى وتدل على الجامعة وتهدي الى الاتحاد.

اقللت من المجاورين ـ اقللت من الوزراء والمثيرين لئلا تقع الضجة وتزدحم الشحناء وتصطدم الغايات وتلتطم الكائنات فابنت انك السيد بين امثالك وانت دوار الشمس

...

لماذا تتبع النور في مسيره. أأنت عاشق ؟ أأنت وثني والشمس الهتك فانت تنظر اليها بعين منكسرة من رأس منخفض ؟ أأنت مغرور فتشرئب بعنقك الملتوي الى حيث ترجو ان تستمد حرارة ؟ ما انت يا دوار الشمس ـ أأنت خطيب على منبر رفيع فلا ترى الناس الا بالانخفاض فتنحني منعطفاً وتلتوي متلطفاً ولا تخشى ان تتقصم ساقك على دقتها ولا ان ينفصل رأسك على رقته. انت ما انت يا دوار الشمس ؟

٩

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

لك في الارض مغرس حقير ولك من جسمك ظلٌ ضئيل ومن انصارك عدد قليل وليس لك بين الازهار مقام جليل فانت عجيب يا دوّار الشمس.

انفاخر بعبيرك، انفاخر بلونك، انفاخر بصلابتك، انفاخر بضخامتك، انفاخر بنخامتك ـ بماذا تفاخر ؟

...

لو كان لدوار الشمس لسان لكان يقول : انني اعلّم الناس بارتفاع ساقي وانحناء راسي ان يكونوا متضعين عند الكبر.

اعلّمهم باتخاذي الرفاق القلال ان يكون لهم عدد من خلص الاصدقاء ليس كثيراً فيختلف ولا غيوراً فينحرف.

اعلّمهم ان يكونوا على اعتدال فلايتعالوا للسقوط ولايتسامو للهبوط.

اعلّمهم ان يرعوا ويحترموا جيرانهم ويتساهلوا.

واعلمهم اموراً كثيرة منها ان قلة العدد لاتدل على الضعف متى وجد النشاط، وان كثرة العدد لاتدل على القوة متى وجد الانحطاط. والفتهم الى البلوطة وقلة عدد جنسها مقابلة مع العشب وكثرته. ومنها ان الكرام قليل. ومنها ان القوة في الاتحاد. ولكن خير ما اقيم نفسي معلماً لهم بمثلي فيه هو ـ

هو انني انا دوّار الشمس امتاز في عالم النبات بامرٍ واحد، اودّ لو يقتدي بي الناس فيه.

الى الشمس اميل بكليتي واميل رفاقي معي استمداداً للحرارة. ومتى توارت الشمس وأخذت تخفّ الحرارة، اميل الى الارض مستمداً لتلك الحرارة التي تكون الشمس ابقتها فوقها ومستخرجاً لها في قلبها منها. اميل الى الارض فاذكر في دامس الليل وفي مصبوغه بياض القمر انني حقير صغير. ولا اعتزّ ولا افتخر بما كان لي من مجد الشمس وانما اطلب فائدتي التي فيها حياتي دون ايذاء احدٍ من الموضع الذي اجدها فيه. اذكر فضل الشمس عليّ ولا انساه. واذكر جميل الارض واحترمه. للارض جسمي وللشمس روحي، ولكل عنصرٍ مفضل عليّ شكر.

...

هو الواجب ما اريد ان اعلّم. ان السعادة التي يطلبها الانسان ليست الاّ الحرارة ولكنه لايريد ان يفهم. انا لاطلب المطر الدائم ليغرقني كما يطلب الانسان الملاذّ لتبتلعه اذ يكون لاهياً منخدعاً. وهل الحمور وفواخر الالوان اقلّ على الانسان ضرراً من المطر الدائم عليّ ! الملاذّ والشهوات تبعد الحرارة عن الانسان كما يبعدها المطر الغزير عني. ولكني اعرف واجبي فلا اشتهي غيره ولا اميل الى سواه.

هو الواجب ما اريد ان اعلّم، ولااحيا الا لأبشر به. انا صامت اذ لا لسان لي وناطق بما القيه من الامثال. خذوا عني واقتدوا بي ايها الناس ! في رئة الشاعر ادخل مع الهواء عواطفي وتأملاتي.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

وعلى قلم الكاتب اسيل بهائيتي وحياتي و كل ذلك من واجبي

الحرارة، الحرارة، الحرارة، هي حياة وسعادة كل حي وموجود بنسبة الحاجة اليها. ليس لي جذوع واغصان كثيرة و كبيرة فاختزن الحرارة فيها، واعلم ان قوتي في رأسي فاوجهه الى حيث توجد الحرارة ولكنني لاحسد كبيراً ولا صغيراً ولا مماثلاً في عالم النبات

الى الواجب اعبدك يا ايها الانسان فتشبه بي واعرفه و كن عليه امينا. اخجل من اماتتي على الواجب الذي اتممه في السماء من فوق وعلى الارض من اسفل ولا اضجر ولا اتذمر حتى ينقضي عمري فاذهب الى حيث اعدّ الله لكل شيء في ومني موضعاً وغاية

انا اعلم انني «لا ازول» ـ انا مثل سائر الخلائق لا اضمحل بتحولي. وهذه المعرفة نفسها تحملني على الامانة التامة ـ على الواجب وطلب «حرارة السعادة والحياة» بالمثابرة الصادقة.

واعلم انه على قدر ارتقائي في حياتي يكون ارتقائي بعد تجددي. فهل الحالة كذلك معك يا ايها الانسان ؟

واعلم فوق كل ما تقدم ان اللين ـ ان التواضع ـ يصحب الواجب ويوجد النفع. فلو كنت شامخاً متكبراً اعرض عن مصدر الحرارة مستخفاً او مدعياً او متهاوناً او غير امين لما بقيت لي مأثرة وان بقي لي اثر. لذلك يراني الانسان على ما انا وان كان لايعتبر الاّ قليلاً بي.

ـ ١٧ ايار سنة ١٩٠٦ ـ

العالم لي

خرج التلاميذ من المدرسة حاملين شهاداتهم والمنتهون منهم يفتكرون في ان العالم لهم : اما عن ادعاء، واما عن طمع. اما غير المنتهين فيكاد يكون اكثرهم مدعياً لانه كلما قل العلم كثر الوهم وتشوش الفهم.

نحبّ ان يكون طلاب العلم من اصحاب المطامع لانهم ما لم يكونوا اصحاب مطامع شريفة ـ مطامع للخير والعلم والتهذيب والاقدام ـ لايكونون ممن يرجى منهم نفع لا لنفوسهم ولا للانسانية. وانا نكره كل الكراهية ان يكون هؤلاء الطلاب متنفخين من «الهواء الحار» ومدعين انهم اعلم العلماء وانبل النبلاء واذكى الاذكياء واجرأ الاجرياء. وقد يكونون لايحسنون انشاء كتاب بسيط او ان والديهم رهنوا املاكهم ليعلموهم او ان ذكاءهم قائم على النكات واللطائف او ان جرأتهم محصورة في هز العصي ورمي الحجارة واكثار الانتهار والضجيج.

ولسوء الحظ لايكاد يكون عدد التلاميذ السوريين المتخرجين في مدارسنا، ومن اصحاب المطامع الشريفة والبعيدة، مذكوراً، واكثرهم يُفقد الحرائة والصناعة قوة ولايفيد الادب والعلم شيئاً، وربما اضرّ، بل هو يضر

من آفات مدارسنا انها لاتهذب الاخلاق. وربما يستغرب

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

القارئ مثل هذا التعبير ويقول انها تعني بالصلوات وتسهر على حسن السلوك. ولاننكر ذلك الا انها لاتهذب الاخلاق التهذيب الحقيقي او التهذيب الدموقراطي الحر. ولاتبث في التلاميذ روح التواضع مع الشجاعة، والانفة مع اللين، والاجتهاد مع الرغبة، والرضى بما يكون لينقاد ما يرضي.

كل تلميذ يتوهم انه مخترع محنك، وانه عالم عامل، وانه شاعر مطبوع، وانه خطيب مفوه، وانه سياسي مجرب، وانه الكل في الكل. والانكى انه لايريد ان يتدرج في التقدم بل ان يكون على ذروة التقدم دون امتحان وتجريب وصبر وجهاد.

كل تلميذ رغو في العمل، شديد في الادعاء يقدر نفسه فوق قدرها ولايريد ان يعمل ليصل، بل ان يصل دون ان يعمل. وعندنا ان الخير من العلم في مدارسنا يشوه وجهه الشر من عدم استعمال العلم كما يجب.

نعم ان العالم للتلميذ المجتهد والعامل المثابر والمجاهد الباذل، ولكنه ليس لطويل الدعوى وعريضها وربما على خلو وفاض.

يجب على المدارس ان «تعلم المعلمين» ليصيروا صالحين للتعليم او ان الاعوام التي ينفقها احداثنا وشباننا في المدارس تكون «سرقة من اعمار» ويستغنى عن العشرة منها باثنتين او ثلاث، لو كان الاستعداد متوفرا.

- ٢٠ اب سنة ١٩٠٩ -

اذا خانك الزمان فلا تخن نفسك

ما هي شكواك، وممن بلواك؟

هل عاندتك الايام، هل ذهب عنك السلام، هل حامت فوقك الاوهام، هل ازدحمت حولك الطغام، او قل مالك وساءت حالك وتخاذل اصدقاؤك وخان اوفياؤك؟ - فليكن كل ذلك ولكن لا تخن نفسك!

قد تكون تحب العلم ولا تساعدك الاحوال، اما لمرض واما لفقر واما لهزء الجهل، فلا تخن نفسك وتقدم الى الامام تفز مهما يكن تقدمك بطيئاً.

قد تكون باشرت او همت بمشروع، او انشأت محلاً او معملاً وخانك الانام - فلا يخونك الاقدام!

قد تكون مزقت عن عيون الكثيرين غشاوات الجهل واقمت لهم الى الرقي سلماً او اقمت كتفيك من مراقي الذين تحب ان ترفعهم فسعوا لاسقاطك فلا تخن نفسك واستجش عزيمتك واصبر على لطماتهم وضرباتهم.

قد تكون اذعت اسم ذلك الشخص الذي يغتابك وينشت عليك الباطل ويتفوق ويحاول احباط مساعيك، فقف عند مروءتك

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

بشجاعة الاحرار لان كل مخلص كان مجحود الفضل مرمياً بالعذل، ولكنه لم يخن نفسه.

قد تكون اشرعت باب السعادة لمن لا يرضيه الا نعمك، فاهزأ بغدره ومكره ولا تخن نفسك.

قد يستعين عليك صنيعتك بعدوك او يحاول ان يجعل اصدقاءك اعداءك لقهرك ونكايتك، فلاتخن نفسك الكبيرة لمقابلة اعمال نفسه الصغيرة.

قد ينسى الذي احسنت في كل اعمالك اليه كل حسنة لك ولا يذكر الا هفوات صغيرة بجسمها ويعظمها فقف مع نفسك الأبية عاذراً لا عاذلاً.

قد تكون ذبت في حب انسان واذبت عليه عواطفك الطاهرة واستشرته فاشار ثم ظن انه «اله متجسد» وادعى المغالطة والمحاجاة فترفع وأعرض، فلا تلمه ولكن لا تعرّض نفسك للوم والتلويم بخيانتك اياها.

قد يتغلب عليك اوفى الاوفياء مخاصمين، مراغمين، فاصبر وتقو ولا تخن نفسك لان في خيانتها خيانة العقل والفضل.

قد تخدم الناس طويلاً باخلاص، وتبذل فوق ما يبذله اي انسان في منزلتك، ولا يكون جزاءوك الا التعليل والتأويل والتلويم والتذميم، فاعلم انك قوي من هذه المقاومة المتصبة في وجهك

نفسها، ولا تخن نفسك!

قد تخسر بعض مالك او كله، قد تنفق بعض حياتك او اجمل ايامها، قد تستعبد وانت حر في سبيل الغيرة والانسانية والمروءة والوطنية فتجيئك المذمات من وراء ذلك، فلا تيأس ولا تخن شيمك الكريمة ونفسك الشريفة.

قد تفرش هذا اعتبارك، وتلبس ذلك افكارك، ولا تلقى بعد ذلك الا المناظرة والمناقرة، فاعذر الضعف ولا تضعف ثقتك بنفسك.

انت اكبر من الدهر واقدر. انت بنفسك ـ اذا كانت كبيرة ـ جيش اذاء كل جيش. انت قوة ـ كل قوة ـ ما لم تخن نفسك.

الذين يحبونك صغيرا وضعيفاً بادعاء الكبر والقوة لا يحبون الا جدك ويبغضون نفسك فلا تبغضها انت.

الذين يحاولون اطفاء النور فيك لظهور نورهم ليسوا اعداءك بل اعداء انفسهم، لانهم بهذه المحاولة يعترفون لك بالفضل، وبأن نورك انور، وروحك اطهر، فارحمهم لانهم يحبونك ويقرّون لك بعد ان تغادر هذه الدنيا، فلا تفارق بهذه المفارقة اجمل واكمل صديقة هي نفسك.

هدف للسهام انت، وكلما كثرت مناقبك وفرت متاعبك ومصاعبك، وسلوكك في نفسك الامينة وفي الامانة عليها.

حتى بروتس وجد لنفسه عذرا وادعى نصر الحرية اذ غدر

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

بقيصر، ولكن حياة الاول التاريخية بحياة الشاني العظيمة. وكل عدوٍ لك بروتس اذا كنت كبير النفس، ولكن لا تقل له «حتى انت؟»

الزمان إنما هو، فاذا خانك، بل اذا خانوك، فلاتخن انت الخونة ولا نفسك، وبامانتك تربح وتظفر.

- ٢١ شباط سنة ١٩١٢ -

الثروة المصاحبة

مالك في المصرف تحت الخطر، ونقودك في الخزانة تحت الخطر، وبساتينك ودساكرك وضياعك معرضة للضياع، وتجارتك تحت رحمة الزوابع والكساد والاحوال والصروف، والثروة الحقيقية لك هي في معارفك واختبارك.

ان من يوفر لك اسباب الاختبار لكالذي يوفر لك الثروة الكبيرة التي لا خوف عليها.

اية هبةٍ اعظم من تلك التي يكون الانسان انفق الاموال والاعوام للحصول عليها ثم يهبها للمستوهب مجاناً وربما بخسارة جديدة من المال والوقت!

فكل من يجود على آخر باختباره الطويل والمفيد يكون من اكبر المحسنين اليه.

وكل من يستفيد من آخر اختباراً مفيداً وينكره عليه او يتخذه للمقاومة والاضرار به يكون جحوداً كنوداً.

وكل من ينال اختباراً نافعاً ولا ينفع به النيل الاول يكون كالولد العاق ينكر فضل والديه ولا يذكر لهما جميلاً وفضلاً ويضربهما ويسيء اليهما.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

المرتبة والمرتّب من الاختبار الحقيقي والفضل في هذا للمصدر الاول.

انت تغرس شجرة لتجني ثمرها، وتزرع ارضاً لتحصد حبوبها، وتبني بيتاً لتقيم به، ولكن اين تغرس وتزرع وتبني الا في الارض التي لها الفضل الاول.

الجوّ اوسع من الارض، فاغرس وازرع وابنِ فيه، ان كنت تستطيع، او فاذكر ان فضل حياتك المادية من الارض والعملية من الاختبار ولا تنس موفر اسبابه لك.

كل تلميذ صحيح الفضل، كريم الاصل يذكر المدرسة التي حصل فيها بعض العلم وبغار عليها ويتعصب لها ويكون قد بذل لها المال لتعليمه. وبنحو نحوه ابيّ النفس، طيب العرق مع الذي ادرك اختباره عن يده الاّ اذا كان ناكر الجميل مدعياً.

والانسان يُعرف لمعرفته الجميل ويوثق به على قدر تلك المعرفة، فاذا كان ظهوره او شهرته او ربحه من نتائج اية عناية به من غيره فتلك العناية هي الاصل في كل ذلك والى باذلها الفضل الاول.

عشرة دولارات يعيرها كريم اعارة فقط انساناً يحتاج اليها فيشتغل بها ويتخذها رأس مال ويثري بعد ذلك حتى يعد من كبار الاغنياء يكون الفضل في الثروة والغنى راجعاً الى الكريم المعير لأن

هذه الواسطة مع حقارتها جاءت بافضل النتائج.

دع عنك الاغترار بالاهلية والاستعداد والسعي والاجتهاد وكل شيء آخر. واعتبر ان احتياجك الاول الى من «جعلك» من انت وهو الامر الجوهري الذي يجب الالتفات اليه. فالوف ممن هم اوفر منك اهلية واستعداداً مهملون ومهملات، لانه لم يقيّض لهم ان يهب لهم فاضل اختباره او يساعدهم بادب وذهب. ولا يعرف الفضل الا ذووه.

ـ ٢٦ شباط سنة ١٩١٢ ـ

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

شرف العمل

لم يكن الناس في العصور السالفة يقدرون العمل قدره وقد احدث هذا الامر كثيرا من النزاع بين فئات الناس واوجد في قلوب الاغنياء البطالين شعور احتقار للفقراء العاملين وزرع في قلوب هؤلاء الحقد على اولئك.

وقد غرب عن بال الرجل الغني الثاقد المتعلم الحاصل على كل ما يحتاج اليه في هذه الحياة ان هناك اعمالاً شاقة يجب عملها لاتمام نظام الكون وان الرجل الذي يقوم بها اهل لأن ينال احترام الكل ولا سيما اذا بذل كل ما يقدر عليه لاتمام العمل الذي يصلح له.

وكذلك ينسى الرجل العامل الفقير ان في الارض اعمالاً غير يدوية. وان اخاه الموسر في الانسانية لا يدعى بطالاً اذا اتم هذه الاعمال العقلية التي لا يقدر الفقير على القيام بها بالنظر الى مسكنته وجهالته.

ان كل عمل لمقدس. وان الرجل الذي يحق له ان يزدري به ويرثى له هو الذي لا يدرك شرف العمل فيجعل البطالة معبوده.

ولكن فكرة الازدراء بالعمل آخذة بالزوال على توالي الايام. ففي هذا العصر النشيط نرى الاقوام رجالاً ونساء قداخذوا يدركون مجد العمل وشرفه وحرمته. فالعمل معتبر ومثله عامله سواء أكان ذا

حرفة او تجارة. وفي الولايات المتحدة ملايين من العمال الرجال والنساء وكلهم محترم وموقر بفضل المدنية الحديثة التي حملت حملة شديدة على المبادىء الواهية القديمة فجعلت الناس يدركون ان العمل هو حياة البشر وان البطالة هي مستنقع الشر.

زد على ذلك ان العمل ضروري لأكثر الناس. فقد كثرت في هذا العصر حاجات الناس الضرورية والكمالية فصاروا أحوج من اسلافهم الى المال لشترى حاجاتهم وأرغب منهم في الاسفار وارتياد الامصار، واصبحت مآكلهم وملابسهم واحوال معيشتهم احسن منها في أيام آبائهم الاقدمين. ولا ريب في ان كل ذلك يقتضي نفقات مالية كثيرة لا يستطيع الرجل ان يقوم بها الا بعمله واكتساب رزقه.

وهل من عار على رجل يجمع المال باستخدام دماغه وذراعه لقضاء حاجاته الحيوية في عصر كثرت فيه الحاجات. وهو اذا اراد ان يعيش عيشة اسلافه البسيطة الضيقة فقد يستغني عن اجهاد نفسه. ولكن أتراه قادراً على الرضى بتلك المعيشة؟ ألم يصبح مضطراً الى العناء في كسب مال كثير ينفقه مسروراً على تحقيق رغباته وقضاء لباناته وتكييف احواله طبقاً لاحوال العصر الحاضر.

العمل ضروري لصحة الانسان العقلية والأدبية. فالعقل يفقد قوته اذا هو لم يستخدم دائماً. او هو نظير السلاح يصدأ اذا لم يصقل، وعلى الذين يريدون ان يعيشوا عيشة عقلية ان ينصرفوا الى

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

اعمال تستدعي استخدام قواهم العقلية.

العمل يرقي الاخلاق في الانسان وما اكثر النزعات الشريفة والخلال الكريمة الناجمة عنه. فالصبر وضبط النفس والمروءة والامانة والصدق وإعمال الروية والاجتهاد والغيرة والثبات والاستقلال والشرف وسائر الفضائل البشرية الاخرى تنأتى عن العمل.

على كل امرئ شاباً كان او فتاة ان يقدم على عمل يزاوله ويتعلمه ليستطيع القيام به اذ لا غنى للانسان عن العمل كائناً من كان: فقيراً او غنياً لان العمل ان لم يكن حاجة ضرورية فهو حاجة كمالية ولا مندوحة لامرئ عن احد الامرين.

عندما يدرك المرء ان الشغل من الواجبات ليس نحو نفسه فقط بل نحو القريب ونحو الهيئة الاجتماعية باسرها ـ عندما يفقه ان العمل ضروري لرقي العالم الأدبي يصير اذ ذاك شاعراً بمسوولياته كفرد ويصبح ذا سجايا سامية تجعل صفته مقدسة فيقوم بعمله بالطريقة المثلى فلا تخمد حماسته ولا يفقد مثابرته، ويصبح والامانة شعاره ويمسي يعلم يقيناً أن الحياة الحقيقية ليست حياة الراحة والمسرة، بل حياة العمل والخدمة.

ـ ٨ اذار سنة ١٩١٢ ـ

انا

في الوادي العميق، بين جدارين يكادان يكونان ستقيمين لولا نتوء الصخور وبروز بعض الأشجار تسمع خرير ماء متدفق يصدم هذه الصخرة وتلك، وهو ضحضاح لا يحمل السفائن ولا يروي الأرض وكل فائدته في خريره الذي لا نفع منه او الذي كله ازعاج وقلاق ـ هو النهر الصغير في الطبيعة والشخص الحقير بين البشر

العالم نفسه الذي يكون اثانياً لايكون حكيماً بل عالماً. وبين العلم والحكمة بون بعيد، لان الحكمة كمال وشعور مع العلم، وليس في كل عالم كمال وشعور، بل معرفة اسباب ووقوف على غوامض.

الاثاني أو الذاتي هو الذي يطلب كل شيء لنفسه وكل خير لها دون ان يكون له اقل اهتمام بالناس او هو المقيم على شبع ودف، في منزل اشتدت حوله العواصف وكاد المسافرون يموتون جوعاً وبرداً وهو ينظر اليهم من نوافذ بيته هازئاً ساخراً، ولايجيز لهم حتى الدخول لانتظار مرور العواصف.

الانانية او الذاتية قذارة على زهرة الانسانية.

كل من يقول «انا وانا» يكون تلك القذارة على زنبقة الحياة المدعوة «روحاً».

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

لكل انسانٍ مل، الحق في اعتبار نفسه اولاً ثم اعتبار غيره ٠ ولكن ليس لاحدٍ شبه حق في اعتبار نفسه دون غيره٠ وهذا هو الفرق بين الانانية الصرفة التي لاتسمح لشركة في العواطف والشركة الانسانية او الاخوة البشرية التي بعد ان يصلح الانسان نفسه يعمل بها بما لايضرّ بمصلحته٠

قرأنا وسمعنا كثيراً «ان الفلسفة تبدأ بأنا» ولكن هذا المبدأ مثل كل مبدأ قويم يتلاعب به المتلاعبون ويحولونه الى مجاري اهوائهم فيتحول الى فسادٍ اذ لاتوجد فضيلة في «انا» اذا كانت مجردة وانما توجد الفضيلة في «انا» المقرونة بالمحبة والمروءة والعطف واللطف والحنان والاحسان والغيرة والنهضة وفي عشرات ومئات من الفضائل الكبيرة والصغيرة٠

«أنا» رأس افعى التفّت على نفسها فصارت دوائر صغيرة وكبيرة ولم يظهر منها الا شرها وهو راسها الذي فيه عيناها البراقتان وشدقها الذي فيه انيابها وعنقها التي فيها سمها القتال٠

منذ بدء التاريخ حتى اليوم لم يعش اناني اطول من حياته المحدودة باعوام وعاش كل انساني غير اناني وسيعيش الى ما شاء الله٠

ومنذ اول عهد التاريخ حتى اليوم لم يسد سائد ولا نبه نبيه ولا شرف شريف بغير المفاداة التي هي نقيض الانانية٠ فالانبياء والرسل والعظماء والعلماء ومؤسسو الاديان والدول الذين ماتوا ليحيا غيرهم عاشوا ليخلدوا بعد ان مات الجميع وطوتهم الارض ومعهم ذكرهم٠

فلان شريف النفس٠ هذا ما يقوله باعجاب حتى عدوّ الرجل الذي يكون شريف النفس٠ ولكن الصديق نفسه الذي يكون يعلم ان صديقه اناني لايتسامح بمثل هذه الشهادة الباطلة في صديقه الاناني ـ لايقول انه ابيّ النفس كريمها، لانها غير شريفة وغير لطيفة٠

لانكون متطرفين اذا قلنا ان الاناني عدوّ نفسه ومبعد الناس عنه٠ امّا كونه عدو نفسه فلأن الانانية من الادواء الاجتماعية التي لاتشفى بغير ادوية المحبة والشعور والمروءة والغيرة٠ واما كونه مقصي الناس عنه فلأن الناس يعتقدون بحق ان الاناني «اجرب» والاجرب خطر فهم يهربون منه٠

الاناني بالطبع بخيل، لأن الذي لايجود بشعور وعاطفة لايجود بطعام ونقود ولا بأي شيء آخر٠

وهو بالطبع محتال ومدعٍ٠ اما احتياله فلأن الذي يحاول الاستئثار يحتال للوصول اليه٠ واما ادعاؤه فلأنه يتوهم ان العالم وجد لا ليكون ملكاً له ولغيره مثله، بل له وحده٠

وهو بدون ادنى تردد خشن ظالم وفظّ قاس، لأن الرحمة في غير قلبه، والشفقة من غير عواطفه، والعدل من غير شيمته، والرفق من غير طرائقه٠

والاناني على انواع٠ فليس الذي يقول «انا» هو وحده الاناني، بل الاناني كل من لايكترث الاّ لنفسه٠

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

المتكبر اناني حقير على ما فيه من كبرياء وقد تكون الكبرياء اقبح ما في الانانية لأنها تدل على افتقار المتكبر الى ما يتفوق به على غيره حتى ان المدعو عالماً ـ وكل من يقرأ ويكتب ويدعي معرفة علم، عالم لسوء الحظ بيننا ـ ويتكبر اناني بجهل وجاهل بانانية، لانه لو كان عالماً حقيقياً لما كان يتكبر.

الذي يقيم نفسه في صدر كل مجلس وبيت، اذا لم يوجه كل الحديث او اكثره اليه، ويحدث الناس بخصوصياته وما يرجع الى مآثره فقط ويستأثر بالكلام دون الحضور، ويصف عامة عمة ولفة خاله وطربوش والده ودبوس خادمه وسيف «حضرته» والذي لا يعجبه احد من الناس ويجد عيوباً في افضل الفضلاء اناني من الطبقة الاولى في الانحطاط.

اقلب كلمة «انا» تجد انها تبتدىء وتنتهي على حالة واحدة ـ تبتدىء كما تنتهي وتنتهي كما تبتدىء، وفي قلبها من النون أنة. والاناني كهذه الكلمة اوله من آخره وآخره من اوله. وفي القلب منه أنة من انانيته.

هو في التجارة غير موثوق به.

هو في الصحافة ضربة على الناس.

هو في الدين لمخالفة الدين وتجويز ما يأباه وتحريم ما لا يأباه.

هو في الطب للخداع والحب.

هو في بيته نفسه غريب، وفي وطنه نفسه خائن، وفي كنيسته نفسها مارق.

هو في صداقته تاجر، وفي تجارته مكثار غدار، وفي صناعته مسترخ متوان.

وهو مع جسده وروحه بغير جسد وروح الا على اعين الناس ومسامعهم لانه «اصطناعي» لا رجل حقيقي ـ هذا هو والاناني ـ هذا هو بعض الاناني، لأنه لا يوصف بفصل صغير ولا يعرف بغير المراقبة الطويلة. اما كيف يحيا وحياته موت، ويموت وهو يفيض نعوت فمن الاسرار العميقة التي لا يكشفها تفكير ساعة ويوم.

اعتبر كيف يحتقر الاناني لذة مساعدة الناس ولا يفهم انه هو يطلب مساعدة كل انسان.

اعتبر كيف لا يراعي شواعر احد ويتوقع من كل انسان مراعاة شواعره.

اعتبر كيف يتوهم انه يربح ويكون بالحقيقة يخسر وكيف يجهل انه يجهل.

واعتبر فوق كل ذلك ان الاناني اشبه بعقل يحتاج الى الحرارة والرطوبة والايدي العاملة ومع ذلك لا يعرف لها فضلاً. ولا يرضى ان تشاركه في الثمرة التي كانت من نتائج توفرها له فوق ما هي من نتائجه الخصوصية.

الناس يعتبرون الكذاب كذاباً لانه ينقل ما هو غير صحيح

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

وغير صادق مع ان الاناني اكذب كذاب في كل اعماله واقواله حتى مع نفسه فهو الكذاب الذي يستوجب الاحتقار.

فمن يرضى بالاثانية بعد هذا الوصف ومن يتغاضى عنها بعد ان يعلم انها من الحقارة والصغارة لا من المنزلة السامية والخطورة وبعد ان يثبت له انها رذيلة لا فضيلة.

ـ ١٩ اذار سنة ١٩١٢ ـ

العمى والجنون

ايهما أثقل وطأة على الانسان : الجنون ام العمى ؟

خير للانسان ان يعيش اعمى خمسين سنة من ان يعيش مجنوناً خمسين يوماً بل خمسين ساعة.

العمى في بعضه نعمة على الانسان والجنون في كل ابعاضه نقمة عليه.

التصورات السامية، التروي في الاقوال والاعمال، التحذر من المخاطرة، الابتعاد عن المزالق، والف شيء آخر من مرافقات العمى. وليس من مصاحبات الجنون الاّ الجنون.

اذا كان افضل ما في الانسان الفكر، واذا كان انفع ما للانسان الفكر، واذا كان الفكر هو الذي اوصلنا الى هذا الرقي الذي ندّعيه فهو في الاعمى اجلى واصفى منه في غيره.

كان ابو العلاء المعري اعمى وهو فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة.

وكان ملتون اعمى وهو عند بعضهم اشعر من شكسبير.

فالعمى في بعضه نعمة على الفقير المستعطي الذي يعيش «على عينه».

بل ان العمه نفسه وهو دون الجنون اثقل على الانسان من العمى.

ايها القراء ! العمى حرمان البصر والعمه حرمان البصيرة،

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

والبصيرة خير من البصر. واذا كان العمه شراً من العمى فكم يكون الجنون شراً منه!

اتعتبرون اجمل الناس عينين اذا كان لا عين لعقله؟

ملايين الناس من رجال ونساء كانوا اجمل من الجآذر عيوناً ولم ينظروا بها. وكثيرون من العمي كانوا «ينظرون بافكارهم» ما لاينظره احد من اصحاب اجمل العيون.

ماذا يفقد الاعمى غير النظر الى جمال الطبيعة من الشمس المادة البنا جمالها الى الحسناء المادة البنا جمالها؟

يحرم الاعمى انظر الى الزهرة الجميلة ولكنه لايحرم شمها ولمسها - يحرم النظر الى الرجل الجميل الطلعة المختال بحسنه الذي قد يكون ويلاً عليه وسبباً لحوله وسقوطه ولكنه يتمتع بجمال اقوال وآراء الرجل الفاضل العاقل - يحرم النظر الى دائمة الجمال المدلة به والمدلة به ايضاً «كبراً» ولايحرم آيات فضلها ومبتكرات عقلها اذا كانت فاضلة عاقلة، فماذا يكون قد حُرم؟

الجنون داء عقام والعمى عرض فيه حسرة وليس فيه آلام فالعمى خير من الجنون.

للذين يعيشون للجسد دون الروح، وللحم دون الفكر، وللبطن دون الرأس العمى شر من الجنون. او انه لايختار الجنون على العمى الا من كان مجنوناً لدرجة - والجنون فنون.

ايحزن الاعمى لانه يضطر الى تلمس طريقه او الى من يقوده

الى بيت صديقه وهو يعلم ان المجنون - دون ان يكون جنونه مطبقاً - يخبط دون اهتداء ويتعثر في الظلمة وفي الضياء!

الاعمى يقرأ كتباً معدة له ويزداد نوراً داخليا والمجنون يتنقل من الظلمات الى الدجنات ولا نور له.

من اقدر المحامين في مدينة نيويورك اليوم محام اعمى شهد له المبصرون انه فيلسوف ذكاء وكوكب ضياء. وليس في المجانين واحد يجاز له ان يمشي في الاسواق بعد ثبوت جنونه.

اما تغمضون عيونكم اذا اردتم استجماع افكاركم. وهل ينكر منكر ان الانفراد في الظلمة او الابتعاد عن بهارج الحياة ادعى الى الفكر وافضل عند التروي من انفتاح العيون على كل ما في هذا العالم او على بعضه؟

العينان ذبالتا مصباح مملوء زيتاً لهذه الآلة المدعوة جسداً كلما استعملتاها افلتا من الزيت. وكلما استغنينا عن استعمالهما اكثرنا منه للقلب والدماغ اللذين هما أهم من النظر - اللهم الا ان يكون استعمالها لامتصاص زيت جديد من المعرفة والعلم.

كلما حسر الانسان امتدت بصيرته وكلما قصر نظره طالت فكره، وللانسان اختيار ما يحلو له.

ان نتيجة هذا السؤال المطروح علينا هي من الفكر لا من العين - هي من النور المجبوء لا من النور المنتشر - هي من نهار العقل لا من نهار العين فالعقل افضل من العين.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

لو كان الفضل للعين الجديدة دون العين العقلية لكانت الحيوانات والطيور يبقين من آثار النظر ما تحار فيه افكار البشر، ولكن العين في الانسان وجدت لقبول المعرفة وعكس نورها على العقل. فاذا كانت غير صالحة لعلة من العلل فوجودها وعدمه سيّان.

قد يجعل العلم العميان يبصرون في مستقبل الايام بطرائق مختلفة ارقى من الحروف النافرة واللمس اللطيف. وانما العلم يعجز عن جعل عيون فكرية في الرؤوس الخاوية الخالية الاّ اذا استطاع «الخلق» وهذا بعيد جداً. وكلمة «مستحيل» فيه وضعية.

للبصيرة عيون لا تنفأ ولا تسهل ولا تقلع ولا تنطفئ. اما عيون البصر فمعرضة لما لا يحصى من المخاطر وقد تكون - وهي مخلوقة للتوقي - من اكبر اسباب المآثر.

وافضل ما نستطيع ان نقوله هو ان لعيون البصائر عيوناً من العيون لا تظلم ولا تنضب ولا تفور ولا تفسد وآثارها امامنا في كل يوم او ان آثارها امام العيون العقلية والفكرية في كل كتاب وعلم وفن وصناعة واختراع وتجارة وزراعة ولا ينكر هذا من له بصر من البصيرة.

هذا هو رأينا بسطناه للفصل بين افضلية العمى والجنون او العقل والجهل. والبحث يحتمل التوسع الكثير الا ان في القليل ما هو كثير للبصير.

- ١٢ حزيران سنة ١٩١٢ -

العمر والفكر والبشر

كانت ايام وانقضت يقولون فيها ان التعمير مستقل عن التفكير وانه لا علاقة للعقل بتمدد الايام وتقلصها، لان الحياة كانت مادّية، اما اليوم - وان يكن لا يزال لهذا الوهم انصار - فالمتنورون الحقيقيون يعلمون ان الجسد من الحياة كالسلك للكهرباء - هو مادة وهي روح.

اشتغل وافكر وارجُ تكن لك حيوية ولا يهرم يوم من ايام حياتك الاّ ليهجع في الظلمة ويولد مع الفجر مبتسماً للعمل والتفكير والامل.

الحيوية من الحياة وعلى قدر توفرها فيك تكون اهليتك للحياة.

كل من تصبح «غريزته» وتصدق همته يكون امام عدوه الذي هو الموت عدّاً، لا يلحق الاّ اذا عثر - وعثرات الانسان كثيرة.

في غير موضوع الخلود بالآثار نحن اليوم - نحن في موضوع الحياة التي نفهم بها البقاء ما دام في السراج زيت للاضاءة.

يذهب البعض الى ان الجسد بنيان تهدمه الايام، وهم مصيبون، الاّ في الفترة التي يجب ان يبقى البناء فيها قائماً وفي العناية المبذولة لصونه فالاهمال التام يوجد التداعي ويوصل اليه التطرف في طرائق العناية التي هي في اكثر الاحيان تهديم لا ترميم، فبين بعلبك والاهرام فرق، الا ان الطوارئ التي وقعت لبعلبك لم تقع للاهرام

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

ـ لذلك نرى هذه قائمة بعظمة وتلك نائمة بما يكاد يكون هواناً من بقاياها.

القول الذي نقوله او المذهب الذي نذهب اليه أيّده ويؤيده التاريخ وانبته ويثبته الاختبار من أنّ كل ناهض، مجتهد، مفكر يكون اطول عمراً من الخامل البليد والكسلان الجامد الذي يزعم ميله الى التضجع والاسترخاء ان الحيوية المخزونة في جسم الانسان محدودة، كلما انفق منها قصر أجله، وكلما اقتصد بها أطال عمره.

لنفرض أن الانسان شجرة مثمرة، وأثناء لاطالة عمرها، نتزع الاوراق والازهار منها لتظل مائيتها أو حيويتها فيها، فهل تكون نفيدها بشيء؟ كلا! انا نكون نعرضها للخطر القريب، لأن غاية الخالق ان يتم عمل الطبيعة او ان وظيفة الطبيعة ان تتم غاية الخالق منها، فورق الشجرة وزهرها وثمرها كله ضروري جداً ولا يؤثر في الشجرة ان تكون مثقلة بالاثمار التي هي من الشجرة كالاعمال من الانسان.

ولنفرض ان الانسان قاطرة قوية تجرّ عدداً من ارتال وان تلك القاطرة في حركة مستمرة الاّ في ساعات معلومة، فهل يتوهمن عاقل ان قاطرة اخرى مثلها موضوعة تحت سقف ومعرضة للصدأ دائماً ينقضي عليها من الايام اكثر مما ينقضي على القاطرة المتحركة؟

الانسان يستريح والشجرة تستريح والآلة تستريح، ولكن الراحة الطويلة توصل الى العلّة، والعلّة الى الانحلال.

انظروا الى الشجرة والآلة اللتين جعلناهما مثالين كيف ان الاولى لا يكون لها ربيع وصيف الاّ اذا كان لها خريف وشتاء وان عملها الحقيقي لا يتم حينما تكون مورقة مزهرة، بل عندما يقرسها الشتاء يبرده ويهزّها بنوءوجه ويقع عليها يبرده وثلجه، وكيف ان الثانية يأكلها الصدأ ثابتة ويوجد فيها تقلصاً حيث يشتد الضغط فتقلّ فائدتها.

كل حيوان ونبات وآلي يحتاج الى تغذية وعناية وراحة باعتدال الاّ ان الحيوان ـ ومنه الانسان ـ يحتاج الى العمل، والانسان من الحيوان يحتاج الى التفكير ليستقيم له التدبير.

بالعقل كان رقي الانسان، وبالعقل يظل راقياً، وفي اي وقت تولاه الخمول وتغلب عليه حب الراحة يرجع الى الوراء ويسارع الى الانحطاط ويستبدل ارتقاءه بهبوط.

من الادلّة على كون العمل يثير الحيوية، والعناء يبعث القوة، والشقاء يوجد الحكمة والصبر، وان في كل ذلك اطالة العمر أن الذين نقرأ عنهم من الشهداء والنساك الى العظماء والنوابغ لم يكن واحد منهم يعتقد بالفراش الوثير والراحة الكثيرة والطعام اللذيذ والشراب الطيب ـ لم يكن احد عظيماً الا بعظمة شقائه وبلائه واجتهاده وجهاده.

الشجرة التي تقيم فوقها مظلّة لتصونها من الحوائك والشمس والزمهرير والثلج تجف شيئاً فشيئاً الى ان تموت من تلك الوسائط

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

ـ لذلك نرى هذه قائمة بعظمة وتلك نائمة بما يكاد يكون هواناً من بقاياها.

القول الذي نقوله او المذهب الذي نذهب اليه أيّده ويؤيده التاريخ واثبته واثبته الاختبار من أنّ كل ناهض، مجتهد، مفكر يكون اطول عمراً من الخامل البليد والكسلان الجامد الذي يزعم ميله الى التضجع والاسترخاء ان الحيوية المخزونة في جسم الانسان محدودة، كلما انفق منها قصر أجله، وكلما اقتصد بها أطال عمره.

لنفرض أن الانسان شجرة مثمرة، وأثناء لاطالة عمرها، نتزع الاوراق والازهار منها لتظل مائيتها أو حيويتها فيها، فهل تكون نفيدها بشيء؟ كلا! انا نكون نعرضها للخطر القريب، لأن غاية الخالق ان يتم عمل الطبيعة او ان وظيفة الطبيعة ان تتم غاية الخالق منها، فورق الشجرة وزهرها وثمرها كله ضروري جداً ولا يؤثر في الشجرة ان تكون مثقلة بالاثمار التي هي من الشجرة كالاعمال من الانسان.

ولنفرض ان الانسان قاطرة قوية تجرّ عدداً من ارتال وان تلك القاطرة في حركة مستمرة الاّ في ساعات معلومة، فهل يتوهمن عاقل ان قاطرة اخرى مثلها موضوعة تحت سقف ومعرضة للصدأ دائماً ينقضي عليها من الايام اكثر مما ينقضي على القاطرة المتحركة؟

الانسان يستريح والشجرة تستريح والآلة تستريح، ولكن الراحة الطويلة توصل الى العلّة، والعلّة الى الانحلال.

انظروا الى الشجرة والآلة اللتين جعلناهما مثالين كيف ان الاولى لا يكون لها ربيع وصيف الاّ اذا كان لها خريف وشتاء وان عملها الحقيقي لا يتم حينما تكون مورقة مزهرة، بل عندما يقرسها الشتاء يبرده ويهزّها بنوءوجه ويقع عليها يبرده وثلجه، وكيف ان الثانية يأكلها الصدأ ثابتة ويوجد فيها تقلصاً حيث يشتد الضغط فتقلّ فائدتها.

كل حيوان ونبات وآلي يحتاج الى تغذية وعناية وراحة باعتدال الاّ ان الحيوان ـ ومنه الانسان ـ يحتاج الى العمل، والانسان من الحيوان يحتاج الى التفكير ليستقيم له التدبير.

بالعقل كان رقي الانسان، وبالعقل يظل راقياً، وفي اي وقت تولاه الخمول وتغلب عليه حب الراحة يرجع الى الوراء ويسارع الى الانحطاط ويستبدل ارتفاعه بهبوط.

من الادلّة على كون العمل يثير الحيوية، والعناء يبعث القوة، والشقاء يوجد الحكمة والصبر، وان في كل ذلك اطالة العمر أن الذين نقرأ عنهم من الشهداء والنساك الى العظماء والنوابغ لم يكن واحد منهم يعتقد بالفراش الوثير والراحة الكثيرة والطعام اللذيذ والشراب الطيب ـ لم يكن احد عظيماً الا بعظمة شقائه وبلائه واجتهاده وجهاده.

الشجرة التي تقيم فوقها مظلّة لتصونها من الحوائك والشمس والزمهرير والثلج تجف شيئاً فشيئاً الى ان تموت من تلك الوسائط

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

المريحة نفسها. ومثلها الانسان ومائر الحيوان الذي يعيش بين الراحة والتأنق والسكون والحمول والمآكل والمشارب الطيبة.

قلنا ونقول ان العمر في الفكر والبشر. اما الفكر فلأنه القوة المعدة لأطالة الحياة كما هي معدة للتوليد والتجديد، واما البشر فلأن كل من يحب ان يطول عمره يجب عليه ان يطرح همومه وغمومه جانباً وينصرف الى ما هو أجود له وأعود عليه منها.

لانقول انه يجب على الانسان ان يكون هازلاً مشموذاً ومازحاً ماجناً، ولا ان يفهم بان البشر ابتسامة وضحك وخلو وعدم اكتراث، بل ان يكون الضمير حياً والقلب نقياً ولو بدا على الوجه عبوس وجهامة وشحوب وتقطب، لان البشر الحقيقي على غير هذا القسم الظاهر للعيون من جسد الانسان.

البشر المفيد هو بشر القلب لا الوجه.

قد يكون الانسان بين البلايا والرزايا، قد يكون هدفاً للاتعاب والاوصاب، قد يكون غرض الحوادث والكوارث، قد يكون مطلب النكايات والغوايات، واذا كان قلبه نقياً وضميره حياً، لا هذا يبكيه ولا ذاك يختلج عليه بالتوبيخ، فهو سعيد ومسرور.

الشرير وحده يبتسم مماذقاً ويبشر منافقاً ويجعل ظواهر سروره من اسباب نجاح شروره، او ان البشاشة عنده احبولة مكر ومصيدة غدر، وخير للانسان ان يكون باسراً لا ماكراً، وان يكون كريماً لا لئيماً.

وعندنا ان الذي يريد ان يكون سعيداً ومسروراً يجب عليه ان يكون عاملاً على رجاء وراجياً على وفاء ـ يجب ان يكد ويجد ليجد، وأن يكدح ليفلح، وهب انه سعى ما استطاع وطمس المثل ما كان له من الأمل فيكون قد ظفر من حيث توهم ان مساعيه هبطت لان الظفر لا يعني التمتع بأثماره، والظافر حي دائماً.

ان الذين ظفروا ظفراً حقيقياً هم الذين جاهدوا وخلفهم من جاهد الى ان ابتسم الفوز لمن جاء بعدهم.

الدول والدين والمبادىء لم تعزز في عهود موسسيها وواضعيها والقائمين بها، لانهم كانوا مشتغلين عن التوائه بالحقائق، ومهتمين بما يؤيد القوة او يعزز الآداب وينقف الاخلاق، ومنصرفين الى توطيد الاسس المتينة، ولكنهم كانوا من ثنايا غضون وجوههم التي تركتها العزائم والايام آثاراً لها يتسمون بقلوبهم ابتسامات الذين عرفوا انهم للانسانية الناعسة جنود داعون فجاءوا منبطين وقضوا مغبوطين.

في هذا العصر، المنبت لنا كل يوم رغبة وهوى، والمنذر ذهول الناس فيه بالحمول، لانكتب من اجل الذين قطعوا من مراحل الحياة اكثرها بل من اجل الذين لا يزالون على حدود المراحل التي لا بد من قطعها ولكنهم لا يجبون الاقدام لما تولاهم من الحور والاوهام فهم يحسبون الحياة الجديرة بالانسان نعمة ونعيماً لا سعياً وهدياً، وان الحياة لا تطول، والاموال والملاذ لا تثمر الا بالجهالة والسفالة والبطالة

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

وفاتهم ان الشقاوة منبثقة من الرخاوة، وان في صميم الرخاء بلاء وشقاء.

هذه هي قواعد التعمير: فكر مقيم، وبشر سليم، وعزم صميم، ومبدأ قويم، وعزم ملازم، وعمل دائم، وتقليل رذائل، وتكثير فضائل، وشغل مفيد، وغرض مجيد، وسعي للخير مستمر، الى ان ينصرم حبل العمر. اما الكسالى والمترفهون وحملة الاحقاد والتواطئون، وعجاف الاعمال وسمان الاقوال، فبشرهم بالاعمار القصيرة، والآثار الحقيرة والموت قبل ان يموتوا.

بقي ان نقول كلمة في الحجة التي يقيمها بعض المتسرعين لرد القول الذي نقوله. يدعون ان فلاناً وفلتاناً كانا على ما وصفنا من الاجتهاد ولكن لم يُرجأا، ويتوهمون ان مثل هذه الحجة معقولة ومقبولة دون اعتبار الوراثة والطوارئ، وطرائق المعيشة.

قد يكون الانسان «شغيلاً» ولا يتسع له في الاجل، اما لأن والديه او احدهما اورثه ضعفاً ليس الذنب فيه عليه، واما ان يطرأ على صحته طارئ من اجل تفريطه او افراطه، وتطرفه او تهتكه، وادمانه الخمرة ونهمه وبطنته وغير ذلك مما هو معروف عند العارفين الا ان ذلك لا ينفي ان هذا الانسان الذي عاجلته المنية وكان مجتهداً لولا اجتهاده لكانت المنية انشبت فيه اظفارها قبل ان اشب بشهور واعوام ومثل هذا الموت انتحار يكون عادة بطيئاً، ولكنه يقع كثيراً او ان وقوعه كثير بين جميع الطبقات.

ليتناول الانسان لرئتيه غذاء من الهواء النقي وليغتسل كثيراً بالماء والصابون وبما هو افضل منهما - بالشمس - وليتناول الاغذية البسيطة والخفيفة وليعتدل في شرابه ودخانه وليتم جيداً ملء عينيه ويلبس جيداً دون انتقام من جسمه وليتقوّ بفرح الروح وسلامة الضمير والاحسان الى المستحقين وليشتغل بعد ذلك ست عشرة ساعة في اليوم ولا خطر عليه ولا هو يندم.

مذهب ذهبنا اليه، وللناس مذاهب.

- ٢٠ تموز سنة ١٩١٢ -

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

جنين الايام

١

وميض يلوح فتراه عين الروح وتنوه اليه ومع كونه قريب الزوال فهو بعيد المنال ـ فترة في معرض الفناء والبقاء يولع الانسان بها ويتمنى لو تدوم له وهي بدء الارتقاء ـ غرور حتى بالشرور وشرور حتى بالسرور، والانسان عالق باذيال ما يدعوه حياة ولا يتفكر ولا يتدبر. فما هي الحياة؟ ما هي الحياة؟

البحر عريض عميق وهو ملح اجاج في هدوئه وفي اضطرابه وانيا يعذب ماؤه عند ارتفاعه متبخراً. وهكذا هي الحياة للانسان تتناوله المضرات وتعانقه السرات ولا يجد يوماً سعيداً ولا عيشاً رغيداً قبل ان يرتفع الى السماء ويتجرد من المادة.

ارتفاع الانسان عن الارض كارتفاع الماء من اليم لا نراه بالعين المجردة ولكنه موجود لا يحتاج الى شهود.

حلواً يصير الماء بعد ان تجذبه الشمس اليها من البحر وحلوة تصير حياة الانسان المرة بعد ان ينتزعها الموت من بحر هذا العالم ولا يأسف على فراق الدنيا الا الغبي والردي. اما الغبي ـ فلأنه ينخدع بظواهر الامور. واما الردي ـ فلخوفه من دينونة الضمير ـ دينونة الرب القدير.

٢

يولد الطفل فيلف بالاقمطة ويخشى عليه من كل شيء. ولا يكون نافعاً قبل ان يصير يافعاً. وكذلك تنبت الشجرة ولا تحمل ثمراً قبل ان تبلغ النمو اللازم لها. ثم يبلغ الانسان حداً من النمو ويرجعان الى الصغر الى ان تتم فيهما الغاية التي وجدا لها وتكون حياتهما اما طويلة مع قلة الايام واما قصيرة مع كثرتها. لان ذلك يرجع الحكم فيه الى الثمار.

فكم من حياة انسان لم تتجاوز الاعوام وكانت في العالم قوة، واخرى طالت حتى اضجرت وذهبت بدون فائدة على الاطلاق.

فحياة الانسان لا تعتبر بالاعوام بل بالاعمال. فقد لا يموت ابن اربعين وله آثار. وقد يموت ابن مئة ولا يحفظ له تذكار.

٣

الذين يعيشون لنفوسهم يعيش الناس في غنى عنهم. والذين يعيشون للناس يعيش الناس لهم ما داموا يتوالدون. لذلك نصرخ فيكم ان ابقوا لنفوسكم آثاراً خالدة من غير العقار والنضار وكل ما هو زائل.

الحياة جنين للايام فينا. وهذا الجنين لا يشب ولا يشيب الا على الاعمال الشريفة والمآثر الحميدة او يذهب سقطاً يرافقه السقوط

هذا الجنين لا يرى من الدنيا الا بهارجها. الا انه لا يفهمها، بل لا يفهم نفسه. فيحيا ويموت جاهلاً بتفاوت قليل.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

٤

ما هي الحياة؟ اهي غير حوض صغير يستقي منه الانسان في كل يوم، ولا ينضب فيه ماء ينبوع ولا يسقط فيه ماء مطر، فنفاد ما فيه منتظر، ومتى نفد او نضب فكيف يتجدد؟

الفرق بين الحياة الزائلة والحياة الخالدة ان حوض الاولى على ما وصفنا، وحوض الثانية من معين لا يجف، وبزيادة لا تنقص.

تملأ صفحات اجراند ببطون الكتب في وصف الحياة ويبقى مجال القول وسيعاً، وجل ما تتوخاه الان ان نشير الى غرض واحد من جعل الحياة موضوعاً لهذا المقال.

ليس «كل شيء مصيره للزوال» كما قال الشاعر، كل شيء مصيره الى الخلود مهما كثر تحوله.

من صلصال خلقنا والى تراب نعود، وحياتنا الدنيا وقتية، الا ان لنا حياة لا حد ولا نهاية لها وهي «حياة الروح».

واذا كانت لنا حياة خالدة في الآخرة فلماذا لا يكون لنا حياة منها خلود في الحاضرة؟

٥

غريب امر بعض العلماء انهم يعترفون حتى بخلود المادة او بانها تحول ولا تزول، وينكرون خلود النفس التي هي اشرف جداً من المادة ليس من نظر ديني بل من نظر علمي. وليس في المادة

ما تشبه الروح به لسمو هذه بما لا يدرك عنه وفي هذا العجز وحده من البشر ما يوجب الاعتقاد بخلود النفس ليس بعد الممات بل في الحياة.

من يستطيع ان يجعل في العدم ارواح عظماء الناس من رجال ونساء؟

من يستطيع ان يسحق روح روفائيل في ريشته، وهوميروس في قلمه، ونابوليون في سيفه، والمسيح في حكمته، ومحمد في اصلاحه

من يستطيع ان يميت روح هوغو في ارتفاعه، والمتنبي في حكمه، والمعري في تفكيره، وشكسبير في بلاغته؟ واذا كان هؤلاء الناس خالدين بارواحهم فهل من الغريب ان يكون نصيب الارواح السامية او الالهية المشابهة لارواحهم غير نصيبهم!

كل خلود من الحياة يبتدئ على الارض. واذا كان في كلامنا بدعة فنحن قادرون على تأييدها وتفنيد كل قول يؤتى به لنقض حقيقتها.

أليس حياة الخلود تبتدئ من هذا الوجود اذ يأخذ الانسان بابقاء اثر جميل وجليل لنفسه؟

كل حياة تؤثر فيها الروح على الجسد خالدة.

كل حياة تؤتى بها الاعمال الصالحة خالدة.

كل حياة تستظهر فيها المحبة على اعدائها خالدة.

وكل حياة «انسانية» بما في الكلمة من قوة المعنى خالدة. ولا

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

نبالغ اذا قلنا ان الحياة بالمعرفة واللطف والاحسان والعرفان خلود حتى في هذه الدنيا.

ليؤلف الانسان كتاباً جليلاً يقبله العالم او اكثره لنفاسته فيكون ابقى له من المساكر والقصور والعساكر والنصور ومن كل كنوز المال وخزائن الجوهر.

فمن شاء ان يخلد فليجدّ على المبادى، والفضائل ومن لم يكن له خلاق واخلاق فهو في حياته ميت.

ـ ٤ كانون الثاني سنة ١٩٠٧ ـ

يجب ان نحلم

يجب ان نحلم، لأن من لايحلم لايتقدم.

ولكن اذا كان يجب ان نحلم فباقوى حق يجب ان لانضعف.

بين ان نرتفع بافكارنا من الحضيض الى السماء وبين ان نهيم في فضاء الاختلاط والالتباس مثل ما بين الكلام المفيد بالرأي السديد والهذر والهذيان بتيه وطغيان.

يجب ان نحلم احلاماً نهارية لا ليلية ـ يجب ان تكون رؤانا مقاصد نبيلة لا مستحيلات معنيّة.

الى الاحلام ندعو وبالتفكير ننادي، لأن ما نرمي اليه هو ان تكون لنا غاية نطلبها وضالة ننشدها ومقصد نسعى وراءه.

وبيان أنّم نودّ ان نحفز القاعدين ونحرك الجامدين فنكون على هذه الكرة، مثلها ندور بنظام، ومثلها، نرود دون جمود.

كان ابرهيم لنكلن يحتطب في الغاب حينما اعيته التشظية فانطرح على جذع الشجرة التي قطعها وتناول كتاب الشريعة الذي كان يصطحبه ليدرس فيه، وهناك تحت اشعة الشمس او ظلال الاغصان حلم حلمه في اليقظة وعزم على السعي لنيل مرتبة رفيعة وظلّ يحلم الى ان جلس على كرسيّ الرئاسة في البيت الابيض لان احلامه لم تكن اضغاثاً.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

يجب ان نحلم للتدبير لا ان نضغث بغرور، او يجب ان نتذكر دائماً لننال، وان نعتقد بان نيل اي منزلة او كرامة من المحال بدون سعي واجتهاد.

على ان الاحلام النهارية التي نرغب فيها ليست الطيران على اجنحة الآمال دون اعمال ولا التحليق في الغمام دون اقدام ولا الغوص على اللآلىء في الاودية والاغوار لان المجانين يفعلون مثل هذا ويتحرون.

اذ نقول انه يجب ان نحلم نقول انه يجب ان نفكر وندبر ونتأمل ونتروى، ولايفهم خلاف ذلك الا الذين يحيون الحياة ببلادة وذهول، ويتوقعون الرقي من الكسل والخمول ولايكون مثل هؤلاء نجاح.

لايفوز من لايطلب، ولاينال من لايتعب، ولايرتفع من لا يتوقل، ولاينهض من ينام، لترتفع به الاحلام، او ليرتفع بالاوهام.

جيش جرار هو جيش الاغرار الذين ينتظرون انقياد السيادة او السعادة اليهم وهم على وطاء الانتظار وتحت غطاء الاغترار. هؤلاء هم الذين يحرفون ويصرفون ويولولون ويتعللون لانهم اعلاء في الاقدام وواهمون بصحة الاحلام الا اذا كانت تدابير محكمة ومساعي حكيمة واغراضاً بعيدة واراء سديدة.

على الشبان ان يحلموا اكثر من الشيوخ، الا ان حق هؤلاء لايسقط اذا كان في قلوبهم فتاء، وفي عزائمهم مضاء او يكون الشاب

ثائبة، والكهل حملاً، والشيخ عبئاً، ليس على انفسهم وذويهم فقط بل على الانسانية عموماً، لان بالاحلام وبها وحدها تنال الغايات وتدرك المقاصد.

كان كل رجل عظيم يحلم — من يوسف بن يعقوب الى نابوليون الاول. ولكن لم يكن احد يعول على الاحلام تعويله على الاقدام.

وما هي الاحلام التي ندعوها نهارية لئلا تكون من تخمة او اضطراب ومن طعام او شراب؟

انها تلك التي يجعلها الرجل مقاصد يسعى وراءها ولايتكفىء حتى ينالها او ينال اكثرها.

هي ان يعزم الامي على التهذب فيتهذب، والكسلان على النشاط فينشط، والمقامر على العدول فيعدل، والخامل على الظهور فينبه، والجاهل على طلب الحكمة فيكون له منها نصيب.

ليصمم اي انسان على نيل غرض فهو نائله اذا انصرف اليه بكل قواه ومواهبه وعاف في سبيل نيله غرضه الشريف شهواته وملذاته وغاياته ونكاياته غير آسف على كثير او قليل منها.

كل من اراد ان يكون صحافياً ـ مثلاً ـ واهّل نفسه للصحافة فبدون شك يصير صحافياً ما لم يتوهم ان اصداره وريقة بيضاء على منبجات سوداء وبيذوات وهراء هو الصحافة.

كل من مال الى التجارة وهيأ نفسه لها يصير تاجراً مذللاً كل

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

غبة تنتصب في وجهه بشرط توفر شروط التجارة فيه. وهكذا في الطبابة والصناعة والحراثة والسياسة وكل شيء آخر.

ولكي يكون الحلم حلماً لا ضغثاً ووهماً يجب ان يتعب الانسان وينصب وان يتعرض للمعاير والمخاطر غير متململ في مشيه على مثل شوك القتاد اذا اضطر الى المشي حافياً وغير آسف على الستر والشبع اذا كان لا بدّ من العري والجوع، لان الذين يطلبون المعالي على الفرش الوثيرة وبين المخاوف الثابتة عليها الازهار والجارية مقابلها الانهار يطلبون الحياة من الموت والنعيم من الجحيم.

احلموا واعتزموا تتقدموا، ولكن يجب ان تكون عيونكم غير مغمضة عند ازدحام الآمال والاماني عليكم لئلا تسيروا متعثرين وتسروا متكعين وتسقطوا خائبين.

بالاحلام والاقدام انتصر الغزاة واكتسحوا وابسلوا، وبالاحلام والاقدام اكتشف المكتشفون واخترع المخترعون وكانت وما زالت سنّة الدهر واحدة.

يكون في البلد رجل مشهور ممتاز بشيء حتى يقال عنه انه واحد عصره وفريد دهره فيحلم حالم بمجاراته وسبقه وينال ما يريد بالعزم الصليب والقصد الأكيد فلا تكاد تغيب شمس شهرة الثابغة الاول حتى تبعث اشعة شهرة الثابغة الثاني، ويجيء الثالث فيفوقهما والرابع فيترك السابقين وراءه وكل ذلك بالاستعداد والاجتهاد والاحلام والاقدام.

يزعم السوريون في المهاجر انهم غرباء او دخلاء وانه لانصيب لهم في الزحام العصري - ذلك لانهم لايحلمون ولايقدمون مع اشتهارهم بصحة العزائم ومضاء الصرائم، ولانهم لايذكرون انه ليس في هذه البلاد تلاد بل كل شيء طارف للخبير العارف.

الاحلام، الاحلام! انه بها وحدها يدرك المرام متى عُقد للعقل اللواء وكان في القلب والنفس مضاء واباء ومتى سعت الأقدام بإقدام رساعدت السواعد بما من ورائه فوائد وللقارىء ان يعلم لنفسه كما نحلم له.

من امثالنا: «كل من سار على الدرب وصل» والقول صحيح لانه حتى في الادواء الدوية والامراض المزمنة يشفى الاعلاّء اذا حلموا بالبر، وطلبوه بحكمة واعتدال وتمرن وترتيب.

ولايكون حلم حسناً الاّ اذا كان نظيفاً وشريفاً لان الاحلام القذرة والساقطة تهاجم الرؤوس الفارغة كل يوم وتعود على اصحابها بالحرمان واللوم.

- ١٧ نيسان سنة ١٩١٣ -

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

الفيش ينغص العيش

كل فيّاش غشّاش.

تصوره واقفاً او قاعداً في بيت او دكان ـ تصوره متخطراً في شارع او حديقة ـ تصوره منزوياً مختلياً وليس له اصدقاء وان يكن له رفقاء واسمه يتشبع بما ليس عنده ويفتخر بما لا مفخرة فيه فذلك هو الفيّاش الغشّاش.

من الكلام المأثور والمثل السائر: ان الجبان الصعلوك تغور عند امرأته. ولكن من الجبناء الصعاليك من يفتخرون عند نسائهم ونساء الناس وامام كل من يجالسون ويحادثون ومنهم من لا نساء لهم فيباهون على كل مسمع لذكر وانثى، وحدث ويافع، ومكتهل وشيخ لانهم هكذا خلقوا متشدقين متمطقين هاذرين هارفين وجلهم يجهلون أنهم يجهلون.

لو ان تنفخ المتنفخين امام نسائهم فقط لكان الويل بهم هيناً، ولكنهم يتنفخون امام نسائهم ونساء الناس وامام كلّ من غضب الله عليه فاوجده في مجالسهم يسمع وتكاد عينه تدمع.

كل متمدح لا يستحق المدح، وكل مفايش ليس فيه فضيلة حقيقية.

هو مفتتن بنفسه كل من يعظم اعماله واقواله ويفاخر امام

الناس بالتوافه التي يحسبها ويرجو ان يحسبها الناس خوارق واعاجيب.

تهرب الفضيلة من كل من لايكتفي بجحفه (١) فيجعل على الناس ضريبة ظالمة.

ليس في السواحل او السواقي المتعددة بهدير وضجيج من الجبال ماء كثير كماء الانهر الهادئة التي تحمل البواخر والمستزيدات وتنصبّ في البحور بتواضع وهدوء.

قال شكسبير امير شعراء الانكليز ان كل معجب بنفسه «حمار» واراد ان الذي يكون لا يفهم احد فهمه ولا يعلم علمه ولا يحلم حلمه ولا يحكم حكمه ولا يفصح فصاحته ولا يسمح سماحته ولا يشجع شجاعته ولا يمنع مناعته يجعل نفسه بدعواه «حماراً» وربما حماراً صغيراً يقولون في العربية انه «جحش». ويجب ان يذكر القارىء ان هذا القول غير قولنا بل قول شكسبير الكبير.

ما قولك ايها القارىء في رجل كلف باظهار مناقبه، ولع باستصغار غيره، لا يثني على احد الا تكلفاً وبغمغمة تدلّ على ان العالم الراقي هو ـ وهو العالم كله!

وما قولك فيه متدخاً متنفخاً في حديثه وكتابته وان شئت ففي مشيته واكله وشربه يمسك هذا ويترك ذاك ولا يفارق أحداً قبل ان ينقله بنجحه وادعائه وتخليطه وتنديده.

---

(١) الافتخار باكثر مما عنده

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

هو سياسي، لانه يسمع ان في اللغة كلمة يقال لها سياسة. هو شاعر، لانه يقيس الاشعار بالخيوط ولا يكون يعرف غير ذلك. هو علامة ومفضال، لان الكلمتين تلصقان باسماء بعض من اشتموا رائحة العلم والفضل وليسوا من العلماء الفضلاء ـ هو كبير التجار والصحافيين والمخترعين والباحثين لمجرد انه هكذا يشتهي ويريد.

في البيت ينجد ويتمدح، وفي المجتمعات يتندخ ويتصلف. وامام العقائل والاوانس يتنفش كالهر ويحسب نفسه أسداً يرفع ذنبه، اما ما هو الغرض من كل ذلك فهو نفسه لا يعلم، لانه لو كان يعلم لما كان يجيز لنفسه مثل هذا التصاغر المعيب.

الفاضل الحقيقي، الاديب الحقيقي، الشجاع الحقيقي هو الذي لا يحاول تناول الناس بالمساءة ليكون هو وحده شريفاً ولطيفاً وكريماً ووفياً.

الرجل الذي يستحق ان يوصف بالمروءة هو الذي لا يكون من الطائفة الفلانية رحمةً بها واشفاقاً عليها ولكنه لا يجد فيها حسناً او حسنة وهو الذي لا يكون في مصلحة لها عليه فضل يكفي ان يكون صغيراً او لوقت ويدعي بان المصلحة هو وهو المصلحة لمجرد قيامه بواجباته.

المفتونون بانفسهم كثار حتى ان من الذين لا تنهض بهم الهمم للسعي فيأكلون ويشربون من اموال الناس مفتتنين ومفتونين ايضاً. من مضحكات الافتتان بالذات اننا نقرأ احياناً للصوص الفلسفة

او فلاسفة اللصوص ولجانين الخيال وخيالي الجنون كتابات ليس لها معنى ولكن يقول بعض الناس عنها انها حسنة لانهم لا يفهمونها وهم لا يفهمون الا ما لا يُفهم ـ من تلك المضحكات ان اصحابنا هؤلاء الفلاسفة يحتاجون في كل لغة يكتبون فيها الى مترجمين ومهذبين ولا تظهر لهم كتابة «فلسفية» قبل ان يهذبها مهذب الا بالتعابير المجموعة من كتب البلغاء تضاف الى السرقات الفكرية وبالرغم من ذلك يحاولون ادخال كلمات جديدة الى العربية التي هي لغتهم الا انهم من اعق ابنائها فيستعملون «تلفن وبلف وكدم» وغير ذلك مما هو في اللغة اشبه بفلسفتهم في المبادىء تماماً ـ اي ان لغتهم وفلسفتهم انتحال وتشويه وتضليل وتمويه.

الفيش والادعاء آفة أكثر ابناء الوطن لذلك ترى الصحافة الضعيفة العاجزة او الصحافة المتذللة المتوسلة تستميل الناس ليس بافكارها وطرائقها ولا بفوائدها ونذراتها بل بالاطناب والاطراء، والناس المستمالون هم من الذين يصح فيهم القول «مبادلة حك» ولا تقع الطيور الا على اشكالها. الا ان العالم لا يرتقي بما هو انحطاط ولا بمن هم منحطون.

حسن ان يكون الانسان ابياً انوفاً. وانما الافتتان بالنفس دليل غير الانفة والأباء ـ انه دليل «الفقعة» التامة الكاملة التي لا تقبل التردد والتريب.

يوالم كل ذي مذهب شريف ان يسمع الانتقاد الجارح ـ الا

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

انه عادل ـ لاناس قد يكونون انبياء او اصدقاء او جيراناً ليلهم الى الفيش والادعاء دون نيل غير الازدراء والاستخفاف.

لا نعرف احداً يحاول ان يجعل نفسه أفضل من الناس باقواله ولا يكون محقوراً مذموماً مهزوءاً به وان ظن ان الناس يصدقونه.

كثيراً ما يتغامز الناس على فياش مخلط وينسبونه الى التخريف وهو في عنفوان شبابه او الى الجنون وهو في اواسط عمره او اواخر ايامه ـ ذلك لان الناس يفرقون بين الغث والسمين «وير كبون مقلة» كل من يستحق ان يكون مسخوراً منه.

وما هي فائدة الفياش من جعل الناس كلهم دونه ومن التحامل عليهم وبخسهم حقوقهم والتفوق الدائم على الكبير والصغير والحسن والمسيء الا الدلالة على ان نفس ذلك الفياش صغيرة، وماذا يكون من لا يجد حسناً في الناس ولا فضل لاحد عليه ولا قيمة لاحد عنده .....؟ ماذا يكون!

الافتتان بالنفس اقبح انواع نكران الجميل لان المفتتن يكون بالطبع مفتشاً مفتاً اذ لا يستطيع ان يحتقر ويتصغر غيره دون مسه وانقص من كرامته. فهو غموط كنود قصد ام لم يقصد.

والمصلحة التي تطير ذكر خادميها لا تكون تستحق الاستخفاف بها: فالتاجر الذي يكون عاملاً في بيت تجاري يكون في مدرسة تجارية الا انه يتناول، لا يودي، مرتباً فلذلك البيت التجاري فضل عليه من منحه الاختبار بعد تساوي الخدمة والاجرة عليها. وما يقال

في التجارة يقال في السياسة وفي كل مطلب آخر من مطالب الحياة، فقد علمنا أناساً ما لم يكونوا يحلمون به الان، فاظهروا كتباً وجرائد، ومنهم من توهم ان الطعن والافتراء علينا يسني مقامه فكان على نفسه جانياً، وللمبادىء القويمة عدواً ويعرفه التاريخ جاحداً.

وفي العالم اناس يعدّون بمئات الالوف لا يتنفخون ولا يتدخون الا للتخلص من فضل المفضل عليهم، فلا هم يتخلصون منه ولا المفضل ينبذ وينسى لمجرد أن ناكر الجميل اراد ان لا يكون لأحد فضل عليه او عقل مثل عقله. وكل من ادعى الكمال فهو من الجهال وربما من السفال.

ـ ٢٧ ايلول سنة ١٩١٣ ـ

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

مراحل الحياة

كم يجب ان يعمّر الانسان؟ أهو مولود ولا معدل لعمره فيموت بقضاء وقدر، ام مولود لأجل ولكنه يعيش فيودي به عيشه ولا يكاد يولد حتى يلحد؟

سؤال طرحه علينا احد الادباء في ولاية فرجينيا الجنوبية بعد مناظرة وقعت بينه وبين ادباء آخرين من ابناء الوطن.

وجوابنا ان الانسان خُلق ليعيش لا اقل من مائة سنة وربما مائة وخمسين سنة ولكنه أساء اليه واساء الى نفسه.

ما هو هذا القضاء الهائل!

ما هو هذا القدر الجائر!

انتم ايها المؤمنون بالقضاء والقدر مقلّدون. انتم متحلون احدى ذخائر الوثنية. انتم مسترقون دون ان تعرفوا ومستعبدون دون ان تشعروا. القضاء والقدر من العبودية والمؤمنون بهما من كل امة ودين مغفلون ومنحطون.

من اكبر فلاسفة الارض مؤمنون بالقضاء والقدر، وايمانهم من اصدقائهم لا من لآئمهم.

واكثر الشعراء مؤمنون بالقضاء والقدر لانهم خياليون لا جدّيون، ولأن المنطق عند اكثرهم مجهول.

غريب ان من الحكماء انفسهم ومن المدعوين العلم من لا يميز بين العناية الالهية والقضاء والقدر الخرافيين. واغرب من ذلك انه يوجد بين جبابرة العقول مثل هذا الذهول عن الحقيقة.

اعتبر كيف ان الوهم لا يزال غالباً علينا فتلطم القاطرة غافلاً أو مغامراً فيقولون انه مات بقضاء وقدر. ويلمس الجاهل سلكاً كهربائياً «حياً» فيموت فيدّعون انه مات بقضاء وقدر. ويغرق ركاب التيتانيك او سفينة خشبية من صنائع المراكب: اما باغترار او باضطرار فيزعمون ان الموت بقضاء وقدر. ويرفس بغل رجلاً، او بقرة امرأة، او يقر ثور بطن شخص فيلجأ الخرافيون الى القضاء والقدر. او ان مستعجلاً يحاول عبور نهر ممتلئ او التوغل في جبل نامخ فيغرق او يتدهور فينسب الناس الموت الى القضاء والقدر وليس لاحدهما حول ولا طول ولا اثر في غير الوهم والخرافة الموروثة.

بل ان جباناً يستولي عليه القنوط او يفقده الهيام او المدام الرشد، او يكون مختلساً اموال مصرف او بيت تجاري فينتحر ويلفظ الناس وتروي الجرائد انه مات بقضاء وقدر.

او اقبح من ذلك ان متهتكاً مفرطاً يهدم بالتطرف اجمل بناية لله وهي جسده: اما بادواء دوية واما بامراض قذرة فينحل الى ان يخلّ ويستقم الى ان يسلّ ويقول الناس بعد موته ان رحمة الله «استأثرت» به بقضاء وقدر.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

او يبلى البائسون بشقاء يكون لهم الغطاء والوطاء ويتقلبون بين الجوى والطوى بينما يتخم غيرهم من الخاملين ويسعون هم لشغل يمسكون به الرمق فلا يجدون ثم يذبلون قبل الاوان ويموتون بين الجوع والعري والهوان ولا يكون لاجسادهم من غذاء وكساء ما يدفئها، وانا بعد ان تبرد وتهمد تجد في ظلمة القبر مستقرا لا انزعاج فيه الا من الديدان. فتنهرأ بامان ويقول القائلون ان كل ذلك بقضاء وقدر كان - ان كل ذلك مكتوب!

ويورث احد الوالدين - وعلى الغالب الوالد - اولاده داء وبيلاً ينغص عيشهم ويقلل ايامهم، واذ يموت احد بداء ابيه لا يدائه يقولون انه مات بقضاء وقدر.

لا، وحرمة الانسانية! لم يكن للقضاء والقدر نصيب مما نصيب من صحة وداء ونعمة وشقاء. وانا نحن لا نزال ابناء الجهل، تقصر اعمارنا لقصر افكارنا وتتقلص ايامنا لكثرة فسادنا، وليس للقضاء والقدر دخل.

الانسان مولود لأجل محدود عند مراعاته الشرائع والنواميس الطبيعية وعند تقيده بالشرائع والسنن الدينية والدنيوية والعلمية والانسانية.

صاحب هذا القلم يدخن كثيرا فتلتهب حنجرته ومن وراء التهابها ضرر. فما هي علاقة القضاء والقدر بهذه المخالفة الصحية

المأخوذة من التربية القومية ومن ايثار العادة السيئة على الامتناع الحسن.

لا نريد ان نكون من القائلين بان خلود الانسان ممكن بالافضاء (ادخال دم جديد في جسم الانسان) وبالكهرباء وبالراديوم وبمئة حيلة علمية لاطالة الحياة فان للقائلين بذلك من العلماء حججاً لا نلم بها، وانا نرجع الى الطبيعة ونقول ان كل حيوان ونبات تطول اعوام نشوئه ونموه يجب ان تكون اعوام حياته طويلة - يجب ان تعيش الارزة اطول من الزنبقة، وان تكون اعوام النسر اكثر من اعوام الديك، وان يعمّر الانسان اضعاف ما يعمّر الحصان.

بيان ذلك ان العمر يجب ان يقاس - الا نادراً - على السنين التي تنقضي قبل البلوغ. ولما كانت اكثر عدداً في الانسان منها في الحصان بالنسبة الى بلوغ الاثنين فيجب ان تكون حياة الانسان للسبب نفسه اطول كثيراً - وهكذا في عالمي الحيوان والنبات.

بل ان هذه القاعدة تتمشى على ما يدعونه جماداً وان يكن في اصله نباتاً او حيواناً، فالالماس - مثلاً - وهو في اصله من النبات في رأي الباحثين، اكتسب صلابته ومائيته وصفاءه من السنين المنقضية عليه، لذلك هو اصلب من اللؤلؤ الذي لا يحتاج الى سني الالماس ليكون على حالته، وليس له بقاؤه او عمره الطويل. وقل مثل ذلك في الفلزان والرخة المعروفة «بالخفان».

هذا هو مذهبنا المستفاد من التعلم والمراقبة والاختبار والاعتبار

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

وليس لغيرنا ان يذهبه الا بعد الاقتناع به وبعد الروية التامة، لان ما نتزع اليه في كل كتابة انما هو تحريك الافكار او اثارتها لتكون حية لا ميتة ولتكون لنا يد في اثارة الجمود الفكري المصاب به اكثرنا. فليتأمل من يريد.

والتعبير قائم على مبلغ البشر من المعرفة حتى من الفطريين الذين لم يصابوا باوصاب المدنية المتطرفة الذين قد يجاء بهم مثلاً للاعتراض على ما نقول.

كلنا نقصف او تقصر اعمارنا «بجهلنا».

لو كنا نعرف ونعمل بما يمنع السل لما كنا نصاب به، او بما يقي من السرطان لما كان يصرعنا، او بما يحول دون ذات الرئة لما كانت تبطش بنا. وانما نحن جهلة للان ـ كلنا جهلة حتى اكبر اكابر علمائنا واطبائنا الذين يقولون مثل هذا القول واكثر منه ويظهرون بمظهر التهذيب والتعليم والتربية.

نضرب للقارىء المفكر مثلاً آخر: نقول له ان البيت النظيف المبني جيداً وباتقان والمعتنى به كل الاعتناء لا تكون في زواياه الحشرات والفئران والاقذار واذا تعهده اصحابه بالترميم والترتيب والتنظيف والعناية بانواعها يثبت اكثر من البيت الذي يكون مثله او افضل منه ولكنه يهمل للجرذان والوكف والعوامل الطبيعية او لعبث الانسان نفسه، فتطوح شرفاته وتفك شبابيكه وتكسر نوافذه وابوابه ويمزق او يحطم اثاثه ورياشه. وجسم الانسان بيت

والامراض اقاعيه وفئرانه وحشراته وغير ذلك.

فبكل محبة واخلاص نسأل القراء ان يعتبروا هذا الكلام المعروض على مدار كهم للتمحيص والتدقيق ونرجو ان يعتقدوا ان الامراض الجسدية اخف وطأة في الحياة من الامراض الروحية التي تعني بها الرذائل والعادات القبيحة والبغض والحسد واللوم والدعارة وكل نقيصة وخسيسة، لانها افتك بالجسد من امراضه نفسها وان تكن ادواء روحية.

ولكي تطول ايام الانسان يجب ان «يعرف» كيف يداوي روحه وجسده معاً. وربما انقضت القرون عليه قبل ان يبلغ وطره الا انه سائر حثيثاً في هذه الايام، الى الغاية التي جعلها الله له من خلقه ورقيه في كل شيء ظاهر. الا انه لا يزال طفلاً يدب ومع الايام يشب ويكون كبير الاعوام والاعمال المفيدة. ويجب ان يستغني عن الخرافات والفضول وفي مقدمتها الاعتقاد بالقضاء والقدر.

ـ ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩١٣ ـ

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

في احقر شيء عند ابناء الوطن

انت ايها الواجب، انت احقر شيء عندنا !

الواجب ثلاثة : ان نقوم بما يطلب منا نحو الله، وبما يجب علينا نحو نفوسنا، وبما تقضي به المحبة والعدالة نحو قريبنا. ونحن غير قائمين بواحد من الثلاثة ـ غير قائمين قياماً حسناً وان طالت دعوانا وعرضت.

اما الواجب نحو الله فلانلمسه ليهتم رجال الدين به بعد تفرغهم من مطالب مطامعهم واستفاقة اكثرهم من الغفول والذهول والخمول ـ وكل كلمة من الثلاث تغضبهم وتسلُّ سخائمهم، ولهم ما يريدون لاننا لانتعمد نيلهم بمساءة، وان تمنينا انفلاتهم من قيود وأداهم الاوهام، وانقاذهم من اراقم وثعابين الانخداع والغرام.

واما الواجب نحو نفوسنا فله بالواجب نحو القريب علاقة غير منحلّة، لذلك نبحث في الواجبين معاً، ما دام لكل واجب شخصي علاقة بواجب الاخرين، وما دام كل زعم بالاستقلال التام باطلاً لاضطرارنا الى التكافلين المنظور والمستور.

فما هو الواجب ؟

هو في اعتقاد كل من يعرفونه ويجلونه «القيام السريع المتقن بالمطلوب، اليوم». ومعنى ذلك ان كل عاقل يفهم ان الواجب

سلسلة متماسكة الحلقات، او حلقة اولها آخرها وآخرها اولها، او زمان ليس فيه فترات على الاطلاق.

او ان الواجب هو اليقظة التي لاتحتمل الغفلة، فكما اننا بعد ان نستيقظ نأخذ بالتفكير والتدبير كذلك يجب ان نباشر القيام بواجباتنا «القريبة» حتى لايكون التفكير ذهولاً، والتدبير تضليلاً، ويجب ان نعلم ان الاستفاقة انما هي استفاقة للواجب، وان الرقاد انما هو للواجب نستردّ به ما نكون قد فقدناه، ونهبّ بعده لاستئناف العمل.

بل انه اعظم المبادىء التي تصفو بها الروح، وتتأيد الحرية، وتسهل المسؤولية، ويتحقق الخلود، ولكنه ليس الاحلام المؤذنة بالسبات، ولا الخيالات المخيفة بالاشباح، ولا التذمرات الدالة على الكسل والجبانة، ولا التطلبات المشيرة الى شياطين المطامع والشهوات المنحرفة، تناهض ملائكة العزائم الصحيحة والصرائم الصريحة

فانت، يا ايها الواجب، انت احقر شيء عندنا ! وسبب ذلك اننا لانحترم نفوسنا لنحترم واجباتنا، واننا كلما «سرقنا» من الواجب علينا توهمنا اننا اذكياء ونوابغ.

ترى الفقر قد عضّ احدنا بنابه ولايقوم لواجبه، لانه يعتقد ان الله الذي خلقه «يجب عليه» ان يوفر له اسباب الهناء والرخاء، ولأنه يعتقد ان والديه اجترما جريمة في تسبيب وجوده قبل ان يعدّا له كل ما تشتهيه نفسه دون عناء وشقاء، ولأنه يذهب الى ان الانسان

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

لم يخلق ليكدّ ويكدح، بل خلق ليلهو ويزهو ويسرح ويمرح!

وترى الفتى يمتلئ جسمه كما تمتلئ الغرسة مائية ولا يقوم بواجب بدعوى انه غضّ يفضّ.

وترى الشاب في ريعان العمر وعلى منتهى القوة يرضى بالفضاضة والذل والتصاغر، فيأكل مما يجود به الخيّرون، ويلبس مما تكرم به «الكريمات» وينام على فراش وثير تودي اجرته ايدٍ كان يجب ان تشلّ لحرمانها اصحاب الحق، وبذلها «لجعلان المجالس» ويأبى ان يشتغل الاّ بالخسائس والدسائس.

وترى الكهل متشكياً متضجعاً لانه لم يبقَ قادراً على الواجب في زعمه، وهو كالحصان قوة، والدبّ بدانة، ولكنه الفّ الحمول وأبى ان ينهض.

اما الشيخ ـ الشيخ الهمّ الذي حنى الدهر ظهره وابد ظهيره فلا كلمة لنا فيه الاّ اذا كان عاتياً، او جاهلاً متصابياً، فانه يضحك الناس منه اذ يظهر مقدرة على الردي، ولا يظهر مقدرة على الجيّد.

لا مدافعة في صحة القول من ان الجبان وحده يحتاج الى الانذار والعقوبة والترغيب والتشويق للقيام بواجبه، لان الشجاع تأبى نفسه الابيه ان تتذر بل تأبى ان تعذر، لانه يعلم ان الواجب المهمل كالدّين المؤجل، كلما طال الوقت عليه بهظت اعباؤه واستعصى او استحال وفاؤه. واي كريم لا يقوم بوفاء ديونه اذا كانت له اعضاء مفيدة قادرة على العمل.

لا نستثني الاّ افراداً من الالوف يقومون بيننا بواجباتهم قياماً حقيقياً. فان ذلك الملاك، الذي يقولون انه يساعد كل مجتهد امين ومدقق رصين ويحرس محترمي الواجب، قد طعنّاه طعنةً نجلاء في قلبه ففارقنا على غير أمل الاجتماع الاّ بعد ان نرتقي.

يتوقع احدنا ان يعمل قليلاً وينال كثيراً، وما نعلمه انه لم يفز ويعز ويخلد بأثره وآثاره الاّ الذي جاهد طويلاً ونال قليلاً، او جاهد وفشل ومات شهيد الواجب فتمتع غيره بما كان عذاباً عليه عذباً.

ولا ندري كم من الافراد بيننا يعتقدون بالتدقيق اذا اعتقدوا بالواجب، لاننا ندرك ان التدقيق في احقر الواجبات دليل على عظمة الرجل، ما دام كل واجب شريف مقدساً.

ولا ندري كم بيننا من الذين يؤمنون بان الواجب الشريف هو أن نقوم بواجب آخر اكمل واجمل وافضل منه.

ألسنا سطحيين في كل شيء؟

ألسنا عاملين على انماء الحيوانية واذواء الروحية في انفسنا؟

ألسنا احقر المحقورين في احتقارنا الواجب الذي هو صورة نفس الانسان؟

خذوه كلاماً فيه كلوم تندب بالواجب فقط على غير فساد. وتذكروا!

ـ ٣ تموز سنة ١٩١٥ ـ

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

الغد - وما اقربه وابعده !

اكره ما نكره التأجيل - الارجاء - الانتظار - التأخير وقول الانسان انه يقوم بواجبه غداً.

يقول البخيل انه يتبرع للمنكوبين غداً.

«وغداً اصير صاحب شعور وطني» - يقول الخائن.

ويقول الكسلان الخامل انه يشتغل في اليوم التالي بعد ان يكون اختزن نشاطاً وهمة وعزماً.

ويقول لك الكائد العائد والكائد المارد انه يكيد ويتصلب ويجهد ويتحزب اليوم، وغداً - غداً - يصير انسانياً، صاحب ضمير حي، مسلماً بالحق، غيوراً على البائس المستحق، خادماً امينا للانسانية والمروءة والفضيلة والمبدأ.

وبعد ان ينقضي هذا النهار تكون مقاصدي قد تمت - مقاصدي الحسنة - واكون قد اعددت نفسي لخدمة الاقرب فالاقرب لان المادة نفسها لا تأتلف الا على مبدأ التناسب.

«الغد» كلمة شرقية هي والقضاء والقدر بمنزلة واحدة من تثبيط العزائم، وحل عرى التكافل، وجعل الهمم فاترة، والعزائم باترة، والصدور خالية، والرؤوس خاوية.

«الغد» كلمة، وان لم يكن بينها وبين اليوم السابق الا الثانية

المشتركة التي يرتبط فيها منتصف الليل بشطريه، فهو ابعد عن النجاح والاخلاص والفضل والوطنية من الاعوام البعيدة، الا انه قريب جداً من المجتهدين المخلصين والصادقين الوطنيين.

لا ينجح احد يرجيء عمل اليوم الى الغد، ولا يفوز مجاهد يؤجل المناهضة من ساعة الى ساعة، بل من دقيقة الى دقيقة.

الجواد من الافراس لا يحتاج الى مهماز، وانما يحتاج اليه غير الاصيل، والامثال تضرب على العجاوات ليعتبر اخوها الناطق.

- ١٥ تموز سنة ١٩١٥ -

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

في الليل الدامس

كان الليل ديجوجياً، كأنه قلب الحسود او قلب الغاسق الكنود، وكانت النجوم في تلك الليلة الليلاء تنظر الى الارض بأشعة ضئيلة ترسلها عليها ولا ترى منها الارض الا تلألؤاً بعيداً جداً يكاد يكون في بعض الكواكب رقصاً من الخوف او خوفاً من الانطفاء. في احدى ليالي ايار المحلولكة الظلام كنت لا ازال على سرير الآلام اشعر من جهة بحرارة الحمى ومن جهة اخرى بقرس البرد، لان الطبيعة خالفت في هذه السنة مألوفها حتى اصبح شهر الزهور شهر الزمهرير. كنت احاول تغيير ضجعتي فلا استطيع، لان القطب القضية كانت مولمة جداً تذكرني بالشق البليغ والجرح الواسع. فصبرت على العذاب وعلى البقاء على ظهري مستلقياً كأنني ميت ينتظر الدفن، وبينا انا على هذه الحالة، وقد ارقني الافتكار الذي هو من اوفى اصدقائي واعدى اعدائي في وقت واحد نظرت الى السماء من نافذة غرفتي فرأيت اشعة منبعثة من المصابيح الساجة في مساكن الله من القبة الزرقاء، ورأيت بين تلك النجوم نجمة رافقها نظري وابى ان يفارقها.

ما اغرب الشعور بسبب الانفراد ولا سيما في الليل - في الليل البهيم!

اقبلت المطامع عليّ من كل جانب فكنت كالفلك بين الامواج المتلاطمة - شعرت بقوة روحية عجز الجسد العليل النحيل عن احتمالها فقلت في نفسي «اقوم بهذه الروح فيبعث الجسد من تحت قبره ولا اموت قبل ان اقوم بعمل «لا يكون ناقصاً» مهما كان صغيراً او حقيراً». ثم اجتمعت الغيوم الدكناء في سماء فكري فصرت مشتغلاً بسماءين في وقت واحد، فلماذا تضيق فسحة الامل في الليل الأليل! ما اضعف الانسان!

لجأت الى ما بي من قوة فهدأت ثائرتها وكشفت «بالرجاء» غياهب اليأس وعدت الى النجمة التي احبتها دون سائر النجوم - اأكون في هذه النجمة بعد ان اموت؟ ايكون من احبهم ويحبوني معي؟ لا شك في ذلك. لان الروح خالدة والجسد يبعث بحسب تعليم كل دين راقٍ، اما كيف اكون ويكون غيري في مساكن بيت ابي المسيح وابينا فلا اعلم؟

وساورتني الهموم التي لا يهم احداً معرفة ما هي، وكان منها ما يتعلق بالنهضة اللبنانية التي كنت دعوت رئيسها العامل وبعض الاصدقاء اذ كنت محتضراً واوصيتهم بها، لانها اهم من الهدى مشروعاً، واحق بي من كل اهتمام آخر - ماذا يعل بهذا الحزب السياسي اذا لم يكن في رأس وصية كل لبناني الأمر بالاخلاص له؟

لم اكن انظر من تموجات الابير شيئاً، ولا من النجوم غير

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

القليل في الدائرة التي اراها من نافذتي. ولم اكن احفل بالابعاد التي تفصلنا عن النجوم، ولا بشيء من تقلب الفلك، ولا بما نشأني عليه رجال ديني او قرأته لرجال الاديان الاخرى، وانما مرّ تعليم «المحبة والرجاء والايمان بالله» في خاطري فتعزيت. ثم نظرت الى الراهبة التي جاءت بعد الساعة الثانية من نصف الليل للعناية بي بدلاً من الراهبة التي كانت ساهرة عليّ في الاهزعة السابقة من الليل - نظرت الى هذا الملاك الارضي - الى هذه الانسانة الفادية - الى هذه المخلوقة الفاضلة - التي لا تنظر الى مرآة، ولا تزور اهلها، ولا يجوز حتى لوالدتها ان تزورها في غرفتها، ولا ان تراسل احداً من الناس، ولا ان تأكل شبعتها، ولا ان تأكل الا ما تعطاه وهو منتهى معيشة الشظف - نظرت اليها وقلت في نفسي: ايقتدي رجال الدين بنساء الدين فلا يعود يتقدهم منتقد؟

لم احدّث الراهبة بكلمة وتغلغلت افكاري في مشتبكات شواغل هذه الدنيا الى نحو الساعة الرابعة صباحاً، فاطبقت عينيّ لاتأمل، ولكنني نمت - نمت قليلاً، وكان الرجل الذي يعتني بي في النهار شاغلاً مركز الراهبتين في الليل قد جاء باكراً على خلاف عادته، فاستيقظت واذا الراهبة قد ذهبت الى الكنيسة واشعّة الشمس منبعثة بلطف في غرفتي، ورفعت عيني الى حيث كانت نجمتي بين اخواتها في سماء الله فلم اجدها - فتشت عنها فلم اجدها - اطلقت نظري بكل الدائرة التي اراها من النافذة فلم اجدها، ولكني وجدت

الشمس صاعدة باختيال وعظمة (بلغة يشوع بن نون) وجمال باهر لا تطيق العين احتماله، وعبثاً حاولت النظر الى نجمتي المجهولة فلم اجدها، ولكنني وجدت ما هو افضل واجمل واكمل منها ومن الشمس - ماذا؟

لا اكتب كرجل مسيحي اعماه التعصب واضلّه التشيّع، بل كرجل يحترم كل دين من الاديان ويعتقد ان فيه حكمة باهرة، الا ان احترامي الاديان بحكمها البليغة لا يحول دون الحقيقة المجردة التي هي ان انوار التعاليم المسيحية - بعد اطراح زوائدها الملصقة بتعاليمها الصافية - هي انوار شمسية.

هبطت النجمة لتصعد الشمس.

وصعدت الشمس فرأيت من نافذتي بيعة فخمة انتصبت عليها قبة عالية، ورأيت على رأس القبة شيئاً توهمته لاول وهلة نجمتي الضائعة، او رفيقتي في الليل الذي ارقت فيه، الا انه لم يكن النجمة المستترة - لم يكن النور الضئيل الذي يخفيه النور الأسطع - رأيت ما ترتفع النجوم فوقه ممجدة وتخر الشموس تحته مقدسة رأيت الصليب.

فسلام على صليب المحبة!

- ١٥ تموز سنة ١٩١٦ -

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

الازهار الذاوية

ليس اجمل من ازهار الارض الا ازهار النفس وهي افكار واعمال المحبه والرحمة والانسانية والمروءة والشجاعة والطهارة.

وليس اجمل من زنبقة الوادي ووردة الحديقة ونسرين الروض غير طهارة العذراء وتصوّن المرأة واباء الرجل.

هنالك في عبر الهدسن كنت على سريري محاطاً بها - كنت في مثل الروضة الاريضة والجنة الفناء بين ضفات الازهار التي اراد انسائي واصدقائي مخاطبتي بها.

على كل ورقة من ورقاتها كنت اقرأ منثور المحبه ومنظوم الاخلاص.

كانت قلوب المخلصين بادزة من كؤوس الرياحين تخطب بالدعاء على منابر الوفاء.

هنا لكي عبر الهدسن كانت الازهار سلواي اذ لم يكن يلذ لي شيء.

كنت انظر الى كل زهرة واعرف انها حرف من حروف هجاء الروح الا انني لم اكن احسن قراءتها ولا غيري ايضاً، لان حروف هذه اللغة الروحية لا تزال كالطلاسم لا تُحل ولا تُفهم.

عرفت انها لغة العواطف - عرفت انها تخاطبني مستنابة عن

الالسنة المعقولة والاقلام المكسورة بعد ان قيل لاهلي واصدقائي ان مخاطبتي محظورة عليهم.

احب ان اكتب في بعض المواضيع التي تذكرني بسرير المرض الى ان يندمل جرحي. فليغتفر لي الاصدقاء هذه الحرية - اكره ان ازعج احداً او ان القي كلمة فيها على الانانية دلالة. ولكنني لا اظن ان الكتابة عن الازهار تقلق ولا ان فيها محبة ذات.

قالوا ان الازهار هي افكار الله في الجمال. ابرزها كما هي لجعل افكار البشر جميلة، الاّ ان الارواح اللطيفة دون سواها استفادت بها فكانت لنفسها وللناس جميلة.

وقالوا ان الازهار هي اجمل ما خلق الله، ثم نسي ان ينعشها بروح حيه، ونقول ان المرأة فالرجل اجمل ما خلق الله ولم يشأ ان يجعل بين الجمالين تنازعاً فانطق الانسان وابكم الزهرة.

وقالوا ان الزهر على الارض اشبه شيء بالنجوم في السماء للجمال والبهاء.

وقالوا ان الازهار هي حلى الطبيعة تزدان هذه بها وتفتخر وتعتز.

وقالوا في الازهار اقوالاً خيرها ان النفوس اتخذتها لغة، فهي بها تتكلم، وبها تتهادى، وبها تتغنى وتنشد وتكتب وتشعر، وانها مستقبلة الطفل استقبال الطهارة بالطهارة، ومودعة الميت اشارة الى البعث بعد الموت، ومكللة العروسين دلالة على المحبة والمجد،

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

ومهداة الى الصديق عربون الاخلاص والثبات.

اما انا فقد كرت كل ما قيل في الزهر ولم ترقني غير ابتسامات الرحمة من اكمامها وثغورها. كانت كل زهرة تفتر لي عن مثل ثغر الصديق والنسيب فيسرّني عني قليلاً.

وكنت كلما مر النسيم على الضفات المهداة اليّ اتصور انني اسمع الوردة تنشد، والبنفسجة تهمس، والزنبقة تتنهد، والمنثورة تنثر العبرات وتصعّد الزفرات. وكنت اتأمل في ربيع الحياة وكيف ان كل ربيع جميل من غضارة العمر الى نضارة الزهر.

الأني في الخمسين من عمري احاول المدافعة عن الاكتهال؟

انا لبناني ويسوءني ان يكون اخواني اللبنانيون بل سائر الشرقيين يعتقدون ان الشباب لا يتجاوز الاربعين - يعتقدون ذلك لانهم لا يشتغلون، وفي الشغل التواصل والافكار الصافية والتأملات السامية والارتفاعات القلبية ربيع كل حياة وحياة كل انسان.

انظر الى الوردة يا قارئي واعتبر. انها قبل ان تتنشر فيها المائية والحرارة فلا تعود متماسكة لا يضوع عرفها، فالعمر الذي يتوهم ابناء الوطن انه عمر الراحة والقعود هو عمر العمل والنهوض.

انفق المخلصون لي مئات الدولارات على الازهار - دولارات كنت افضل ان تبذل في سبيل مشروع وطني او تهذيبي وان يكن مهدوها قادرين على البذل في سبل عديدة. وهنا يتذمر حتى اصدقائي ويقولون: أهو وصيّ على اموالنا! لا. لست وصياً ولا

غامط نعمة، ولكني اعرف من الازهار ما تخنق رائحته.

• • •

اين انت ايتها الازهار الان؟

كنت لي مثال الروح المنفصلة عن الجسد والمنتقلة من الارض الى السماء وكثيرا ما كنت اقول في نفسي ان روائحك ارواحك وان روحي تفارقني عما قريب فاتمنى ان تكون اعمالي طيبة.

اعتقد اعتقاداً لا ادري كم لي فيه من شريك هو ان الازهار تذوي وتذبل سريعاً في غرفة المريض.

هي تشعر مع المريض.

هي تتألم لآلامه.

كدت اراها باكية لبكاء بعض الناس او اكثرهم عليّ والبكاء يسقم ويميت.

نعم ان الازهار يذهب ماءوها سريعاً في غرفة المريض لسرّ مكنون لا اعرفه ولا اعرف من يعرفه. وباطلاً كان يعتني المرضى والممرضات بالازهار المفترة لي عن ثغور التوديع العاجل.

منذ صغري احببت الازهار - احببتها كما احببت الموسيقى التي لا افهم الا ان لغتها ملائكية وان لغة الزهر مثلها. وانا اليوم على منضدتي احب ان تكون امامي زهرة في نيويورك كما كنت احب مثلها في الفريكة وكما احببت الزهرات الذابلات ذبولي في هوبوكن. ولطف اخلاصي ومعرفة الجميل.

- ٢٢ تموز سنة ١٩١٦ -

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

الفتح الروحي

«كتبت في اليوم السابق لعيد الميلاد»

غداً تتبادل ملايين المسيحيين التهاني، لمولد الفادي الكريم او يتبادل فريق منهم تلك التهاني، وينتظر الفريق الآخر يومه، ولا فرق في الجوهر فالمسيحيون عموماً يغتبطون باليوم الذي ولد فيه السيد المسيح اعظم واحلم واكرم واحكم فاتح سلمي وروحي.

من الاسكندر والقيصر واتيلا وجنكيزخان وهنيبال ونابوليون ؟ كلهم اكتسحوا الامصار ودوّخوا الاقطار وكانت فتوحهم دموية تبقى لاعوام وتضمحل مع الايام. اما الناصري فله امة في كل مصر وفي كل بقعة ذكر لأن فتحه روحي لا جسدي وسلمي لا دموي.

كالغيث المحيي كان الفتح المسيحي وكالسيل الجارف كانت وستكون سائر الفتوح لانها للمطمع لا للروح.

كالشمس في نورها وتأثيره وعلاقة الحياة بها ما تدعوه القوة الالهية في الناصري العظيم.

كالربيع بين الشتاء المغرق والصيف المحرق ما تدعوه تعليماً انجيلياً على اللطف قوامه وبالعطف نظامه ومن المحبة صدوره وبالتهذيب فخوره.

كالنجاة من العواصف على سفين الايمان وشراع الرجاء وشاطئ المحبة ما تسميه المسيحية.

كموسم الخير وقطاف النعمة تنتظر الميلاد بانهار المبادئ وازهار الفضائل ونفحات المعارف متى كنا صادقين وكلنا مسيحيون، متى كنا على مبادئ وتعاليم المسيح وان لم يكن لبعضنا الاسم وكلنا غير مسيحيين متى كان لنا الاسم دون سواه من المسيحية.

اليس غريباً ان تكون بلادنا مهبط الوحي ونحن فيها دون اكثر المومنين تقيداً بالآيات الانجيلية والتعاليم الكنسية !

لاتغضبوا ايها الناس لاننا قائلون ما نعتقد وكل ما تفندون عليه الانصاف.

نقول ان اكثر رجال الدين غير اكفاء، غير مستعدين، غير شاعرين بروح المسيح وان كابروا ونافروا. وهوذا العشرات منهم في مهاجرنا الكثيرة يسرحون ويمرحون متمردين على الواجبات ومنتقضين على النظام وهم من بلاد الوحي ومنبت الرسل. فهل من منكر؟!

كانت الرئاسة الدينية لنا فاصبحنا لانجرو على ذكرها لاننا لسنا اهلاً لها واصبحت مفخرتنا بتلك الآثار الدارسة والاعلام الطامسة فهل من منكر ؟!

العشرات من رجال الدين اكبر من الدين لانهم لا يخضعون له وعشرات الآلاف من المسيحيين مقتدون بهم، الا الشذاذ من

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

الرومان، وغير ناظرين الى التعاليم المسيحية لاقتدائهم برومانهم ومن يلومهم الا لوماً لا معنى له ما داموا جنوداً يتبعون القادة، واكثر هؤلاء غير صالحين وغير مصلحين.

ان اكثرنا نحن مسيحيي الشرق، نعرض الدعوى ونطولها، ولكننا في الاقوال اصدق منا في الاعمال او اننا نرتفع وننخفض بين موائد الاهواء كما يعلو ويهبط الغرقى بين الامواج التي تزجيها الاهوية، والادعاء بعكس ذلك مغالطة فيحة.

ما اعظمك، ايها الميلاد، لو كنا ندرك حقيقتك، وما اقبح الادعاء فينا دون العمل بما كان لنا من بعدك!

ما امجدك، ايها الميلاد، لو كنا متأملين، متدبرين! انت سلوى الشيخ، انت أمل الشاب، انت بهجة الفتاة، انت رجاء الام، انت لذة الطفل، انت رابطة النسب والصداقة، انت ملطف الخشونة ومقوّي الضعيف، وانت المجد الحقيقي فوق المجد الباطل.

ما امجدك، ايها الميلاد، في احترام الفقر الناتج عن غير الرذيلة والكسل واحتقار الغنى بالحيل والدهول والمآثم والمحارم!

ما امجدك، ايها الميلاد، بتعاليمك السماوية التي ان لم يكن فيها الا «احبوا اعداءكم» فهي اشرف فلسفة وجدت حتى الان!

وفوق ذلك: فيها الرجاء والايمان والمحبة - فيها التحرير من العبودية - فيها الحلم والرأفة - فيها اللطف والعطف - فيها الرفق

والصدق - فيها العدل والفضل - فيها الاخلاص حتى الشهامة والوفاء حتى العبادة، وفيها انقاذ المرأة كالرجل، ولم تكن المرأة غير أمة قبل الميلاد.

ما امجدك، ايها الميلاد، بالجهاد والاجتهاد، بالعمل على أمل، بالصبر على الفقر والغدر والمكر، بالاناة والتؤدة، بالنظام والنظافة للروح والجسد، وبكل ما هو فضيلة جليلة!

بل ما امجدك بالخضوع الذي يعني الارتقاء! فان الحواريين كانوا اسلس الناس قياداً للانجيل ولرب الانجيل وكان اكبر امراء الكنيسة وأشهر فحول علمائها كالاطفال في الطاعة حتى الموت وبذلك ثبت صرح الدين باحجار الابرار متماسكة بدماء الشهداء. فاي مجدٍ على هذا المجد؟

اذهبوا الى الكنائس بافضل ما هو زينة القلب قبل الجسد!

اذهبوا الى الكنائس وباركوا القادم بالسلام والرجاء الصالح لبني البشر!

اذهبوا الى الكنيسة وفي صدوركم المحبة للجميع والرحمة للرازحين تحت اعباء الشرور والمفاسد والغرور والمكايد.

قد لاتكون افضل من اصغركم مسيحية، بل قد لاتكون مثله، ولكننا نعتقد بالمبادئ والتعاليم الانجيلية ونرجو ان نعمل بها باكثر من النظريات والاقوال. ومن يدري ما اذا كانت المسؤولية على هؤلاء الذين يعتذرون بما قيل ان «نسمع اقوالهم ولانعمل اعمالهم»

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

الرومان وغير ناظرين الى التعاليم المسيحية لاقتدائهم برؤسائهم ومن يلومهم الا لوماً لا معنى له ما داموا جنوداً يتبعون القادة، واكثر هؤلاء غير صالحين وغير مصلحين.

ان اكثرنا نحن مسيحيي الشرق، نعرض الدعوى ونطولها، ولكننا في الاقوال اصدق منا في الاعمال او اننا نرتفع وننخفض بين وسائد الاهواء كما يعلو ويهبط الغرقى بين الامواج التي تزجيها الاهوية، والادعاء بعكس ذلك مغالطة قبيحة.

ما اعظمك، ايها الميلاد، لو كنا ندرك حقيقتك، وما اقبح الادعاء فينا دون العمل بما كان لنا من بعدك!

ما امجدك، ايها الميلاد، لو كنا متأملين، متدبرين! انت حلوى الشيخ، انت أمل الشاب، انت بهجة الفتاة، انت رجاء الام، انت لذة الطفل، انت رابطة النسب والصداقة، انت ملطف الخشونة ومقوي الضعيف، وانت المجد الحقيقي فوق المجد الباطل.

ما امجدك، ايها الميلاد، في احترام الفقر الناتج عن غير الرذيلة والكسل واحتقار الغنى بالخمول والذهول والمآثم والمحارم!

ما امجدك، ايها الميلاد، بتعاليمك السماوية التي ان لم يكن فيها الا «احبوا اعداءكم» فهي اشرف فلسفة وجدت حتى الآن!

وفوق ذلك: فيها الرجاء والايمان والمحبة - فيها التحرير من العبودية - فيها الحلم والرأفة - فيها اللطف والعطف - فيها الرفق

والصدق - فيها العدل والفضل - فيها الاخلاص حتى الشهامة والوفاء حتى العبادة، وفيها انقاذ المرأة كالرجل، ولم تكن المرأة غير أمة قبل الميلاد.

ما امجدك، ايها الميلاد، بالجهاد والاجتهاد، بالعمل على أمل، بالصبر على الفقر والغدر والمكر، بالاناة والتؤدة، بالنظام والنظافة للروح والجسد، وبكل ما هو فضيلة جليلة!

بل ما امجدك بالخضوع الذي يعني الارتقاء! فان الحواريين كانوا اسلس الناس قياداً للانجيل ولرب الانجيل وكان اكبر امراء الكنيسة وأشهر فحول علمائها كالاطفال في الطاعة حتى الموت وبذلك ثبت صرح الدين باحجار الابرار متماسكة بدماء الشهداء. فاي مجدٍ على هذا المجد؟

اذهبوا الى الكنائس بافضل ما هو زينة القلب قبل الجسد!

اذهبوا الى الكنائس وباركوا القادم بالسلام والرجاء الصالح لبني البشر!

اذهبوا الى الكنيسة وفي صدوركم المحبة للجميع والرحمة للرازحين تحت اعباء الشرور والمفاسد والغرور والمكايد.

قد لانكون افضل من اصغركم مسيحية، بل قد لانكون مثله، ولكننا نعتقد بالمبادئ والتعاليم الانجيلية ونرجو ان نعمل بها باكثر من النظريات والاقوال. ومن يدري ما اذا كانت المسؤولية على هؤلاء الذين يعتذرون بما قيل ان «نسمع اقوالهم ولانعمل اعمالهم»

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

كأن عبث قادة الجيش يدعو الى اخلاصه. فليكن لنا قادة مخلصون واكفاء ليكون لنا جنود مضحون وأجراء، او باطلاً يبني البناؤون ما لم يبنِ ربُّ البيت.

ليس من التمنت ولا من الرغبة في انتقاد رجال الدين ما نكتب مثل هذه الكتابة في مثل هذا الوقت وانا نحن في مهاجرنا تحت خطر من امثال اكثر رجال الدين اوخم واوبل من كل خطر آخر. واذا طلب من المسيحيين ان يصلحوا فاسدهم فطلب اصلاح الفاسد في اكثر رومانهم المرافقين اولى واهم - ان افراد رجال الدين بيننا صالحون للدين من عشرائهم وما لا مدافعة فيه ان الى الاسترخاء، وربما الى الانحلال، مصير الضعفاء منا. فليتق الله من نحترمهم في الله.

أفي الغرب يكون موئل المسيحية التي انبعثت من الشرق بأشعة تعاليمها السامية ؟ انحرم حتى مفاخرة الغربيين بالتشبث بها اخذوه منا واجلوه دوننا ؟ ام ان الدين كالوطنية عندنا لغو تسمع له نبرات دون ان يكون على شيء حقيقي من المعنى ؟

كل قرائنا شرقيون ولهم نكتب لنؤكد لهم ان المسيحية تنبذ التعصب ليس بين طوائفنا فقط، بل بيننا وبين غير ابنائها الذين تنظر اليهم بمحبة وولاء وتبارك حتى اللاعنين منهم وروح هذه المسيحية التي تعلمنا اعتبار غير المسيحيين اخوة لنا ايضاً تقدم مواجب التهنئة

للجميع ونرجو ان يكون الميلاد الجديد حافلاً بالآلاء معززاً بالاتحاد والولاء ومقبلاً علينا بطلائع السلامة والسلام وروابط التفاهم والوئام، واذا كنا، كمسيحيين، نعتبر المسيحية كهرباء المدنية فان انوارها لنا ولغيرنا على السواء وتحية للمتجردين عن التعصب والاهواء.

ولد بمولد السيد المسيح الفداء فهل يولد فينا رجاء افتداء انفسنا بالاعمال الناهضة الجليلة ؟ نرجوه

- ٢٤ كانون الاول سنة ١٩١٣

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

حرب وحرب

هل مددت الى الطيبة عيناً، واعرتها اذناً ؟

هل راقبت الارضَ تتمخض بالهزّات والزلازل، والسماء بالهزاهز والاعاصير ؟

هل شهدت او أخبرك مخبر بهول العاصفة، والامواج ترتفع جبالاً وتهبط اودية، والموت فاتحٌ شدقيه ليبتلع المركب بما فيه ؟

هل نظرت الى اكفهرار الجو وتلبد الغيوم الدكناء وسمعت بعد ذلك هزيم الرعد ودمدمته ؟

هل قرأت شيئاً عن انفلاق الماء وانفغار فم الهاوية لابتلاع الانسان والحيوان ؟

وهل اقتربت من جبل ناري يقذف الحمم والمحل ويمطر الدمار والنقم ؟

هل كنت في معمعان حرب خائضاً غمار الموت ؟

هوذا الحرب ومخالب الموت ناشبة معا !

ويل للانسانية ! ويل للمدنية ! ويل للمسيحية وويل لموريّ نيران الاحقاد ومسعّري ضرام الضغائن بين العباد !

هل من هواء نطقي به المحتدم من الاهواء ؟ أحكمه قطر ينزل على كل قطر فتندمل به الجراحات وتخفّ الويلات ؟

امن سماء المدنية والمسيحية تنقضُّ صواعق الانتقام وهي سماء الرقي والسلام ؟

امن مهاب النسيم تندلع السنة الجحيم - جحيم الحروب والكروب والخطوب ؟

امن انداء الامهات رضع الاولاد لبان العداوات، وعلى تلك الصدور الحوانق ملتقى السيوف البوارق !

لسنا في مقام التذنيب والتجريم وكلنا في الانسانية اخوان، ولا نحن في منهبط التحيز والتعصب وكلنا للتروّي والتساهل اعوان وانما نحن نصف الهول ونردد المكتوب والمنقول قياماً بواجب الصحافة الحرّة الصادقة التي لاتعرف لدولة على دولة فضلاً غير اثبات الحقائق.

هذا شأننا والدماء تهراق وادوات الموت تمزق الضلوع وتدقّ الاعناق.

هذا امرنا والدموع تنهمر والنجيع يتدفق والاباء يذوبون من الوجوم والامهات يسلن الدموع من الغموم. وسنكون على هذه الخطة دون تصاغر بالتعصب وتسفل بالتحزب، لاننا نفهم اننا، نحن السوريين، «يجب ان يكون لنا وطنية لا ان نحاول انتزاع وطنية السوى بجهل وحماقة» - ومن له ذرة من العقل ويعتقد بان من لا وطنية له، له غيرة وطنية ؟

لهذه الجريدة طريقة واحدة هي رواية الاخبار على علاتها الى

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

ان يثبت الثابت ويكذب المكذوب فيه. والجرائد العربية، التي وهي في المهاجر تريد مزاحمة الجرائد التركية او المشتركة في افساد الاخبار وابدال الانتصار بالانكسار او عكس ذلك، شأنها دون اعتراض الا انها تكون تخوين قرائها والتاريخ.

هناك في اوروبا تصطرم النيران فوق المياه وتحتها عند اصطدام المستزيرات والطوافات والرعادات.

هناك تستك المسامع من دوي المدافع وتكسر الضلوع وتمزق الجموع.

هناك يزاحم الطيارون النسور ليتنافسوا في التقتيل والتدمير.

هناك يهشون لطير السماء ووحش البر طعاماً من امثلة المتهالكين المتفانين.

هناك تهدم المعامل بالقنابل ويكفهر وجه الحقل الناضر بما فوقه من الرصاص الماطر.

هناك تتحول زرقة السماء الى احمرار مصبوغة بدماء الاحرار.

هناك تتحطم اركان عروش الحرية تحت اثقال مظالم الاستبداد

هناك لا دين في الدين: يسأل الكاثوليكي في فرنسا وانكلترا النصر على اخيه في النمسا والمانيا. ويسأل البروتستنتي في المانيا النصر على اخيه في انكلترا. ويسأل الارثوذكسي في روسيا النصر على اخيه في النمسا. وكلهم يسألون نصر الشيطان لا نصر الاله

الرحيم الرحمان ولا يخجل روساؤهم من تجزئة الرب الجبار ـ الاله المحب الشفيق.

من يقول ان المتطاحنين في اقبح حرب عرفها التاريخ يعرفون الانجيل؟

ان انجيل هذه الدول المتصادمة الان انجيل مطامع وتوسع لا انجيل فضائل وتخشع ـ انجيل تنازع ومصانعة ونفوق ومخادعة ولا أثر للمبادئ المسيحية فيه ـ انجيل يومئذ من تحت الاباط ليمزقه ناموس المنازع والمطامع كل ممزق، لذلك هو غير انجيل الناصري.

ورجال الدين! رجال الدين، الذين لم يحركوا اصابعهم للحؤول دون الحرب، ولا السنتهم واقلامهم للتوسط، ولا قلوبهم لخفق الدماء، يرفعون الصلوات والابتهالات الى الله ليمنع الحرب التي يُنحر على مذابحها عشرات الوف الناس ـ يعبدون العظماء والله يضحك منهم ويعلم انهم خبثاء.

يومئذ الرجل من بين ذراعي امرأته، والابن من بين اذرع والديه، والشاب مبللاً بدموع عروسته او خطيبته ويرمى به في معترك القتال ليذهب فريسة الافراد من الرجال!

وتنفق مئات ملايين الذهبات على غير ترقية البشرية او تحسين وجه الارض او تجفيف المستنقعات او محاربة الاوبئة او الانتصار على الطبيعة لان «الحق الالهي!» المشبث به الملوك يجب ان يؤيد بتقتيل الناس وارجاعهم اعواماً الى الوراء.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

واذا كان هذا شأن ارقى دول الارض فما ذا نتوقع من الشعوب المنحطة والامم المستبدة ؟ ماذا نتوقع من تركيا مثلاً، وهي دولة ان لم تجد من تأكله فتأكل نفسها.

كل انسانٍ يعلم ان القتل جريمة ولكن
«قتلُ امرئٍ في غابةٍ جريمةٌ لا تغتفر»
«وقتل شعبٍ كاملٍ مسألةٌ فيها نظر»

فكم هو صياني وسطحي تمدننا، وكم هي طويلة عريضة دعاوي المدعين والمتظاهرين !

***

يتوهم منحوبو القلوب الذين لايجرؤون على مقابلة خيالاتهم - وان ادّعوا انهم ابطال الحروب - ان الدعوة الى الاصلاح تعرضنا للخطر اذ لايوجد من الدول الضامنة استقلال لبنان دولة تستطيع الدفاع عنا. والحقيقة ان تركيا، وان حاولت الاستئثار بتزع ما تقدر على تزعه من استقلال لبنان، هي اعجز من ان تقدم على ارتكاب جريمة سياسية تعلم حقّ العلم انها تكون سبب اضمحلالها.

نعم ان اكثر الدول الضامنة استقلال لبنان مشتبكة بالحرب الا ان حربها لاتطول الى الابد، فضلاً عن ان ايطاليا وحدها قادرة على النيابة عن اخواتها في صون حقوقنا وان تركيا نفسها تحت خطر شديد من الاضمحلال بقطع النظر عن جهة الانتصار.

فتهيّب اللبنانيين في غير محله، بل ارتجاف جبنائهم في هذا الوقت يدلُّ على تأصل العبودية في قلوبهم، والحمد لله ان الجبناء عدد قليل.

نحن في لبنان نطلب حقوقاً مهضومة لا انتقاضاً على الدولة. واذا كانت تركيا تفترص فرصة انشغال اوربا بحربها الهائلة لتنزع عنا ما تستطيع نزعه من الحقوق فتكون «تستعد للانتحار» من جهتها ويكون اللبناني الخائف من ظلمها والمتردد في الدفاع عن حقوقه غير لبناني : اما بدمه واما بحيته.

- ٦ ايلول سنة ١٩١٤ -

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

ماذا يهمني!

خف الذي يقول «ماذا يهمني» لانه يكون جامعاً بين التفوط والاهمال والجريمة، او يكون على الاقل من الذين لايكترثون لمصالح الناس التي يقدمون عليها.

اكبر الذين لايهمهم احد او شيء هم اولئك الذين لا اهمية لهم ومن اجل عدم اهميتهم يجب ان نهتم بهم لانهم جزء من الهيئة الاجتماعية التي نحن منها.

حينما يكون احدنا قائماً على عمل سواء كان كبيراً او صغيراً وكان ذلك العمل لايهمه فان نتائجه لاتكون حسنة. نعني بذلك ان العمل يقوم ولكنه يكون كالطعام المطبوخ بغير عناية، فيه شيء من النقص، وربما كان مضراً بصحة آكله الا انه طعام مطبوخ. وكذلك كل عمل لاتبذل عليه عناية لايجيء جيداً.

والعناية في الانسان هي كرامته. فعلى قدر كرامة النفس عند احدنا تكون اعماله جيدة وعلى قدر عدم مبالاته بتلك الكرامة تكون اعماله رديئة. مع ان الفرق بين الجيد والردي من الاعمال لايحتاج الى عناء كبير ومفاداة كبيرة بل الى ارادة قوية تجعل الجيد مطلباً شريفاً والردي غضاضة على صاحبه

الا ترون ان العشرات والمئات منا ينفقون اموالهم واوقاتهم

على التوافه من كل شيء، ولا «تهمهم» الطرائق والمطالب الوطنية؟

الا ترونهم لايعبأون بذويهم المتخلفين في الوطن مع معرفتهم ان اولئك المساكين يتضورون جوعاً، او هم - على الاقل - في خصاصة وضنك وبوس؟

الا ترونهم يفاخرون الناس بالاسراف والتبذير - سواء كان ما ينفقونه كبيراً او قليلاً - لمجرد انهم يحبون الظهور والمباهاة ولمجرد ان الامور الجوهرية لاتهمهم؟

الا ترون اننا كلنا نزعم المطالبة بالاصلاح ومتى قيل لنا ان الاصلاح يحتاج الى بذل احجمنا احجام الهيابين المذعورين وقلنا ان الاصلاح على الزعماء. ومن هم الزعماء؟ ليس الزعماء اولئك الذين يستقيم بهم منآد الوطن بل اولئك الذين لايصلحون لشيء ويريدون نزع كل زعامة ليكونوا هم الزعماء. ومن الخلافات الطائفية والصحافية والاجتماعية وبينها خلافات الكنائس والجمعيات والبيوت التجارية يثبت بما لايبقى معه موضوع للتردد ان البلاء الاكبر في امتلاء صدور المتطلبين والضعفاء وغراً على الاكفاء. وبرهاننا اننا كلنا زعماء ورؤساء وعظماء واقوياء وبلغاء ووجهاء. واذا قيل لاحدنا: «انك ياافلان ولانعامر» قال: «وماذا يهمني، ماذا يهمني؟..»

ماذا يهم التاجر الذي لايكون مستقيماً ان يخدع عميله ليستفيد استفادة وقتية تنقلب عليه بالخسارة التي لاتعوض لانه يعتقد ان المستقبل لايهمه.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

اتعلمون يا قراءنا ان الطرائق السورية ـ الا النادر منها وذلك بين فئة قليلة ـ قائمة على الاستشار والانانية والادعاء والخيانة، وان هذه الحرية التي تتمتع بها عائدة على اكثرنا بالضرر البليغ لان اصلاح نفوسنا وتهذيب اخلاقنا وتقويم مناهجنا من الامور التي لا تهمنا.

اتعلمون اننا نسقي الثابتة من مياه الاهمال والاختيال والاحتيال فتنمو على اقبح ما نحن عليه.

ومع ذلك ـ مع كل ذلك لا يوجد منا من لا يشكو ولا يتذمر ولا يئن ولا يلقي عبء المسؤولية على عاتق غيره.

لما اخترعوا الساعة للمواقيت استنوا السوريين منها لان الوقت لا يهمنا ـ بلى يهمنا الوقت اذا كان لقتل العمر والنشاط والاجتهاد ولاحياء الخمول والذهول والفساد بدليل انك اذا جعلت وقت عمل اي سوري ـ ولا تستثني نفسنا ـ ساعة في الشهر فنحن لا نكون امناء على الستين ثانية ولابدّ لنا من اختلاس بعضها والتذمر بعد ذلك من المشقة والعناء اذ ماذا يهمنا؟

ولما اوجدوا الموازين والمكاييل والمقاييس عرفوا ان السوريين يوجدون فيها تغييرات مع الايام او يوجد كل واحد منهم تغييراً فيها كل يوم، لأن النظام لا يهمنا، ولأننا نحن فوقه.

ماذا يهمّ السورية ان تنفق ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً مما

جعلوه سنة دون ان تكرس ثلاثمائة وخمسة وستين دقيقة منها لرأسها، ولكنها تتذمر لانها غير قادرة على مجاراة المليونيات في الزهو واللهو واللبس والسيارات ـ ماذا يهمها؟

وماذا يهم السوري ان يخنق كل يوم من ايام سنته بيديه متأففاً متذمراً وزاعماً ان الدهر ظالم لا ينيله ما يريد، ولا يذكر ان الدهر مؤلف من اجزاء حضرته منها، اذ ماذا يهمه ان يذكر؟

وماذا يهم صاحب الهدى ـ حتى لا نذكر غيرنا من اللبنانيين الذين هو منهم مادام عدد مشتركيه كافياً لاصدار الجريدة ـ ماذا يهمه ان ينصح لهم، وان يخالفهم في بعض مذاهبهم، وان ينتقدهم فيغضب الجهلة والمتفرنجين والمتطفلين منهم، وفي الجرأة والانتقاد خسارة بعض العواطف والاموال والابتسامات ـ ماذا يهمه والصحافة تجارة لا حصافة او مقاذعة ومخافة.

قل من لا يروغ من الاخر منا، لأن المبادئ بخسة الاثمان بيننا والثابتة الداهية من جرى على طريقة المصانعة والمخادعة، اذ ماذا يهمنا؟

لذلك ننصح لكل قارئ من قرائنا ان يهمه كل شخص وكل شيء اذا احب ان يكون على شيء من الاهمية عند الناس.

ونقول ايضاً لقرائنا ان يخافوا الرجل والمرأة اللذين لا يهمهما احد او شيء، لانهما خطر على نفسيهما وعلى الآخرين.

بل نعتقد انه اسلم للانسان ان يضع اقعواناً في جيبه يعلم انه

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

هناك فتنتي نهته من ان يضع شخصاً «لايهمه» احد او شيء او منهج، لان ذلك الشخص الذي لايحفل بعهد ولايبالي بوعد شر من الثعبان واخبث.

احذروا كل من «لايهمه» غير هواه، فان العالم لايقوم على المنافع الشخصية ومزالق الانانية. ان التاريخ لايحفظ للثعالب، بل للبلجيك، ذكراً طيباً. ولايذكر المانيا مع حوطا وطوطا بشيء من الفخر الذي يذكر به الجبل الاسود.

ـ ١٨ كانون الثاني سنة ١٩١٦ ـ

الله يعين

عظيماً يكون استغراب البعض عندما يقرأ اعتراضنا على «معونة الله» التي تلوكها الافواه السورية كما تلوك غيرها دون ان تفهم معانيها.

وعظيماً جداً يكون سرور بعض رجال الدين بتعرضنا لما فيه اسم الجلالة بعد ان احتكروا السماء بتمامها بالكثير من اقسامها، ولو لم يفهموا ولا ارادوا ان يفهموا ما نحن قائلون.

تنكر كل الانكار ان الله يعين ابناء الوطن على نيل «اكثر» ما يستعينون به على نيله وادراكه والحصول عليه.

وتنكر ـ بائد ما يستطيع الانسان الانكار ـ ان لله علاقة باكثر الاعمال التي نستعين به عليها استعانة تدل على الخمول والجهل والتواكل والذل.

المستعينون بالله على كل شيء يجعلونه «خادماً» مسخراً لقضاء ما يريدون دون ان يفهموا ذلك.

هم يجعلون الله مرة وسيطاً، واخرى سماراً، وطوراً جاسوساً وتارة رقيباً، ولايكونون يكثرون للاسم الكريم.

والذنب في ذلك راجع الى رجال الدين ـ الى اكثرهم ـ الى الكبير والصغير فيهم ـ لانهم جروا في التربية المسيحية على طريقة

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

«الترهيب» التي تريد بها جعل كل ذكر راهباً، وكل انثى راهبة. فنشأت الامة على الرهبة من كل شيء: جيد وردي، وحسن وقبيح، وفاضل وساقل، واصبحت ـ وتلك تربيتها ـ غير جريئة، وغير مفكرة، وغير مستقلة، وغير ابية. وزاد في تأخيرها انها رجعت في اكثر امورها الى الدين حتى بقلة دين احياناً. فاللص يستعين بالله، والمتآمر يستعين بالله، والمنافق يستعين بالله، ومراود النساء يستعين بالله، ومذيع الاكاذيب والاختلافات يستعين بالله، والحامل يستعين بالله، والجاهل يستعين بالله، وليس من «لايستعين» بالله الا الذين يعرفون الله، ويحبونه، ويؤمنون به، ويقومون بواجباتهم له. هؤلاء ـ وهم العدد القليل بين ابناء الوطن ـ لايستعينون بالله الا «نادراً» واذ تكون الاستعانة في محلها. لانهم يعلمون ان الله غير ناطور، وغير اجير، وغير شريك تجاري، وغير مندوب سياسي، وغير معلم اولاد، وغير مقاسم فساد، وانه ـ جل جلاله ـ لا علاقة له بكل هذه الامور الدالة على الخمول والغرور.

ان الله عند المسيحيين ثالوث اقدس هو الاب والابن والروح القدس. وقد استناب عنه ـ على ما نعتقد ثلاثة: العقل والضمير والارادة، وهي مجموعة «الروح» فاي من اهتدى بهدي العقل واستنار بنور الضمير ولبى استحثاث الارادة كفى الله مؤونة «الثقيل عليه» واراحه من «ثخانة الدم» وبلادة الفهم.

ما قولكم في انسان تخور عزيمته عن العمل فيستعين بالله على

القيام به دونه!

وفي عامل حاسد لاتكون ترضيه اجرته او لاتكون تكفيه لاشباع شهواته ومقالاته فيختلس مستعيناً بالله!

وفي اي من يبشر بالتعاليم المسيحية وسائر الاقوال الفلسفية القويمة بلسانه الذي لاتفارقه الاستعانة بالله والتظاهر بخوفه حتى اذا خلا بشياطين ملاذه وبخله ودسائسه ولؤمه اخذ يتمرغ في حمأة السفالة والنذالة!

اتعلمون ياقرائنا ان ما قرأتموه حتى الان لايخلو مما يلتمسه اعداؤنا لرمينا بالكفر من اجله، ولكن اتبعونا فلنا ما تزيد كم منه، ولاتخافوا من اتباع الهدى.

كلما احتجتم الى الاستعانة بالله استعينوا بانفسكم اولاً واتركوا الله وشأنه. وحينئذ تجدون ان الله بعينكم.

لاتزعجوا الله بطلب معونته اذ يكون الكسل مستولياً عليكم، لأن الله لايقوم باعمالكم عنكم ولو بحت اصواتكم مستغيثين به.

لاتجدفوا على الروح القدس بزعمكم انه يحل عليكم، ويلهمكم ويهديكم، ويسدد خطاكم، وانتم تكونون تكيدون لكل ما فيه ضرر وشر.

لاتتبعوا طريقة المسيح التي كانت «العمل» منذ كان يساعد «اباه» يوسف الى ان صار يأكل خبزه بعرق جبينه مستقلاً بالتعليم والتقويم.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

استعينوا بالعقل والضمير الحي والارادة الثابتة ونحن نضمن لكم معونة الله.

لنفرض ان احد الناس استعان بالله عاماً كاملاً لعرقلة واخفاق مساعي احد الاحرار، فهل تظنون ان الله يعينه ؟

ولنفرض ان احد خونة الوطنية والمناهج الحرة استعان بالله والتجأ الى ملائكته ليجمع ثروة بالحرام والاحتيال، فهل تظنون ان الله وملائكته يستجيبون طلبه.

وما هو الفرق بين الناس والمجاوات اذا كان الناس لا يستعملون العقل والضمير والارادة التي اقامها الله «نائبة» عنه او «اوصياء» علينا من قبله.

المستعينون بالله على انجاح مساعيهم دون فرق بين قويمها وملتويها اشبه بالاولاد الذين يستعينون بامهاتهم كلما ارادوا اكلاً او شرباً او اي حاجة اخرى. بل الاولاد افضل منهم لانهم يستغلون بعض الوقت اذ يكونون يلعبون. اما هؤلاء الاولاد الشبان والكهول والشيوخ فلا يستغلون ابداً.

فكرنا طويلاً في الاستعانة بالله ووجدنا ان الله لا يعيننا الا اذا اعنا انفسنا ـ ساعد نفسك يساعدك الله. اما اذا توقعت ان يجد الله ويكد عنك فانت جاهل خامل.

تذكروا وذكروا اصدقاءكم بان الله لا يحب المتواكلين المتطلبين ولا يساعد غير المجاهدين المستقيمين.

ومن الحماقة انتظار التوفيقات اذا خام العاملون وناموا، لان الله حركة لا جمود، وهمة لا فتور، وعمل لا كسل.

انكم لا تزون مفكراً، مدبراً، مجتهداً، مقتصداً، حازماً، مستقيماً، حراً، امياً، فاضلاً، عاقلاً يخذله الله، لان هذه الطبقة من الناس لها بنفسها ثقة، ومن فضائلها اعوان، فهي لا تقلق الله في سمائه اذ تكون الواجبات تدعوها الى القيام بها باخلاص وامانة واستقامة.

فقولوا لرؤساء طوائفكم يلقوا عليكم العظات المشددة للعزائم والمحركة للهمم، لا تلك العظات المملوءة تهويلاً وتذليلاً، واحياناً، جهلاً وتضليلاً ـ قولوا لهم انكم تحتاجون الى تربية على اباء، لا الى تربية لامتثال اوامر «حضرات بعض الآباء» ـ قولوا لهم يكتبوا عظاتهم وينشروها على الناس اذا كانوا واثقين بسلامتها من الاغراض والاهواء ومحاولة سحق النفوس وحطم الارادات وتخدير الضمائر واطفاء نور العقل ـ قولوا لهم ان الاحرار انفع لهم وللدين وللانسانية وللاصلاح من الخاضعين الخانعين المطيعين المتوسلين ـ وقولوا لهم اخيراً ان «الثالوث الاقدس» على الارض هو من العقل الاب، والضمير الابن، والارادة الروح القدس، لانها ممثلات الله في السماء. وانبذوا كل قول فيه تغرير وفضول.

ـ ٢٦ شباط سنة ١٩١٦ ـ

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

معنى الانسانية

«كتبت على اثر ورود اخبار المجاعة من لبنان»

يروى عن ارسطاطاليس انه جاد يوماً على احد الذين لا يستحقون فلامه اصحابه، فقال :- عرفت ان الرجل لا يستحق المساعدة ولكنني لم اجد عليه بل على «الانسان» دلالة على ان هذا المخلوق الذي يعتبر ما يرجع الى امته فضيلة جدير بالرعاية حتى في انحطاطه فكيف اذا كان راقياً فاضلاً.

وفي الوطن الان اهل واصدقاء صابتهم السماء مع قطرات المطر مصائب لا تعد ولا تحصى، بل انزل بهم الادراك والجراد - وهما في منزلة واحدة من الأذى - ما يذكره التاريخ من النوازل المبيدة عند ذكر نكبات هذه الايام، بل تنكرهم الدهر فعضهم الجوع بنابه، وغطاهم الظلم بجنابه، واصبحوا بين الويل الجارف والضيق المتقاذف ونحن - نحن الذين ندعي فهم «المروءة والانسانية» لا نجود بالقليل الا في مقابل ثناء واطراء، ولا نجود مع ذلك الا للنزاع والعداء، ومتى قالوا لكم اننا لا نقول الحقيقة فقولوا لهم يكذبونا بالبرهان ولا يرون منا الا الاذعان مع الامتنان.

يجب ان يجود الناس من اوقاتهم الثمينة ليتوسلوا الينا ان نساعد اولئك الذين لا موئل لهم الا نا، ثم ان توجد لهم ما يعرقل مساعيهم ويقف تقدمهم كأن المسؤولية في اغاثة اهلنا وجيراننا

واقعة على الافراد دون الجمهور، وعلى القرباء دون الانسباء والاصدقاء.

حتى في الانسانية نكذب - حتى في المروءة نكيد ونروغ ونصانع ونخادع - حتى في ما نقول عنه انه افضل فضائل الانسان لا نحترم غير اللفظ ونبذ المعنى قصياً.

غير كثير علينا كل يوم ان نكتب في موضوع الضائقة العمومية او النكبة الوطنية التي لم يعرف قبلها للمساواة معنى، فقد كنا نتبجح بذكر المساواة ونتوهم انها في الحقوق والمسرات حتى اذا جاءتنا بالتضييق والنكبات اعرضنا عنها لاننا لا نريد الا الهبات الطيبات.

لمن نجمع ما نجمع من الاموال اذا كنا نعلم ان القبور لا تنطوي علينا وعلى حطام الدنيا معا؟

وما هي المروءة التي ندعيها اذا كنا لا نبذل الا بثمن من الثناء، واذا كنا نتجاذب اطراف غايات ومآرب لا طائل تحتها!

وما هي هذه الانسانية المأخوذة من الانسان، دالة عليه في النظافة والقذارة والرقي والانحطاط! فهو اما فاضل واما سافل.

وما هي المروءة التي لا تتجلبب بجلبابها الا اذا نفذت كلمة مدعيها وظهرت اسبقية متحلها وخفقت راية الزاعم انها له ولاصحابه دون سواهم - ما هي هذه المروءة الكاذبة التي هي على اتمها عار كبير!

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

لا فضل لنا في مساعدة اهلنا وجيراننا، ولا هو مما يجوز ان نعرقل مساعي الذين يجوز ان يساعدوا، ومن الفضاضة على المروءة التي هي مفخرة وشرف وفضيلة «المرء» ان يتخذها وسيلة للتحزب والتحزب بعد ان تكون الارواح تزهق في الوطن الذي ندعوه عزيزاً ولكننا لانعزه بغير اللفظ.

كان لنا من الرقي والتهذيب نصيب جازفنا فيه مجازفة تكاد توصلنا الى الفوضى التي هي نتيجة النقص من كل شيء، وكان لنا من معنى الانسانية ان «الانسان لنفسه» دون سواها، ومع كوننا من اقدم واكبر الدعاة الى العصبية العادلة والتخصيص الشريف، فقد فهمنا ان نكبة القوم المتخلف في الوطن نكبتنا، اذ ما هي الاسرة البشرية الا ان تكون اعضاء متكافلة واجزاء متضامنة، اما الذين لا يفهمون بالانسانية او المروءة غير «الانانية» فاولئك قوم لايهمهم باي الاسباب يتسببون لادراك مآربهم.

الانسانية او المروءة هي ان يدرك السوري ان وطنه احق به من البلجيك المنكوبة والسرب المغلوبة، وانه اذا كان له وفر من خيرات الارض فليجد، ليس فقط على الغربيين، بل على الافريقيين وسائر الشرقيين بشرط ان «يخصص» سوريا اولا.

وكأنا بفريق من الناس لايكون صاحب مروءة الا اذا كان مرتفعاً على كرسي الزعامة، ونحن الان في ضنك لا نجاة لنا منه بغير الاذعان لصوت الرحمة الذي تختلج به القلوب النابضة بالدم

الانساني دون سواها، فليعلم كل من تقع عيناه على هذه الحروف اننا نفضل ان نلطم من اخواننا المخدعين باوهامهم والطائرين على اجنحة اهوائهم وان يكون للمنكوبين في الوطن غوث وفرج من ان نعير اللاطمين اقل التفات في وقت يجب ان نترفع به عن الخصوصيات والانانيات، فنحن للوطن الصغير الذي هو جزء من العالم الكبير ويجب ان نخصه بافضل ما لنا ولدينا ليكون لنا حق بالمروءة التي نزعم انها من الهبات الخاصة بنا.

الحكمة المفيدة ان يكون خيرنا للاقرب فالاقرب، ووطننا الصغير اقرب اوطان الشعوب الينا فنحن مطالبون بهذا الوطن وابنائه الذين تربطنا بهم الروابط التي ترتبط بها الشعوب الراقية عن الحيوان.

ولايهمنا الان ان نتبسط في موضوع له خلاصة واحدة - هي ان «المروءة» لاتكون للذي يقول انها له بل للذي يعمل بها، والعمل بالمروءة هو ان نعتبر انفسنا «مجرمين» اذا كنا نتنابذ ونتشاكس، ونتكايد ونتعاكس على تلك حزازات في الصدور، ولاغلاء سدة من الغرور في مثل هذا الوقت - في مثل هذه النكبة.

فلا تفرطوا هذا العقد المنتظم لخدمة قوم نحن - ونحن دون سائر البشر - مسؤولون عنهم لانهم «اقرب» الناس الينا، ولاتميتوهم بالضمائر الميتة.

- ٨ تموز سنة ١٩١٦ -

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

ايها الدولار الكلي القدرة

انت نقضت اخلاقنا وافسدتها في وقت واحد ـ انت كنت الملك فأظهر الكريم كرمه واللئيم لؤمه.

انت حسنت حالتنا، وبنيت دورنا وقصورنا، وشريت حقولنا وبساتيننا، وزينت اجسامنا وروسنا ولاسيما روس النساء، واثثت بيوتنا، وشيدت كنائسنا، ورممت المتهدم من كل ما كان عامرا.

انت ارحت وارغدت وجعلت الناس في غبطة ونعيم.

انت ابتعت الخيول والعربات والسيارات وسلاسل الذهب والاقراط والاساور والعقود النفيسة والثياب الفاخرة والخواتم الثمينة والقراء الغالية.

انت علمت الاولاد في المدارس، واعليت المنزلة في المجالس، واحييت ميت الآمال بين الخاضعين الخانعين. والفت الجمعيات المختلفة والبيوت التجارية الواسعة.

انت علمت الكثيرين، بل الاكثرين، من لم يكونوا يعلمون لولاك، نظفت الاقذار وغسلت الادران وحييت الرقي الى الشاعرين.

انت ذهبت رسولاً عن الاحرار دون سواهم، وبشيراً بالحرية والاستقلال والاصلاح، ولم تأسف على ذوبانك واضمحلالك في سبيل اخوان المجاهدين.

انت استرقت دفائن الوطنية في قلوب كماة الوطنية دون سواهم.

انت علمت الامين على كبر وان اعتد حمقاهم.

ولكنك... اسأت كثيراً، وخربت كثيراً، واضللت كثيراً!

انت، ايها الدولار المبارك والملعون في وقت واحد، كنت لنا نقمة لا نعمة عند صغار العقول ووضعاء الاصول.

انت، ايها الدولار الامين والخائن في وقت واحد، صرت معبود الادنياء والبخلاء فقتلت في اكثرنا الاباء والوفاء.

انت الذي آثرك الاوغاد على استقلال البلاد ورضي كل خسيس ان يكون بك ومن اجلك الخائن الجاسوس.

انت الذي اوجدت الجاهل من الثراء العاجل وخلقت اللئيم من الكريم.

انت الذي سهلت على الزوج ايقاد امرأته وكريمته واخته اليك يخطبن في المهجر ودك لتنزل بهن الخطوب.

انت الذي ابعد حبك اكثر رجال الدين عن الدين.

انت الذي عشقك الاحداث فلم يبق بهم للوطن اكثراث.

انت الذي انمت الساهر، وافعدت القائم، واذللت الرفيع، ورفعت الوضيع وقد يكون خليعاً.

انت الذي يؤثرك الاكثرون على الحياة ـ انت افضل من الحياة عند الذين لا يطلقونك لتذهب وتنفذ المكوبين.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

انت الذي اشترى بك الاتراك الوريثات المدعوة جرائد ومجلات بيننا لتقاتلنا بكل لوم ونذالة.

انت الذي ابتاع بك الاتراك رؤوس وايدي وقلوب بعض اوغادنا وخونتنا من القائلين عن انفسهم انهم حملة اقلام وما هم الا حملة اذحال وعرام.

انت الذي اوجدت المخادعة والمصانعة والروغ في بعض تجارنا فاصبح لايهمهم من ينتصر ومن ينكسر بشرط ان تسلم لهم ارباحهم.

انت الذي سهلت على الاوباش الحنث في اليمين واباحة الاسرار.

انت الذي اوجدت بيننا الاباحيين والمتهتكين والمستهترين والمدعين.

انت الذي ازلت البقية الباقية من المروءات في بعض الصدور فاصبح الشاب ـ وربما الكهل المتصابي ـ يذل نفسه ليحافظ عليك، ويزور ويستر الناس ليضيفوه فلا ينفقك، ويصونك حتى بالنفاق.

انت الذي فضلك المارقون على طوائفهم، والعاقون على البر والفضل، والجاحدون على الجميل، والغامطون على النعمة.

انت الذي تسود الان بواسطة عبيدك الاذلاء صحيفتنا البيضاء عند الحلفاء ـ ربما...

انت الذي يناهض ارقاؤك الناهضين لانهم هم منحطون.

انت الذي يكذب الكذابون، وينافق المنافقون، ويلوم اللئام،

ويسفل الطغام من اجل الحصول عليك.

انت تهدم آمال الاحرار ليبنوها ثانية، وجنودك الخونة الغادرون.

فيا ايها الدولار الكلي القدرة متى كنت مع الاحرار المصلحين والذليل الحقير بين ايدي السافلين والمضللين، ارحم نفسك وكن نقيا كالفضة التي انت منها، واختر الاتقياء بوطنيتهم ومروءتهم وعهودهم وايمانهم ووعودهم ومواثيقهم.

يشعر الخائن المائن بالحاجة اليك، ويشعر مثله كل من كان على شاكلته.

انك معدن كريم، ايها الدولار الكلي القدرة، فلا تكن مع غير اشراف الطرائق.

وانت لم تصر جميلاً وثمينا قبل ان تحررت من عبودية المادة القذرة، فكن مع الذين يطلبون «الحرية والاستقلال والاصلاح» لا مع اعدائهم المناوئين...

ـ ٢٩ كانون الثاني سنة ١٩١٧ ـ

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

سبحوا الله بالقيثار !

من القلب سلوا الاوتار.
على غلائه نقروا.
في فضاء الصدر انتشروا.
بين حنايا الضلوع جلسوا.
ولآلاء الروح الخالدة انشدوا.

...

اقرّ الثغر عن صباح باهر في الليلة الليلاء.
اشرق نور المجا في دامس الظلام.
كانت الشعور اكاليل.
كانت كنوز الافكار تحت الشعور.
كانت المهج ينابيع الحب المتدفقة.
كانت النظرات اشعة.
كانت العيون نجوماً متلألئة.
كانت الروح في الحرارة المنتشرة في كل دقيقة من دقائق الجسم، وكان كل عضو سعيداً، مهتزاً، مختلجاً.

...

دعونا من الشعر حيث لايوجد الا الاوزان !

اغرقوا البلداء في ابحار القريض الجامد البارد !
اطرحوا المشاعرين على الاوتار وجروهم بالاسياب !
ان الشعر وحي، والوحي لايكون بالتفاعيل والصدور والاعجاز والقافية والروي.

الشعر في الروح، والروح خالدة، و كل شعر نسمعه ولانحفظه او نحفظ معناه هو من الكلم الساقط.

اما تحرق الجمرة ؟
اما ينقع الماء السلسبيل ؟
اما ينعش النسيم العليل ؟
والشعر نار وماء وهواء.

...

انشدونا مثل مزامير داود وغرام سليمان وشكوى ايوب.
فاخروا بمثل ما فاخر به بولس واوغسطين و كل من نحا منحاهما.
نوحوا كما ناحت مريم والخنساء.
اقتدوا كما اقتدى محمد ونابوليون.
اخطبوا كما خطب علي وديموستين.
وليكن الشعر مقدساً !

...

بين اهزعة الليل، اذ يذهب المعربدون الى حيث لاتدري ملائكة الروح الصافية تأخذ الاوتار بالانين والقلوب بالحنين.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

وعندما يرخي الظلام ستوله يكون جوف كل ما تنقر عليه الاوتار مظلماً، ولكن ظلمته لاتكون راعبة للنفس الراغبة.

هكذا كان الابرار يرفعون اصواتهم الى السماء شاقة طبقات الجنادس.

هكذا كانت القديسات يعقدن من الشعور اوتاراً للصدور ويتغلغلن بين ثنيات الدياجير وحولهن الند والبخور.

فسبحانك، رب الالحان والاوزان، وباعث الاناث والانجان! لانك خلقت للعصفور تغريداً، وللشجر حفيفاً، وللهواء انيناً وحنيناً، وجعلت الحياة لمن فهمها موسيقى تحيي على الارض الى ان تحيي في السماء حيث تكون حول العرش الالهي مرتلين، مرنمين، وليس في الاجواء وبين الثقاء الا كلمة الحب المقدس.

سبحوا الله بالقيثار وسائر الاوتار!

حركوا القيثارة بالحب! ان الله محبة وموسيقى ونعيم مقيم.

وانفخوا بالمزمار نفخات فيها نسمات للحياة، وبالشبابة لان هناك تجديد الشباب. ولتكن الحياة تلحيناً حتى في تخديد الارض وتصديع الصخر لان الروح التي هي من الله محبة وليس محبة حيث لا موسيقى.

- ١٨ حزيران سنة ١٩٢١ -

اضمدوا جراحاتها

نصيب الجندي جراحة فاما ان تميته فيذهب شهيد الوطنية والواجب واما ان تضطره الى ملازمة الفراش لوقت ثم يشفى بالدواء ويلتئم الثناء ويعود الى منازلة العدو ومباطشته، ونصيب المستريبة او السفينة زعادة او قنبلة فينفتح لها فم اليم لتهوي الى جوفه بكل او بعض من فيها ويحفظ التاريخ للحادثة صفحة مجيدة يفتخر بها حتى اهل كل فقيد، ونصيب التاجر المستقيم نكبة فيفقد امواله ويعيش سعيداً بحسن الاحدوثة، ونصيب الاديب نكبة من خصوم متآمرين وحساد متحاملين واديناء مختلقين فيخسر المال والراحة والسعادة الخارجية وتصان له غبطة الضمير وسكينة الروح، وترزأ والدة بعزيز او عزيزة فتنتحب ثم تتعزى اما لانها ولود، واما بين سلم من مولود، وكل هذه الجراحات تندمل، اما جراحات الفتاة فلاتندمل اذا كانت في القلب.

الناس اليوم يطربون لقعقعة السلاح ودوي البارود وهزيم المدافع. وهم، حتى لو كانوا من دعاة السلم ومقاومي الحرب، يرتاحون الى اخبار الوقعات والمعارك ويبحثون عن كل شاردة وواردة عن الصدمات والمعامع، ولا يتوقعون دمعة سوداء من سويداء القلب الجريح، لانهم يحبون دمعة الدم الحمراء.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

مسكينة الفتاة التي في قلوبها كلوم واسعة.

مسكينة الفتاة التي طعنها الغادر طعنة نجلاء، ثم انصرف الى قلب آخر يطعنه.

مسكينة الفتاة الجاهلة التي لم تحنكها الايام ولا تعهدتها الأم والنسيبة والصديقة بالنصح فانها مهشمة لا محالة. على خدها احمرار: اما من نجيع القلب واما من صباغ الحب لا الحب، وعلى يديها طراوة الضعف لا اللطف، وهي تخفي همومها وتنتحب في سرها.

ليست هذه الفتاة تلك التي يأكل اهلها من شرفها وقد استطابوا طعم العار.

ليست تلك التي عصت وتمردت بعد ان بلغت السن الشرعية واستحال على اهلها اصلاحها.

ليست تلك التي تعامى اهلها عن سقطاتها فتدهورت الى قرار الهاوية.

ليست تلك التي طرحها ذووها احبولة يصطادون بها المغفلين او طيبي القلوب ليأكلوا بالهوان او ليأكلوا الهوان نفسه بعد ان عرضت دعواهم وضاقت مذاهبهم وسفلت نفوسهم وفسدت اخلاقهم.

ليست تلك التي ارتطمت والدتها في حمأة الشهوات الحيوانية فلوثت ابنتها الصغيرة الطاهرة وجعلت مستقبلها هائلاً بالسواد ومنذراً بالفساد.

ليست تلك التي نشزت متزوجة واغويت بارادتها ويئست من السعادة.

ليست تلك التي كلما عثرت عثرة كان ذنبها على الاسر الظالم والمتأثر المتسيد.

وليست تلك التي يريدها اشباه الرجال «رجلاً» بالتعرض ليكونوا هم «نساء» بالتوقي والتحفظ واتقاء العناء والتعب.

هي تلك التي اطمعها الشاب بقلبه فدخلته لتطرد منه قبل ان تستقر، ففتحت هي قلب الارض لتفر منه الى يوم القيامة.

هي ضحية «اشقياء» الشبان الذين يتلاعبون بعواطف الفتيات دون ان تطالبهم مروءتهم بالامانة والمحافظة.

هي صريعة السم من تلك الكأس الحلوة.

هي المستسلمة لظاهر امين وباطن خائن.

هي التي يختلف اليها الشاب اختلافه الى الروضة ويتجاهل مع ذلك ان قطف ازهار الروضة محرّم: سواء كانت ملك واحد، وهي المتزوجة، او ملك البلدية التي هي الاسرة، وهي العزباء.

العزباء هي الزهرة التي تراها ايها الشاب في الحديقة يمر عليها النسيم لينعشك بعد وصوله اليك، ولكن لا يجوز لك قطفها.

لماذا كل هذا الانحطاط!

يقول الشبان ان الفتيات متطرفات متهورات، فاذا كن كذلك فهن غير صالحات للادباء ومجالستهم.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

وتقول الفتيات ان الشبان يطمعونهن بكثرة ترددهم ومواعيدهم وانهن لسلامة قلوبهن ينخدعن، فلا كانت مثل هذه السلامة في القلوب.

للمتزوجة رجل يدافع عنها، او رجل كان يجب الا يكون زوجا، او زوج تساكنه امرأته من قبيل الشفقة والعادة ودرء ملام المتقولين، الا انه يعلم من اعماق قلبه انه ظالم، وللمتزوجة اختيار ليس للفتاة وطرائق غير طرائقها، وللمتزوجة عفوية عند سقوطها من السنة الناس التي تعاقب البريئات اكثر من المذنبات، اما العزباء فغير المتزوجة «المرحومة والمظلومة».

العزباء هي «من شرف كل بيت» ولكل عضو من كل بيت شريف حق الدفاع عنها.

اذا كانت بيننا فئة تعتقد «بالاباحة» عند زعمها الاعتقاد بالحرية فتلك الفئة من الذئاب بين النعاج.

الفتاة في اعتقادنا كنز المستقبل، الا ان هذا الكنز يكون كما يكون الرجل، اما مادياً للمادي، واما اديباً للاديب، واما ماديا واديا للغني بعقله وجيبه، واما سياسيا للسياسي، واما غير ذلك بحسب الاستعداد، فالرجل الكلبي الذوق يكون كنزه من العظام والفتات والفضلات وهو نفسه لا يرضى غيرها كنزا، وبعبارة واضحة وجارحة معاً ان الرجل «الكلبي» يعدُّ لنفسه ما يناسبه، فالفتاة هي على الغالب

ما يجعلها الشاب، وليس لاحد من الشبان حق التذمر اذا كان يفسد اخلاقها ثم يطلب تصونها.

لا بحث في شؤون المرأة المتزوجة لان مثل هذا البحث علاقة باستعداد الرجل والمرأة، ولا نعتقد انه يوجد رجل من عشرة الاف لا يكون مغريا مغويا، ولا امرأة من مائة غير شاكية او باكية، ولكن لا توجد فتاة «سورية» من الف فتاة يكون الذنب ذنبها في التطرف والتمادي.

الفتاة السورية من الملائكة قبل الزواج «وشيطانيتها» لا تظهر الا بعد اقترانها: اما لانها كانت تضغط عواطفها «وتعض قرمة السنديان بالسر» واما لانها انخدعت وكان يجب ان ترحم بعد الظلم، واما لانها «صمتت» كل شيء للوقت المناسب، الا ان جمهور الفتيات السوريات على منتهى الحشمة والادب والعفاف، وغير قليل عدد الشهيدات او ضحيات الحب بالقلوب والتلاعب بالعواطف، والعابثون المتلاعبون الشبان - هؤلاء الشبان الذين يذبحون ويضحكون، واذ نقول الشبان لا نكون نعني كلهم بل بعضهم.

كلمه ارسلناها في هذا الوقت، لا لان الحروب غير شاغلة، بل لان الدماء التي تسيل من جنود الدول المتحاربة ليست اتقى من دماء الفتيات اللواتي يُقتلن وهن غير محاربات، او يذهبن ضحايا اعداء بازياء اصدقاء.

- ١٦ حزيران سنة ١٩١٥ -

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

يومهم ويومنا

«كتبت في ٤ تموز سنة ١٩١٥»

منذ مائة وتسع وثلاثين سنة يحتفل الاميركيون بالرابع من تموز احتفالاً بالاستقلال الذي نالوه فيه بعد خروجهم على الدولة الانكليزية منتقضين، وموائبتها الى ان كسروا قيودها ومزقوا بنودها متحررين، ناقضين ميثاقها، منفلتين من ارباقها، شاهرين في وجهها - وهي امهم باللحم والدم - بواتر اسالت الدماء التي كتبوا بها نظامهم.

ومنذ مائة وتسع وثلاثين سنة يقيم الاميركيون بناءً من المبادىء مشخراً، ويستون صرحاً من النظام ليس ارفع منه، وينشرون للانسانية تعليماً قويماً، ويذودون عن الحرية بالركب والمناكب، ويطلبون ما ليس اجمل ولا اجل منه من العدالة والنهضة والمساواة.

ومنذ مائة وتسعة وثلاثين عاماً يوسع الاميركيون املاكهم، ويوسعون مدارکهم، ويوسعون معارفهم، ويوسعون نهضتهم وهم على ما باشروه مثابرون، لاتثبط هممهم الصعوبات، ولاتثني عزائمهم العقبات، ويصلون الى ذروة المجد والثروة والعظمة وفي يد كل واحد منهم لواء كتبت عليه باحرف من وحي الله ونوره «ليس بيننا فروق وتفاضل بغير الاعمال فنحن ابناء الحرية».

وكانت ايام يرسل الاميركيون فيها الاسهم النارية تشق كبد

السماء، ويكثرون من الجلبة والضجيج فيموج بها الهواء ويمتلىء الفضاء، وكانت ايام يبتهج فيها الابناء بمآتي الاباء ومآثرهم، ولكن تلك الايام قد انقضت، وتلك التظاهرات مضت، وليس في روسيوس وصدور القوم غير المبادىء القويمة، والمطالب البعيدة، والمنازع الشريفة، والمطامع المعتدلة، وسيكون لهذا الشعب الناهض ذكر في بطون التاريخ لم يكن اطيب منه لأمة من امم الارض منذ الخليقة.

ان «يوم الاستقلال» هو يوم الاميركيين الاعظم، لانه يرمز الى حقيقة روحية، وللروح عندهم منزلة اسمى من منزلة المادة مع انهماكهم بتعشق الدولار، وهو كذلك لان الحرية التي كانت ضالتهم المنشودة جاءتهم هابطة من سماء الاباء والاقدام في هذا اليوم التاريخي بعد ان حبلت افكارهم بها في بوسطن وولدتها في فيلادلفيا.

لايحتفل الاميركيون بيوم تلة بنكر، ولا بوقعة جايستون ولا بمعركة نيو اورليتز، ولا بملحمتي غتيزبرغ وفيكسبرغ، ولا باستسلام ريتشموند، ولا بمهاجمة تلة سان جوان والنصر المبين في سنتياغو، ولكنهم يحتفلون «بالتمرد على الظلم» وبنصرة الحق، وبهجة الحرية - فالحرية عندهم السعادة كلها.

وماذا كان الظلم الانكليزي؟ اغير ارهاق بالضرائب وطمع بالمال وتفوق على الرعية في عصر كان كل الملوك والامراء مستبدين عتاة وكان الفرنساويون والانكليزيون من اقرب الشعوب الى الانصاف.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

ليرجع القارىء الى التاريخ ويقابل بين نصاغر النفوس التي كانت كبيرة، وتكابر النفوس التي كانت صغيرة يظهر له الغرض الذي نرمي اليه، فاننا نكتب حتى يكاد ينكسر القلب وتسحق النفس عندما نرى ان للشعوب اياما يحتفلون بها، واننا فقدنا يومنا بل ايامنا ! تتطأمن النفس وتستكين بعد ابائها وانتهائها عندما يجيء هذا الشهر الذي تكثر فيه ايام استقلال الشعوب ولانرى فيه ولا في الشهور السابقة واللاحقة يوماً نقول هذا يومنا ـ ولانرى فيه لابنائه اليوم «يوماً» وما كان لابائنا من ايام التاريخ فلتويخنا وحزننا !

لنا يوم ـ نستغفر الله ان نكون ندعوه يوم استقلال ! لنا اليوم السادس من ايلول، الا انه يدل على الخسران والخضوع ـ يوم يدل على الفقدان والخنوع ـ يوم يدل على الاستسلام بعد الامتناع ـ يوم يدل على التضعضع بعد الاجتماع ـ انه يوم وان نكن نجاري الناس فيه ونحييه اليهم، فلانؤمن به ولانعتبره الا لاننا لانستطيع ان نوجد في صدور اللبنانيين والمتحدرين منهم تلك «الروح» التي خنقتها المذاهب والمآرب، ولاننا نستبكي الناس على حريتهم الماضية فلا تجول في عيونهم دمعة !

لم يكن الامريكيون يوم شقوا عصا الطاعة اقوى على الدولة الانكليزية منا على الدولة التركية، ولا كانت لهم جامعة غير جامعة المصلحة التي اوجدتها الروح الحرة، وكنا نحن متمتعين باستقلال يحسدنا عليه الحاسدون، وكان لنا تاريخ ومآثر، فتقدم الناهضون

وتقهقرنا نحن ولازال متقهقرين، وسنظل متدهورين الى ان نعتصم بحبل الحرية ونتجو ونستقل.

يزعمون اننا شعب صغير حقير لا حول لنا ولا طول لمناهضة اعدى اعداء الحرية، وللقيام بنهضة وطنية. ويزعمون ان توحيد المسألتين اللبنانية والسورية ضروري لنا لتكوين نهضة مؤثرة، والحقيقة التي لا مراء فيها ان الذين يصنعون مثل هذه الاقوال ليست لهم الا مظاهر الرجال، فهل كان الامريكيون من صميم الشرف، هل كانوا من مذهب واحد، هل كانوا من جهة واحدة، هل كانوا من اصل واحد. إذن كيف يزعم الزاعمون اننا شعب صغير، وحقير، متوزع الكلمة، ومتفرق المذاهب، الا اذا ارادوا شجب نفوسهم والاقرار بانهم يعتنون دون رويّة، ولايستطيعون الاستظهار على اسهل الامور.

وما هي المسألة السورية، واي علاقة لها بالمسألة اللبنانية ؟

اما، والله، لو فكر اللبنانيون في تضجعهم وتثاقلهم لخجلوا مما يقولون ويفعلون، ولأقبلوا على الحرية يرفعون لها منارًا، ويقيمون لها تذكارًا، ولكن اين اللبنانيون ؟ ـ الا الذين انضووا تحت لواء النهضة والوطنية وآلوا على نفوسهم ان يفوزوا او يموتوا، وهل اطيب من الموت في سبيل الحرية ؟

لم نرَ للان ـ الا الذين استثنيناهم ـ من لم يكن خائنا لنفسه، كل من يقول انه يخدم لبنان ويخدم مصلحته بخيانة لبنان : هذا يجد

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

الحرية ويطرى، الاحرار ثم يشترى باقل من دولار، وذاك يروغ ويضايع ويرضى من العيش بلون الطعام وشيء من الاكرام ولا يجرؤ على مقاومة احد، وذلك يعمل بنعرة دينية او محلية ليعيش على حساب اللوم، وذياك يتلع عنقه الى مزاحمة المصلحين المجاهدين بعد ان يشم رائحة الاستقلال بنفسه، وذياك شحيح قبيح، ولئيم ذميم، وبخيل ذليل، يلتمس الف عذر ويجيء بالف اعتراض واحتجاج، ويقوم بثلاثة الاف مقاومة ومصادرة، ومخاصمة ومناكرة، حتى لا يخرج الزئبق من كفه، ولا الدولار من قبضته، وما هكذا تكون الوطنية ولا كذلك ينال الاستقلال، ولا بمثل هذا الخمول وتلك الاضاليل تبلغ من الحرية امنية!

نحن من غير الجياع الى المراتب، ولا العطاش الى المكاسب، ولكننا نشفق ان نرى «المخربين لان عقولهم حرية» يقترصون الفرص ليخلطوا الحرية بالمصانعة والمخادعة فيخلط الحابل بالنابل وتفسد الغاية، ونشفق ان نرى كل لبناني مصلحاً كبيراً ووطنياً خطيراً ولا تنهض به الهمة للوقوف مع وطنه لايثاره العمل بالقول المقول «فعاشر الناس واصحبهم على دَخَل» كأن الروغ من الناس يوصل الى الاصلاح، ونشفق ان نرى اللبنانيين عاجزين عن التحرر بانفسهم وعاملين باقلام والسنة سفالهم واندالهم على مناواة المفضلين من القادرين، ويسوءنا ان تكون بين المتخلفين والمهاجرين فئات تحب الاكرام بالعرام، وكرم المحتد يورد كل مورد، تنجس للاتراك

وتفسد للاتراك ويركب الاتراك اقفاها بكل بطاش فتاك

لكي نكون رجالاً يجب ان نطلب استقلالاً.

والاستقلال يبتدئ بالانسان نفسه، وهو بين امتثال يدل على الخضوع والطاعة والمروءة والفضيلة والحرية، وبين استقلال يدل على الانفة والاجتهاد والجهاد وصون ماء الوجه واستبقاء كرامة الرجولة والترفع عن التواكل - وفي كل جبان تكلان - فمتى عرفنا كيف يكون الامتثال للنهضة التي تعني الهمة، والشرف، والهبّة، واليقظة نعرف كيف يطلب الاستقلال الذي فيه الاستغناء، والحكمة، والنفوذ والمنزلة، والرقي، والحرية.

هؤلاء يومهم يحتفلون به فرحين مغتبطين بما لهم من ضخامة ملك وسعة عيش ووفرة علم وسعادة بيتية، فمتى يجيء يومنا لنكون مثلهم بصورة مصغرة؟

هم استقلوا بعد ارهاق ونحن نسام الخسف بعد الاستقلال، فمتى تعود الينا حريتنا؟

هم اوجدوا حقوقاً وحدوداً وصانوها، وحدودنا مغصوبة، وحقوقنا مسلوبة، فمتى نستردها؟

هم سعوا سعياً، ونحن نسعى سعاية، فمتى نصير اباة نحترم المساعي ونحتقر السعايات؟

هم رجال، فهل نحن رجال؟ واين برهاننا؟

- ٦ تموز سنة ١٩١٥ -

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

الثورات ومن يقوم بها

لانكاد نكتب او نلفظ كلمة «ثورة» حتى تخلع قلوب ثلاث طبقات من الناس: قلوب العتاة الطغاة، وقلوب الجواسيس السعاة، وقلوب الجبناء الاذلاء، مع ان الثورة كانت وستكون المهيع الوحيد او المرقاة الامينة الى مرابع الحرية ومراتع العدالة والانسانية، حيث تنال الحقوق المهضومة وتنصف النفوس المظلومة.

الثورة رفيقة كل حر وصديقة كل ابي ومصدر كل اصلاح ومبعث كل نور كاشف لخنادس المظالم والمغارم. الا انها عدوة كل عابث عائث وخصم كل غادر ماكر.

الثورة لاتوجد قبل ان تهيئها الادمغة الراجحة بالمبادئ القويمة وتعدها الافكار الصافية بالتعاليم السليمة، وتوطد اركانها الاقلام البليغة والالسنة الذلقة والقلوب الكبيرة.

كالطود الشمخ تنتصب الثورة في وجوه المستبدين والمتسكعين باذيالهم كالجراثيم الخطرة. وكالشمس تنتشر انوارها فتختبئ الثعالب والذئاب والبوم منها: اما فوقاً من النور الساطع واما خوفا على العيون السقيمة.

كانت الثورة عشيقة موسى وعيسى ومحمد وغيرهم من متقدمي ومتأخري المصلحين واصحاب الاديان الذين كسروا قيود الجهالات

وبددوا جيوش الضلالات ولم يكن يناوئهم الا القراعنة والقريسيون وعبدان السلطة والنفوذ، ولاسيما الاجلاف الذين يتلعون الاعناق الى ما كان فوقهم جريا على طريقة حديثي الثراء وصغار الظرفاء المستترين عند الاكرام والمستأسدين بعد الظهور من الخمول.

كانت الثورة ولاتزال من بواتر الاحرار في كل قطر ودهر. يفرون بها عنق الارهاق ويثرون يد الظلم ويفلقون هامة المهانة واللآمة ويقطعون كل عضو فاسد لا خير فيه.

الثورة نعمة من الله على الاحرار. ونقمة منه على الاشرار. وكثيرا ما تكون غير دموية، اذ ليست الغاية منها اراقة الدماء بل اثالة الشعوب حريتهم وحقوقهم العادلة. فكل سلطة تعامل من تعتبرهم دونها ـ وهي مستمدة منهم ـ بالجور والحيف سلطة يجب الثوران عليها الى ان تعرف مقامها وتعدل عن اوهامها وتعامل المسودين ـ وهم بالحقيقة سادة ـ بالعدالة والمساواة.

من اقطع الادلة على مروءة واباء وفضيلة اي شعب ثوراته على الاستبداد، ومن ادمغ البراهين على نذالة وسفالة وانحطاط اي شعب استكانته واستامته للسخف والخسف. وما يقال عن الشعوب يقال عن الافراد المؤلفة الشعوب منهم.

فالثورة الفرنساوية التي اوجدت افضل وابعد انقلاب بعد ثورة الانجيل على الوثنية لايعدها العالم الراقي فوضى الا اذا حسب التعاليم الانجيلية تعاليم فوضوية.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

وثورات البلغاريين والصربيين والرومانيين واليونانيين والجبلاوديين- بالاذن من الصرفيين لهذه المخالفة- لم تكن ثورات جهنمية، بل ثورات سماوية.

والثورة الاميركية لم تكن ثورة اشرار جبناء، بل ثورة احرار اجريا.

وثورات اللبنانيين للذود عن حياضهم منذ وجد التاريخ مسطورا وتضامنهم في الغارات، وتكاتفهم ايام الغزوات، واتحادهم لتبديد الكتائب كاتحادهم لتمزيق العصائب، لم تكن من الجهالة والضلالة، بل من الاصالة والنباله.

فاين اللبنانيون الان من اباء آبائهم، واين امجادهم من امجاد اجدادهم.

ندعو اللبنانيين الى الثورات الادبية والتجارية والاجتماعية والسياسية، او ندعو الراقين منهم الى مثل هذه المصلحات المنهضات. فان كل مهاجر يشعر من نفسه انه «لو لم يكن ثائرا» لما كان اصلح اموره وحسّن حاله وهذب نفسه وثقف اخلاقه، لان في مهاجرته نفسها دليلاً على ثورانه على الحالة التي كان فيها، وبرهاناً على انتفاضه على الخصاصة او الجهالة او الجهل او غير ذلك مما كبله الظلم التركي بقيوده فعطش الى ماء العدالة وهو منه على منال، وجاع الى قوت السعادة وهو ادنى اليه من قبله الى له. فكل مهاجر «ثوري» تشهد مهاجرته عليه بانه كان مستذلا محقورا، ومستسلماً

مغرورا الى ان انفتحت عيناه على ضياء الحرية فانفتحت مغالق النعم والآلاء السماوية له وما هي الا ربوع الاجتهاد والاقدام والعدالة والحرية.

لاتغمضوا عيونكم عن الحق ايها الناس فان العالم يتقدم الى الامام ونحن وقوف كالاصنام!

اتخافون من الاستشهاد؟ اننا لانال شيئاً في العالم بل لانال ثوابا في الاخرة بغير مفاداة وجهاد.

اتشفقون على اموالكم واوقاتكم بدعوى الاشفاق على الانباء والاحباء؟ فانجوا من امام المغامرين بنفوسهم لخدمة الاستقلال.

أيروعكم الحبل يجر فتحسبوه ثعبانا نفاثا؟ فتنحّوا ليسحق المجاهدون رأسه ويأتوكم به.

علامَ هذا الذعر وانخلاع القلوب! أتنتظرون ان يهبط عليهم الاصلاح من السماء، ام تخافون ان تسقط بضع قطرات من الدماء؟ تزحزحوا فان تماسك بنيان الحرية لايكون بغير عظام الابطال، ودماء الرجال- الرجال.

اولئك الملايين من ارقى شعوب الارض تطير رؤوسهم التنابل، وتخرق صدورهم المناصل، وبينهم السادة الفطاريف، والاعيان والوجهاء، والشعراء والعلماء، والمخترعون والمكتشفون، والسراة والمترفون- اولئك الرجال الوطنيون ينظرون الى اخلاء ابنائهم وآبائهم

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

او اخوتهم، ولاينكفئون او يحيدون لانهم يقاتلون لمقاصد سامية، ولكم انتم الذين تقرأون هذا الكلام، او يجب ان تكون لكم اغراض اسمى من اغراضهم، لانهم احرار وانتم يزعمون - سواء كان زعمهم صادقاً او كاذباً - انهم يحاربون حروب الحرية من اجل سعادة الامم المظلومة. اما نحن فغير احرار بشرائعنا، وتجارتنا، وعمراننا، وسائر ما تمتاز به الشعوب الحرة. فيجب ان تنهض بنا الهمم للتحرر على الاقل. واذا سألتمونا كيف يتم لنا ذلك فجوابنا المقنع الا للمكابرين، هو :- اقتدوا بالشعوب التي تحررت واحذوا حذوها ولاتموتوا اذلاء جبناء.

لا. لا ! لاتثوروا حتى ثورة ادبية اصلاحية لم ندعكم الى غيرها - لاتثوروا ولاتكونوا من الاحرار - لاتثوروا لئلا يفقد لكم تيس او كبش اوثور - لاتثوروا لئلا يخرج من جيبكم دولار - لا تثوروا، لاتثوروا ! وانما اقنعوا سادتكم وأولياء نعمتكم ومن تريدون ان تمرغوا النواصي على اقدامهم بالانسحاب من وجه الحرية، وبالرضى باستقلالنا، وباعادة ما كان لنا من الحكم الذاتي الينا. اقنعوهم الان - الان - اليوم لا غداً، وليرضوا بحريتنا واستقلالنا فلا نعود نذكر كلمة عن الثورات العادلة الشرعية ولا نطالب بما نطالب به بعد اليوم.

ليست كل النفوس تشترى وتباع. ولا نحن في موقف المناصرة على الخضوع والخنوع. فقد كان اجدادنا من قبل احراراً يثورون

على كل استعباد وظلم ونحن على آمالهم الا الذين اقضى الاتراك من دمائهم في عروقهم، ومن خسائسهم ودمائسهم في قلوبهم، وليسوا منا ولا نحن منهم ! فليكونوا من اقران ملائكة النار ! ولتكن من اعوان ملائكة الانوار.

- ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩١٥ -

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

انبل اغراض الانسان

للذين لهم اغراض نبيلة من الحياة ترسل هذه الكلمة، وللذين يفهمون انهم جزء من العالم لا العالم كله تجري القلم باكيا بدموع الوطنية ـ هذه الوطنية التي تفهم انها الله والحقيقة والتضحية والتجرد والحكمة والاخلاص والعدالة والمساواة.

كلنا نزعم اننا وطنيون ولكن بين الوطنيين من المغرين والرواغين والكائدين فريقاً يزعم بعض افراده انه يحب العالم كله لا بعضه ويزعم البعض الاخر منه ان الوطنية قائمة على المنفعة الشخصية والاقوال الفارغة والسعايات بالافراد والاحزاب وتسخير المصالح والمقاصد الوطنية لخدمة اشخاص طمعا واعداء مداهنين يبذلون الوعود للافراد ليمزقوا جامعة الشعب.

من هو الذي يدعي محبة الكل وهو عاجز عن محبة الجزء. من هو الذي يزعم انه يحب آباء الناس وابناءهم واخوتهم وانسباءهم فوق محبة ابويه واولاده وانسبائه ـ وهل هذه الدعوى صادقة والمحبة المزعومة انسانية طبيعية؟

يوجد افراد يقدرون على مثل هذه المحبة، الا انهم لايحبون احدا ولايخلصون لاحد ولايدافعون عن مبدأ ولايحترمون سنة طبيعية او دينية او شرعية فهم كالكلاب التي ترمى لها العظام فلا

ترفضها من يد لانها تحبا لبطونها، بل ان في الكلاب معرفة جميل فوق معرفة جميل هؤلاء الذين يحبون كل العالم بالزعم ولايؤثرون مصلحة على مصلحتهم الا بقدر ما في «المحبوب» من الفائدة ثم يتركونه.

من هو المدعي انه صديق الناس كلهم وهو غير مخلص في صداقته لجزء منهم ـ من هو هذا الذي يحب الناس من السلع لها اوقات للرواج والكساد ـ من هو هذا الذي لايشعر بانه، وهو عاجز عن الاخلاص للافراد، عاجز عن الاخلاص للجمهور.

من هو هذا المتبجح بالوطنية العمومية دون ان يعترف بحق منبته عليه؟ ـ ذليل ومخادع هو!

للعصفور عش يذود عنه، للعربوع نفق يحرص عليه، للنحل خلية تحميها، ويريد بعض الناس ان يكونوا بلا وطن لانهم يريدون ان يكون كل ما في العالم لهم، لا لأنهم متفوقون بمدارکهم وطرائقهم وانسانيتهم الى حد ان العالم ضيق بهم وبها، ولكن ـ ولكن خذ منديلاً من جيب احد هؤلاء الناس ومزقه او اذهب الى بيته واستضفه عملاً بما يدعيه من المبادئ، فانه يمزق جلدك ويطردك من بيته بحق هذا «الاستقلال» الذي لايريده الا لنفسه. هو يريد من الناس ان يعملوا بنزعاته الاشتراكية المتطرفة دون ان يعمل هو بها اي انه يطلب ان يكون في اصغر الامور مثله في اكبرها ضيقا متى شاء وغنياً مقتدرا متى اراد، وان يكون العالم ساعيا لاشباع

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

مطامعه وخاضعا لخزعبلاته دون ان يكون هو مسؤولاً عن واجب او خدمة او معرفة جميل.

فلا يركنن احد الى المبشرين بمثل هذه النزعات الفاسدة لانهم يضللون العالم باقوالهم الكاذبة وبافعالهم المتناقضة.

على السنة هذه الطبقة يكثر ذكر الوطنية لتدنيس الوطنية، وفي صدرها تلعد الفضائل والجهود لتموت اختناقا بسموم التلاعب والفساد.

لا اخلاق فاضلة لمن لا يحب وطنه.

لا فضيلة لشعب ليس لافراده فضائل عليها تاج الوطنية.

ولا شجاعة لقوم لاتكون الوطنية نافخة فيه روحها الا اذا اعتبرنا الشجاعة الافتراس يرثن ومخلب وناب.

ولا دين لامة لاتعتقد ان الوطنية من ايمانها.

بحث الخلقيون طويلاً وتعمق في موضوع الوطنية واجمعوا على ان كل شعب مثل كل فرد لاتكون له وطنية ما لم تكن له حرية، وعلى ان حب الوطنية ينمي المناقب ويحييها، وبغضها يميتها ويذويها، وعلى ان الوطنية خميرة الحكمة وملاح الاستقلال وموءيدة العدالة وموطدة المساواة وقدامة كل مخلص مستقيم يدرك ان لوطنه الحق الاول والفضل الاجزل عليه بعد الله.

وليس في الوطنية شركة لان الذي لايكون لوطنه دون سواه

لايكون وطنياً على الاطلاق وان يكن مجاورا. وبين المجاور والوطني من الفرق ما بين حجرين احدهما لايصلح لشيء والآخر كريم، بل ان المجاور الذي لايكون وطنيا اضر بوطنه من الشوكة النابتة الى جانب الزنبقة.

وكما ان للوردة اشواكا نابتة في ساقها فاعلى هكذا يجب ان يكون للوطنية اسلحة ترد الايدي القذرة عنها.

ان الشعب الذي يدرك معنى الوطنية ويقوم بكل واجباته نحوها ينال كل ما يطلبه من استقلال وحرية وعلم وصناعة وحرائة وسوءدد. ونزيد انه يحيا حياة خالدة ولو مات آخر رجل منه في الذود عن تلك الوطنية المقدسة من السماء. ويكفي ان يكون خلوده في التاريخ مغبوطا. اما الشعب الذي يجعل الوطنية ذريعة الى السياسة والتجارة والمصلحة او جر مغنم ودفع مغرم فاضمحلاله مرجأ الى حين.

يا ايها اللبنانيون والمتحدرون منهم ان البلاد التي نشأتم فيها لم تكن لولا اخلاص ابائكم للوطنية مذكورة في التاريخ. وبدون مجاباة نقول: اننا اذا سمحنا للذاتيين بيننا - سواء كانوا في الوطن او في المهجر - بابتذال وطنيتنا ولو بقلة الاكتراث لها فاننا صائرون الى الانخذال فالاذلال فالاضمحلال.

احبوا الوطنية تلك المخلوقة التي يحبها كل فرد منكم حتى العبادة دون ان يكون ملوماً او متعديا واعبدوها مثلها.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

مطامعه وخاضعا لخزعبلاته دون ان يكون هو مسؤولاً عن واجب او خدمة او معروفة جميل.

فلا يركنن احد الى المبشرين بمثل هذه النزعات القاسدة لانهم يضللون العالم باقوالهم الكاذبة وبافعالهم المتناقضة.

على السنة هذه الطبقة يكثر ذكر الوطنية لتدنيس الوطنية، وفي صدرها تلحد الفضائل والجهود لتموت اختناقا بسموم التلاعب والفساد.

لا اخلاق فاضلة لمن لا يحب وطنه.

لا فضيلة لشعب ليس لافراده فضائل عليها تاج الوطنية.

ولا شجاعة لقوم لاتكون الوطنية نافخة فيه روحها الا اذا اعتبرنا الشجاعة الافتراس بين ثعلب وذئب.

ولا دين لامة لاتعتقد ان الوطنية من ايمانها.

بحث الخلقيون طويلاً وتعمق في موضوع الوطنية واجمعوا على ان كل شعب مثل كل فرد لاتكون له وطنية ما لم تكن له حرية، وعلى ان حب الوطنية ينمي المناقب ويحييها، وبغضها يميتها ويذويها، وعلى ان الوطنية خميرة الحكمة وملاح الاستقلال وموئيدة العدالة وموطدة المساواة وقدامة كل مخلص مستقيم يدرك ان لوطنه الحق الاول والفضل الاجزل عليه بعد الله.

وليس في الوطنية شركة لان الذي لايكون لوطنه دون سواه

لايكون وطنياً على الاطلاق وان يكن مجاورا. وبين المجاور والوطني من الفرق ما بين حجرين احدهما لايصلح لشيء والآخر كريم، بل ان المجاور الذي لايكون وطنيا اضر بوطنه من الشوكة النابتة الى جانب الزنبقة.

وكما ان للوردة اشواكا نابتة في ساقها فاعلى هكذا يجب ان يكون للوطنية اسلحة ترد الايدي القذرة عنها.

ان الشعب الذي يدرك معنى الوطنية ويقوم بكل واجباته نحوها ينال كل ما يطلبه من استقلال وحرية وعلم وصناعة وحراثة وسوددة. ونزيد انه يحيا حياة خالدة ولو مات آخر رجل منه في الذود عن تلك الوطنية المقدسة من السماء. ويكفي ان يكون خلوده في التاريخ مغبوطا. اما الشعب الذي يجعل الوطنية ذريعة الى السياسة والتجارة والمصلحة او جر مغنم ودفع مغرم فاضمحلاله مرجأ الى حين.

يا ايها اللبنانيون والمتحدرون منهم ان البلاد التي نشأتم فيها لم تكن لولا اخلاص ابائكم للوطنية مذكورة في التاريخ. وبدون مجاباة نقول: اننا اذا سمحنا للذاتيين بيننا ـ سواء كانوا في الوطن او في المهجر ـ بابتذال وطنيتنا ولو بقلة الاكتراث لها فاننا صائرون الى الانخذال فالاذلال فالاضمحلال.

احبوا الوطنية تلك المخلوقة التي يحبها كل فرد منكم حتى العبادة دون ان يكون ملوماً او متعديا واعبدوها مثلها.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

الوطنية اوجدت لكم الشرف والعرض والصحة والمستقبل والذكاء والمنفعة فلاترفضوها لانها خلقت لتزيين رؤوسكم.

لاتقولوا قول الجاهلين ان الوطنية من ذخائر الجاهلية. انها من نفائس المدنية!

الوطنية نسمة الحياة فمن لم تكن فيه تلك النسمة فهو نصب.

هي كائنة كل ظلمة وظلم لذلك لايحبها ملائكة الظلمة ولايقدسها عبيد الظلم.

- ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩١٥ -

ما هو الفرق

«كتبت في اثناء الحرب الكبرى»

ألا ان الحياة حرب.

يلم بالانسان مرض يدخل اليه من ثغرة قد تكون رذيلة او افراطاً او اهمالاً او كسلاً. تعتريه علة بعد ان تجتاز صفوف شعرات الانف القائمة على حراسه الرئة كحراب صفوف الجنود - يخترق الداء رتاج الفم الى المعقل الداخلي الذي هو الصدر - تتغلب فيالق كريات على اخرى في القلب والاعراق والاوداج - تعجز الكبد عن اتقاء بعض السموم الغازية - يصاب احد اعضاء الجسم بجراحة او بثرة يخشى عليها من السم او تكون منه فيلجأ هذا الانسان الى الدواء والمبضع متداوياً ولايكون ملوماً في مقاتلته العدو - من السل الى الحمى الى الهبرية في الرأس اعداء يجب علينا مناهضتها لانها تهدد بالحرب - فنحن في حرب.

نجوع فنأكل، نعطش فنشرب، نبرد فنطلب الدفء بالغذاء والكساء، ننفق من حيويتنا ذرة فنستعيض منها بالقوت والراحة، نغضب فنعود بالتؤدة والحكمة، يأتينا فيثور ثائرنا فنفتأ حدته بالروية والتبصرة - فنحن في حرب.

تولد مرأة عاجزين فتوضع في المهود الى ان تترعرع وتكبر

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

فنأخذ في معاركة الجهل والحاجة والخمول والضعة ـ فنحن في حرب.

بالمعرفة نقاتل الجهل ـ فنحن في حرب.

بالاصالة ننازل الرعونة ـ فنحن في حرب.

بالتجارة ينتعش النشيط المدن والولايات والبلدان فهو في حرب.

بالدين وتعاليمه يستظهر المتقطعون الى خدمة الله على الكفر والالحاد والشرور ـ فهم في حرب.

بالرفق تتأنس الاوابد وتصبح دواجن ـ الا الذئاب والخونة وفي ذلك حرب.

بالاجتهاد تمتلئ البيوت، وبالمجة تغتبط القلوب، وبالامانة تسحق الخيانة، وبالمروءة يطرد اللوم ـ فنحن في حرب.

نحن في حرب اذ نأكل لنهضم ونهضم ونتغذى.

نحن في حرب اذ نسعى ـ لغير السعايات.

نحن في حرب اذ ننام لنستريح.

نحن في حرب اذ نقاوم الشهوات.

في حرب نحن اذ نمشي، ونتنفس، ونأكل، ونشرب، ونتنزه ونصلي، ونصوم، ونخطب، ونتوب.

وفي حرب نحن مع العناصر والحياة والموت. فلماذا كل هذا القلق ـ لماذا كل هذا الاضطراب؟

من لايسحق رأس الحية اذ كانت تحاول لدغه ولايدوس العقرب التي تريد نهشه؟

من لايقتل السباع والطيور الكاسرة، ومن لايكسر الانياب الكاشرة؟

نكاد نكون كلنا مسحاء لا مسيحيين. نكاد نتظاهر بالسماويات ونحن على الارض.

ولماذا يناهض رجال الفضيلة والاصلاح كل رذيلة وطلاح ـ لماذا؟ ـ اليس لانهم يعتقدون بالحرب التي يوهمون الناس انها شر عظيم؟

الحرب شر. ولكن اذا كان لا بد من خوض غمراتها واذا كان لا مندوحة عنها لصيانة المدنية والانسانية والفضل والعدل فهي خير لا شك فيه.

حينما نفري اديم الارض بالمحراث ونشق العباب بالسفينة ونجتاز طبقات الجو بالمناطيد والجوابات نكون نحارب ولا نكون في حربنا مجرمين.

وحينما نرى عجلاً ثائراً ليفتر بطوننا ويشق صدورنا، وغيلاً راكضاً ليمزقنا بانيابه وندافع عن انفسنا لانحسب ان الدفاع جريمة.

وبين الناس من التعابين والثيران والذئاب والضباع طوائف في عدم محاربتها الحرب والعار والويل والدمار. والجبناء وحدهم يخشون منها.

فآمنوا على ذمتنا بالحرب العادلة، بمناهضة الشر والاستبداد، بمقاومة الظلم والاعتداء، بمناجزة الفجور والفساد، ونحن نضمن

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

صعودكم الى السماء ابرارا قديسين.

ماذا فعلت ملائكة النور بملائكة النار، ماذا كان من «ميخائيل وسطانائيل» ومن اجاز للملائكة الاشتباك في تلك الحرب الاولى قبل ان وجد الانسان، وقبل ان نشب قتال في ساحة وميدان، منذ العهد القرآني الى هذا اليوم

آمنوا بالقتال العادل، المصلح، المنهض، المرقي واخلصوا. وليبدأ كل منا بمقاتلة الفساد والجهل والادعاء في نفسه ثم بمقاتلة كل من يعيث في الارض فساداً واستبدادا، من الافراد الى العشائر الى الامم.

آمنوا في هذه الحرب المستعرة نيرانها في اوروبا وآسيا وافريقيا فانها حرب عادلة من جهة الحلفاء وجائرة من جهة التوتونيين.

الحلفاء يريدون ان تتحرر الشعوب الصغيرة، وان تستقل الشعوب المستعبدة، وان تنتشر المساواة على وجه الارض، وان يعم العلم، وان يرتقي العالم، فمن كان منكم عاجزاً عن المحاربة بجسمه فليحارب بماله وشعوره.

الموت واحد واشرفه ما كان في سبيل الحرية والانسانية.

ـ ٥ كانون الثاني سنة ١٩١٦ ـ

حسناء تهنىء

«على ذكر العام الجديد»

خطرت امامنا حسناء لم تقع عين على اجمل منها.

جمالها من دلالها ودلالها من جمالها. اشعة الشمس تنبعث من عينيها، ومن ثنايا ثوابها تضوع الطيوب.

هي لابسة اجمل ما انبت الله من الازهار الجميلة، ومتزرة عن نغر فيه انفس اللآلىء والالماس. السعد في ساعدها. العصمة في معصمها. الأيد في يدها. والخير عند موطىء قدميها.

لها صدر تجنى منه اطيب الاثمار، ونهد قام عليه المجد، وخد كتب فيه الجد، وحاجب يهزأ بالقاضب، وجفن تحته الامن، وشعر يدعو الى الشعور. هي اجمل ما قيل عنه انه جميل.

حسناء لا يغار احد من العاقلين منها وكل عاقل يغار عليها. هي محسنة الى الجميع ولم يحسن احد اليها. تحن الى كل منا بهيام. وتعطف على كل منا بغرام. فتحت عيوننا وعلى ذلك الجمال تعمض على جمالها دون سواه. عطفت علينا بعواطفها وجادت علينا باعز ما عندها. تختال امامنا فنحب ان النعيم فيها، ونعرض عنها فلا نصد. واغرب ما فيها انها لا تنكر من ينكرها وتخلص حتى لمن يخونها.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

تفعل ما تفعل للمبدأ والفضيلة والشرف . فهل عرفتها ؟

هي في منبت الانسان مثلها في مهجره. هي اعطف عليه في نقمته وبلائه منها في نعمته ورخائه. هي كريمة اذ يضن عليها الضنين وامينة اذ ينصرف عنها الخؤون.

هي الوطنية !

هي الوطنية تنوب عنها بنهنشك. تهتف كلها شعور وان قلت السطور فاحتفظ بها تذكارا اذا كنت ممن يتخذون الوطنية شعارا. ولتعد اليك الاعوام والاعياد بالانعام والاسعاد.

- ٢٩ كانون الاول سنة ١٩١٥ -

خلع العذار

خلع العذار هو ان يطرح الانسان الحياء، وينهمك في الغي، ويتبع الهوى، وهو من اجل ذلك خليع.

او الخلاعة تخدر الضمير وتحجر الشعور، فكل من قل تأثير الانتقاد به، واصبح لايكترث لما يقال عن ادابه، بل عن قلة ادابه، فهو عبد الخرامة لايستحق الكرامة.

وقد اصبحت «العصرية» عند الخارمين المتهتكين خلاعة وغواية وتماديا في الوقاحة.

فخالع العذار يدعي النظافة في ارتطامه، والحقيقة في اوهامه، والاباء في غرامه، والمكرمة في مذامه، لانه «تمسح» وغلظ شعوره كثيرا.

والخريم لئيم اذ لايرجى ان يكون غير ذلك، فكل كلامه مجون، وكل تصوره جنون، وهو كأنه جبل بالدعوى وخلق لنشر البلوى.

الخليع وضيع لايرجى ان يكون رفيعاً، وزبون له من المغرب زباناها، ومن كل نطاحة قرناها.

يخاطبك بالفيش والدعوى، وما كان منه، وما قام به من الاعمال، وما سيقوم به من الغرائب.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

يحدثك عن الجولات والصولات، والغارات والغزوات، ولم يكن في حياته فوق الغطاء او فوق الغطاء.

يبسط لك افكاره، يصف لك اسفاره، يفتخر امامك بغروره، بشروره، بفجوره، وبكل ما تندى له جبين الحرحياء.

هو في سكره فخور، وفي صحوه مغرور، وفي وهمه عديم النظير، وفي تخرصاته وبدواته محنك خبير، وفي فلتاته ومغامزه عالم نحرير، وبين نوابغ الدعارة وفلاسفة العهارة كبير القدير، خطير!.

هو بليد بدليل انه حقود.

هو كنود بدليل انه شريد.

وهو شريد لانه جحود.

حنين قلبه جنون رأسه.

متمرد على السلطة والشريعة والعادات.

اديان الناس وادابهم شعوذات وخرافات عنده.

يدعوك الى الحانة ليفاوضك.

لايرخي الليل سدوله عليه الا ليخفيه عن العيون الظاهرة ويظهره للعيون الغادرة.

اطلبه من مأواه فلا تجده الا في المواخير.

في يده زهرة رائحتها سم.

امامه ثمرة تموت اداب من يأكلها.

يناولك الدهاق بالنفاق والاخلاق.

يلبس الخلق البالي ويزعم انه ثوب قشيب ويرمي الناس بالكذب متى قالوا له ان ثوبه كأدبه ـ رث.

اردأ ما فيه الوقاحة والصفاقة، فلا يوجد ما يخجله، ولا يخجل من كل ما يشين، وتراه ينظر اليك بعين التضاض، ويكشر لك عن ناب الذئب، ويروغ منك كما يروغ الثعلب.

لايوجد ما هو له، الا اللسان البذي، والعمل الدني.

لايستدين مرة ليوفي.

لايستدين الا ليجعل رأس المال والفائدة تحاملاً وتطاولا.

لايستدين ليباشر عملاً شريفا، وانما يستدين ليلهو ويزهو.

وليس من كل من ادانوه كريم عنده، فكلهم كانوا تحت فضله، وكل من يدينه يكون مثلهم، وربما التمس الوعيد والتهديد لهضم حقوقهم.

في كل واد اثر من ثعلبة، وفي كل بلاد يوجد من احسن الى الخليع لينال الجحود والكنود.

ويل للأمة التي تتساهل مع خالعي العذار واردياء الاثار ومذمومي التذكار.

ويل للفئة التي تنصره ليغدر بها، وتحاول رفعه ليحاول اسقاطها.

ويل للشبيبة التي تتشبه به وللنابتة التي تتبع اثاره.

كتبت الخيانة على جبينه، ونشر اللوم على صدره اعلاناً.

خان الطائفة خان الشعب، خان الفرد، وخان نفسه.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

على فضل المحسنين والضعفاء عاش من قبل، وعلى الرحمة والشفقة يعيش الآن.

هو الخليع الذي يعرف نفسه كما يعرفه الناس، ولكنه لادعائه يتظاهر بالتجاهل، ولمغازته يتجاهل ليستدني.

في كل مدينة خليع او زمرة خلاعة وفي كل مملكة وجمهورية جيش من الخرماء.

في كل صناعة وحرفة مومسون بالدهر كخراطين الارض تجرفهم الامطار حيث يكونون غير مفيدين، الى حيث يداسون بالاقدام.

دعوتهم على الارض ان يضلوا او يغردوا.

هم اصلال تحت البنفسج تمض انامل الفتيات المتحيات مثله.

هم ثعابين تنحوى حول الزنابق.

هم اعدى اعداء الفضيلة والنظام والمروءة.

هم الذين يريدون ان تسود الفوضى على وجه الارض ليتمرغوا في الحمأة ما زالوا متحركين.

نحن نعلم انهم مبثوثون بين الاحياء والدور، الا اننا لانعلم ولانريد ان نعلم اين هي مباءتهم.

كل من انطبق عليه كلامنا نعنيه دون سواه، وكل من صلحت سيرته وطابت سريرته غير معني.

الخلاعة حيوانية يجب ان تكون في جسم متحرك غالب على

الروحية، منتصر على الطهارة، متسفل الى القذارة، غير مومن بغير المادة.

وما هو الفرق بين الانسان والحيوان اذا كانت المادة الكل في الكل ؟

فما أحط خلع العذار !

- ٢٦ شباط سنة ١٩١٧ -

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

بين الاثر والاثر

من الناس من يعيش ليومه وهو المغفل الخامل الذي لاتنهض به همة.

ومنهم من يعيش لبطنه بذل - وهو العيري.

ومنهم من ينفق ايامه ولياليه على لهوه وزهوه - وهو الديكي.

ومنهم من يرتطم في حمأة الدنايا على انواعها - وهو الخنزيري.

ومنهم من يقلد في كل شيء ويدعيه لنفسه - وهو «القردي».

ومنهم من يخون بعد الاحسان اليه - وهو الذئبي.

ومنهم من يروغ من كل انسان حتى من نفسه لانه مكار غدار - وهو الثعلبي.

ومنهم من يحلل المحرمات ليكون له نصيب في المأذورات - وهو الاباحي.

ومنهم من يتمرد على كل مبدأ وسلطة وتعليم ليقال عنه انه فيلسوف - وهو الفوضوي.

ومنهم من يطري او يقذف بحسب العطاء والمنع - وهو المنحط الدني.

ومنهم من «يقتل عمره» مرتقباً غرة ومنتشا عن معرة لانه حسود كنود ولم يسد من قبل ولن يسود من بعد.

ومنهم من يحسب الحياة طعاماً ومداماً واحساناً وحسانا - وهو الحيواني.

ومنهم من لايكلف نفسه العناء للاباء والمضاء والعلاء - وهو القائم القاعد على المقاعد والمكايد.

ومنهم من لايرضيه ان يرى سيداً عليه بعد شبعه ولو كان كل حياته مسوداً - وهو الخائن العاطل.

ومن الناس من يحيا لخدمة الناس.

من الناس من لايقول «كان ابي» وانما يقول «ها اناذا».

من الناس من لايرضيه ان يكون كما كان غيره - كائناً ما كان فضلهم - ويسعى ليوجد شيئاً جديداً حميداً.

من الناس من يكون دمه احمر نقياً ولو ولد وضيعاً، وعلى انقياء الدم وراجحي الحصاة اعتماد الرقي.

ومن الناس من يشعر مع الناس في نكباتهم دون عظماتهم وهو الكبير القلب.

احتفل الامريكيون امس (١٢ شباط) بيوم ابرهيم لنكلن الرجل العصامي الذي لم يخن الناس ليكون امينا على مرونه.

احتفلوا بتذكار القائل انه لايستطيع انسان ان «يخدع كل الناس كل الوقت».

احتفلوا بالاباء والشجاعة والاقدام والاجتهاد والذكاء والنباهة والضمير بشخص من صعد في مرتقى الفضل حتى ادرك الذروة.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

احتفلوا بالابتكار والاقتدار، والتواضع دون صغار، والترفع دون احتقار، والشمم والكرم، ومن نهض من حضيض الخفاء الى ان اقتعد متن ارفع منزلة عرفها العالم الحر.

احتفلوا برجل الغاب الذي هو الان رب الالباب.

احتفلوا بالذي ابغضه اللئام واحبه الكرام.

احتفلوا بالذي حارب للسلام.

احتفلوا بالذي وحد وان قال اعداوه بدد.

احتفلوا بالذي عاش محسوداً ومات شهيداً.

احتفلوا بالذي رفع الضعيف على القوي وساوى بين الحقير والخطير واخرج من الخفاء ساسين وقواداً وعلماء، وخانه منهم الادنياء.

احتفلوا بالرجل الذي قيلت فيه كل كلمة عوراء لانه كان فوق حاسديه.

احتفلوا برجل يعتبرونه الثاني بعد واشنطون ـ اب شعبه ـ ولنكلن وواشنطون كانا للكاثدين والغاصبين هدفاً.

كان رأس المبادىء اللنكلنية ابقاء اثر حميد مفيد. وكذلك افتكر كل رجل عظيم من موسى الى محمد بين الامم الكبيرة ومن مارون الى يوسف كرم بين شعب صغير ولكنه غير حقير هو الشعب اللبناني.

كل مخلوق يستطيع ان يبقي اثراً، ولكن شتان بين الجيد

والردي من الآثار، فيرون ابقى اثراً، وهيئة ابقى اثراً، وكل لص ومنهتك وقاطع طريق ومتغطرس وحاسد وجاحد يبقي اثراً، وهل الالماس كالزجاج؟ ومتى كان الترياق كالسم!

ومن الآثار التي يبقيها البعض بيننا انهم يتظاهرون بالتفوق على اعاظم الرجال، فمن كان هؤلاء الثلاثة الذين نعيد لهم في هذا الشهر (شباط)؟ من هو مارون الذي يجب على اللبنانيين عموما والموارنة خصوصاً الخجل عند ذكره! ولماذا نكتب فصلاً جديدا عنه في كل عام، ولم يكن بعظمة توما الاكويني واوغسطينوس وبولس ويوحنا، ولماذا نقول عن يوسف كرم انه في البقعة الصغيرة التي كان منها ـ كان كواشنطون ولنكلن. لانك ان «اهدى» متطرف وانه يبقي اثراً قبيحا يضاف الى كل اثر يترك، وهو قبيح، ولا يصير غير قبيح الا بعد الاغارة عليه...

نحب ان نقول لتراثنا يعتمدوا على نفوسهم.

نحب ان نقول لهم ان واجبهم هو ان يسعى كل منهم لابقاء اثر حميد.

نحب ان يضع كل منهم نصب عينيه ان ابراهيم لنكلن لم يكن شريفاً وغنيا كواشنطون، ولكن فضله في قتل الاستعباد كفضل «اب شعبه» في قتل الاستبداد.

نحب ان نقول لهم يربوا اولادهم على الاستقلال الشخصي توصلاً الى الاستقلال الشعبي.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

نحب ان يعلموا ان الناشئة هي التربية.

نحب ان يعتمدوا النيات على اتيان المآثر التي من ورائها الاحدوثة الطيبة، لان ما كان يستحق الاحدوثة الطيبة يكون يستحق ان يدعى مأثرة.

كثيرون يقولون لك انهم لا يحفلون بالثناء ولا يطلبونه، وهم غير مصيبين في هذا التواضع الصالح للنساك والرهابين دون المجاهدين والمصلحين.

كل من يقول انه لا يريد ان يذكر ويشكر لا تهمه الاحدوثة، واذا كان لا يكترث للاحدوثة فلا يكترث لشيء.

ثبوا في الناشئة الروح العصامية التي هي روح «الاستقلال والاجتهاد والخير» واجعلوها تقتدي بابراهيم لتكون على قدر ما هو في الوسع.

ولكن لا تنشئوا الاولاد تنشئة الاغتراب - او التنشئة الالمانية - لان المنخدعين بنفوسهم شر من الذئاب في العالم.

عظمة ابراهيم لتكمن في دعائه لا في كبريائه، وفي عطفه ولطفه لا في غلظته وعنفه، وفي معرفته انه يحتاج الى المعرفة لا في توزم رأسه بالجهل.

العالم محتاج الى الجبابرة الراحمين لا الى الابالسة المزاحمين.

كل العظمة في المروءة - في المحبة - في الفضيلة - ثلاث يحبها الاكياس ويبغضها الخساس.

- ١٣ شباط سنة ١٩١٧ -

لغة الارواح

أتم ابلغ الشعراء في سباغ من الارض حيث لا حياة للطبيعة فيكون منتهى ما تجود به شاعريته اليأس والقنوط والجفاف والعقم.

فالشعر من الارواح هو الصوت من الردد او الحاكي وليس هناك كل الشعور.

عندما يناجي الحبيب وتذوب لفراقه القلوب وتسمع الموسيقى تعزف بالاحان الشجية فتحسبها كلهاته وتنهداته وانفاسه - فتلك هي لغة الارواح.

والحبيب ! من يجرؤ على ذكر حبيبه بيننا ولا يستهدف للظنون والهامس.

بلغ السفه ببعض الاراء ان اصحابها لا يخجلون من جعل نفوسهم في مصاف المجاوات بتظاهرهم بالترفع عن المحبة، كأن ليس هم حبيب، وكأن كلمات الكتب التي ندعوها مقدسة باطلة، وكأن الاديان والفلسفات الآمرة بالمحبة من البدع والاضاليل.

في اثنين الاوتار اثنين القلوب المفارقة.

في نبراتها العالية الاجهاش.

في همسها خنق العبرات.

وفي امتزاجها ما في القلوب من النبضات العنيفة واللطيفة.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

عندما تفتر الثغور فهناك للارواح لغة.

عندما تطرف العيون تكون الارواح تتكلم.

وفي مسام الجسم للارواح لغة.

وفي خفقان القلوب لغة للارواح.

ومن سهام العيون تتركب حروف لغة الارواح.

ومن تنهدات الصدور تعرف مقاطع حروف الارواح.

فللارواح لغة هي ام كل لغة معروفة للمحبة والشعور والحماسة والفرح والترح وتلك هي موسيقى العواطف.

ما لنا وللخبثاء، يوهمون الناس انهم من الصخور الصماء ويكونون يتصدعون في داخلهم ويذوبون كما تذوب حمم البراكين متأذية موذية.

ايعلم المراؤون ان للارواح لغة واحدة لانفهم السماء سواها ؟

ايدري الماديون ان للاله لغة واحدة تعلمتها الارواح في كل قطر ومصر منذ هبط الوحي على الانسان ؟

في مخاض الامهات لغة الارواح.

في بكاء الاطفال لغة الارواح.

في تنبه المحبة التي تقلقل القلوب لغة الارواح.

في النسيم للارواح لغة.

في الزوبعة مثلها.

وحول عرش الله لغة واحدة لاتعرف الالوان ولا البيانات هي لغة الارواح.

نحن نحتاج في الحياة الى الطعام واللباس والمأوى ولغة الارواح ليس للابعاد تأثير على الروح ولا للفصول قوة.

من اقاصي الارض نسمع لغة الارواح ونفهمها ونتأثر بها.

على المقاعد في الكنيسة، على الكراسي حول المائدة، تحت القبة الزرقاء ومصابيح الارض والسماء نفهم لغة الارواح من اللفظة والحركة والايماءة والاشارة والنظرة والعبرة.

يقولون ان الدين الذي لا اسرار فيه لا اله له، ونقول ان الارواح التي لا لغة لها لا خلود لها.

شرير هو الشخص الذي لايفهم اسرار لغة الارواح ويرمي القاهمين بالشذوذ.

نقرأ الكتاب الوارد علينا من البلاد البعيدة او القريبة فنفهم من مناجاة الارواح ما لايفهم الماديون.

نسمع لورقاء الروح هديرا لانلبث ان ندرك معانيه.

حتى اننا نحلم بالحبيب في اليقظة والمنام ولانغتبط الا اذا سمعنا لغة روحه.

ومن حفيف اوراق الاشجار، من خرير مياه السواقي والانهار، من هزيم الرعود، من خطران القدود، من تورد الخدود، من نغمات الاناشيد، ومن تلاحين التغاريد لغة لايفهمها الا الذين صفت نفوسهم،

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

وسمت مطالبهم، وارتفعت الى السماء مقاصدهم، وعرفوا ان للارواح لغة واحدة هي لغة المحبة السماوية سواء كانت تلك المحبة في الحركة او النبرة او العبرة او الرائحة او اللحظة.

فيا لغة الارواح، من يفهمك في موسيقاك السماوية، ويفهم انك في الماء والهواء والغذاء وكل ما بين الارض والسماء.

الحياة محبة، والمحبة عاطفة، والعاطفة لغة الروح، والله نفسه استاذ هذه اللغة الشريفة الا انه لا يتخذ له من التلاميذ الا اصحاب المشاعر اللطيفة.

ومن الناس من يتكلم فلا يشعر احد بما يقول ومنهم من يسكت فيكون للسمع والنظر من سكوته شبع، وتلك هي لغة الارواح الحقيقية.

- ٧ تموز سنة ١٩٢١ -

يخرب بيت امريكا

سمعنا منذ ايام هذه العبارة «يخرب بيت امريكا!»

سمعناها خارجة من فم عزيز فاستغربنا ان يكون مثل هذا اللغو مردداً على الالسنة دون اقل حفول بالمعنى وعلى سبيل العادة والاستمرار.

«يخرب بيت امريكا» كلام يدل على الاشمئزاز والتذمر وعدم الرضى، لا ان لامريكا بيتا يدعو الداعون عليه بالخراب والدمار، ويدل ايضاً على ان امريكا لم تحقق آمال المهاجرين، ولا حسنت احوالهم، ولا رقّت اخلاقهم وآدابهم، ولا ارغدت بعد الشظف عيشهم، ولا أعلت بعد الضعة منزلتهم، ولا اجارت بعد الخوف لاجئهم، فالداعون على «بيت امريكا» بالخراب يدعون على بيوتهم بالدمار دون ان يفكروا او دون ان يتدبروا معنى القول.

فلماذا يدعو الداعون على امريكا «بخراب بيتها؟»

الأنهم كانوا في نعمة ورخاء فهجروها الى النقمة والضيق في هذه البلاد؟

الأنهم كانوا اغنياء وعظماء فافقرتهم امريكا وخفضت شأنهم؟

الأن مرافق الحياة كانت واقرة لهم في وطنهم وهي الان غير واقرة؟

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

الأنهم كانوا تحت حكومة عادلة فاصبحوا تحت حكومة ظالمة؟

الأن وسائط ووسائل الراحة من البيت الى المحل الى الشارع الى المدينة فالبلاد كانت بجملتها افضل واكمل؟

الأن الضرائب كانت اخف ونفوس الولاة المتوظفين اعف؟

الأن الارباح كانت اوفر وطرائق التجارة واسبابها اغزر؟

فلماذا يدعو الداعون على «بيت امريكا بالخراب؟»

لا جرم ان الكلام منقول عن غير تفكير، وانه لغو لا معنى له، اذ ان مثل هذا القول لا يقال عن امريكا.

يكفي ان يكون العدل منتشراً في البلاد. يكفي ان يكون الامن شاملاً. يكفي ان يكون السلام مستتباً. يكفي ان يكون من كان لا يجد في وطنه عملاً يجده في هذه الارض التي هي لنا ما كانت «ارض الميعاد» لبني اسرائيل، بل ان هذه الارض الواقعة ما بين القطبين الشمالي والجنوبي افضل من ارض الميعاد.

وكل من يظن ان بلاده افضل بما فيها من هذه البلاد «الامريكية فليرجع الى بلاده الاصلية لان امريكا وان تكن لا تطلب من الناس الاعتراف بالجميل فهي لا تطلب ان يكونوا جاحدين غامطين.

وذلك الذي يوهمنا انه كان في وطنه مستغنياً عن امريكا يضحك من نفسه لان الناس وان كانوا لا يقولون له انه مخلط متهجم ومتشدق مدع ففي نظرهم اليه شزراً معنى يفهمه اذا كان

ممن يفهمون خلاصته: «لماذا غادرت نعيمك الى ما تزعم انه جحيمك؟»

يسوءنا كثيراً ان نكون نلقي الكلام على عواهنه مجازفين هاذرين. ويسوءنا ان يكون بيننا اناس كلما زادتهم البلاد ثروة ومنزلة تغطرسوا وتفخروا وتفخّلوا ناسين او متناسين انه لا يوجد بيننا شخص واحد لم يكن محتاجاً الى امريكا التي «يدعو عليها» وجاءها لحاجتها هي اليه - وبالله ما هي حاجة امريكا الى اي شخص منا. وانما هي السليقة السورية نازعة الى الكنود والجحود لئلا يعترف احد منا بالفضل والجميل والنعمة والعدالة، والحرية عندنا «اباحة» ونطرف وفحة وتصلف.

ماذا كان حلّ بنا في هذه الايام لولا وجودنا في امريكا - ماذا كان نزل باهلنا لو لم نكن في هذه البلاد التي «ندعو عليها» في حين نكون نتقد اباءنا وانسباءنا واحباءنا بالها وفضلها ونعمتها. واذا قائل قائل ان ما نرسله الى الوطن انما هو من ثمرة اتعابنا قلنا: واذا كانت البلاد التي تخلف فيها اهلك مثلها فلماذا لا توفر لهم ما وفرته لك ولهم معاً هذه الارض التي تدعو عليها بالخراب!

«بخرب بيت امريكا» من اجل شيء واحد هو انها اطلقت لنا حرية لسنا مستعدين لها، واوصلتنا الى نعمة لا نستحقها، ورفعتنا الى ذروة كان يجب ان نفتح عيوننا على ما حولها من قويم العادات لا ملتويها، والبستنا حللاً لم تكن مما يقطع او يفصل لنا، فاغتررنا كعادتنا بعد كل رغد ورفعة وبحبوحة وانكرنا الجميل.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

أليست امريكا التي تعلم اولادنا ؟

أليست هي التي تهذب رجالنا ونساءنا بقطع النظر عن المتطرفين والمتطرفات ؟

أليست هي التي ثرت لنا الحقول، وبنت السدور، واطارت الشهرة، واجزلت الخير، واغدقت النعمة، ووسعت المدارك. وعلمت الامي، وصقلت الخشن، وقوّمت المعوّج، وبكلمة صيرتنا افضل مما كنا عليه ٩٥ في المائة.

اكثر التجار لم يكن قادراً في الوطن الذي غادره على القيام بشيء مما يقوم به الآن. ومنهم من دخله السنوي فوق دخل اي كبير وملاك ومتمول في الجهة التي جاء منها.

ومن العمال انفسهم من يتناول اجرة لايتناولها كبار القائمي مقام في الوطن ولا اي مستخدم هناك، فالدعاء على امريكا «بخراب بيتها» كفران بالنعمة وخطرة مقرونة بالغرور.

امريكا عمرت بيوتنا فيجب ان يظل «بيتها» عامراً من اجل فائدتنا نحن.

امريكا استبدلت عبوديتنا بحرية فيجب ان نرعى ذمامها من اجل الحرية التي نزعم اننا ننشدها.

امريكا «معدن ذهب وعلم ورفي» لنا فيجب علينا ان نحافظ عليه من المخربين، من اجل جيوبنا وبيوتنا وعقولنا وقلوبنا.

امريكا احسنت الينا فيجب ان لانسيء اليها. الا اذا اعتبرنا عن جهل او حماقة انه يجب عليها ان تصوننا وتحمينا حتى من الموت او لاتكون تستحق غير «يخرب بيتك يا امريكا»

هذا قليل من كثير مما يقال عن امريكا وسنقول فيها غير هذا للتذكير وللتحذير.

ـ ٢٨ كانون الاول سنة ١٩١٥ ـ

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

قبران في قبر

ذهبت الى سريرها ونامت عندما اقبل الليل.

لم تكن تحسب ان رقادها الاخير وان نومها ابدي.

لم تكن مريضة، وانما كانت بها وعكة، وما هي الوعكة عندها!

رقدت ونجوم السماء الصافية مصابيحها.

حلمت الاحلام الحلوة.

رأت اولادها وخاطبتهم وخاطبوها.

بلغة الروح تكلمت، لان استيلاء الروح عليها كان قريباً.

ولكن، هل رأت اولادها الاحياء والموتى معاً؟

وماذا قالت لهم، وماذا قالوا لها؟

هل عانقتهم وعانقوها؟

هل قطعت روحها البحار اليهم لتودعهم التوديع الاخير؟

وكم يطول الفراق؟

ومتى يكون الملتقى؟

∴

من ارض الشقاء خرجت روحها صاعدة الى السماء الناقمة على الطغاة القاتلين.

لم تمت من جوع الجسد فقد كان لها كفافها، وانما ماتت من

جوع الروح - من الجوع الى افلاذ كبدها.

منذ اعوام لم تكن نظرت اولادها ولا حملت حفداءها.

ضرب الاتراك والالمانيون نطاقاً من حولها، ولكن قلبها لم ينخلع.

كانت ترى الجثث الهامدة حولها وتعتبر.

وفي تلك الاحوال رضيت ان يكون الدين ربتهم بعيدين عنها حتى لايموتوا - حتى لايمثل البرابرة بهم.

البر مسدود بالمدافع والحراب فلاتستطيع الانفلات.

والبحر مملوء متفجرات ونواسيف فلا مهرب منه.

والوحوش منتشرة في الاودية وبين الروابي فلا مسرح لغيرها.

∴

على حافة وادي القريكة العميق قام البيت الذي تسكنه الفقيدة محاطاً بالكنائس.

جاء خادم الرعية عند الاصيل وعرض عليها خدمته.

وجاء في اليوم التالي وقرع الباب فلم يسمع جواباً.

اعاد القرع فلم يكن من رد.

فتح الباب ودخل فوجد السيدة على سريرها وحسبها نائمة.

ودنا رجل الدين من السرير ونادى عبثاً.

عرف ان الراقدة لاتنهض لانها ماتت فجأة.

نظر الى وجهها فرآه كوجه الطفل لولا غضونه.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

نظر الى عينيها فوجدها مغمضتين.

فمن اغمض عيني الراحلة الى الابدية ؟

ليس لها ابن قريب منها.

ليس حولها بنت تعتني بها.

فمن اغمض عينيها، من اغمضها ؟

الملاك اغمضها وهي راقدة.

ملاك الرب هبط من السماء واغمض عينيها لانها كانت ابنة الله.

ناب الملاك عن كل ابن وابنة وحفيد وحفيدة.

وكما حماها من بربرية الاتراك صانها من الموت القطيع.

فكالطفل نامت، وباولادها حلمت، ومع الملائكة ارتفعت الى السماء، وبعد ان انتصر الحق على الباطل والحرية على الاستبداد ماتت من فرحها.

تلك هي امي !

فيارب ارحمها ! ـ ماذا اقول ؟ ارحمني انا !

والى الملتقى ياسيدتي !

∴

وهناك حبيبة رقدت كالأم ومضت الى الابدية قبلها.

تلك الحبيبة هي اختي استير التي ماتت بالجدري.

ارحمها يارب، وارحم القلوب المنحة !

من يقول ان اللبنانيين لم يقوموا بمعارك هائلة.

الم يقاتلوا الظلم ؟

الم يقاتلوا الجوع ؟

الم يقاتلوا العري ؟

الم يقاتلوا البربرية ؟

الم يقاتلوا الطمع والجشع ؟

الم ينتظموا في اسلاك جنود الحرية ؟

انهم فعلوا كل ذلك، واعظم ما فعلوه انهم ماتوا من اجل المبادئ التي حافظوا عليها.

فرحموا على الموتى من قلوبكم

∴

ياقراء الهدى !

قد تعودتم الصراحة وعرفتم انني لا اعتقد بشيء من الرصينات فارجو ان تعتبروا كلامي اعتباراً.

ان خبر موت امي واختي ورد قبل الاعياد فلم ارد تكدير صفو احد وتجلدت الى ان مرت عليكم بهناء وسلام. والان لااريد ان يتزعج احد ويعزيني لانكم لو حاولتم تعزية كل من مات له نسيب او حبيب لاضطررتم الى قضاء نصف اوقاتكم على الاقل في التعزيات ـ لااريد ان تتكلفوا شيئاً من زيارتي او الكتابة الي، وانا صلوا من اجل الموتى ـ ومن لم يمت له عزيز !

واني غير مقيم جنازاً في هذه البلاد، بل ماسأل بعض الكهنة

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

ان يصلوا من اجل الذين فقدتهم، واسألهم القيام بذلك في غير الاحاد والاعياد، لان افكارهم تكون اصفى وقلوبهم الى الله اقرب.

ومن صميم فؤادي اعزي الذين اصيبوا مثلي - اعزي الذين في قلب كل منهم قبر، واعزّي على الاخص اولئك الذين في القلب الواحد منهم قبور... واعزي ذويّ واعزي نفسي.

وفي قلبي المنسحق قبران حبيبتين هما امي واختي.

وعلى القبرين في قبر تنبت الازهار الطيبة من المحبة والعرفان والاعتبار والرحمة والحزن الدائم.

***

سقى قبر امي في الفريكة صيّبٌ
من المدمع الهتّان والرحمة الكبرى
فيا قبر امي ان فيك وديعةً
ستبقى الى ان نلتقي عليه ذخرا
تضيق بنا الدنيا على رحب سطحها
وتقبل بالاثبار من جوفها قبرا
وتُطوى على غرّ الحياة وشرّها
لترتع بعد العلّ في خلدها نشرا
على روح امي في السماء تحية
فقد صنعت خيراً وقد كسبت اجرا

- ٢ كانون الثاني سنة ١٩١٩ -

خلاصة التعليم الوطني

سؤال - أوطني انت؟

جواب - نعم، بنعمة المروءة والاخلاص والاستقلال الشخصي.

س - من هو الوطني؟

ج - هو الذي يعلم انه جزء من البلاد التي ولد فيها.

س - الا يجوز للمولود في بلاد انكارها؟

ج - يجوز في حالتين: في حالة الانحطاط الى ان يصبح المنكر حيواناً، وطنه حيث وجد ما كلاً ومشرباً. وفي حالة الارتقاء، كأن يتخذ بلاداً ارقى من بلاده وطناً جديداً له فيخدمه بامانة دون ان يتخلى عن وطنه القديم الذي هو «كالامومة والابوة» سبب وجوده.

س - ماذا يدعى الذي لا يريد ان يكون له وطن يتقاضاه خدمة؟

ج - يدعى فوضوياً.

س - اذن، كل من يعترض على المحاربة اما مع وطنه القديم واما مع وطنه الجديد فوضوي؟

ج - نعم، وشرّ من فوضوي، لان الذي لا يعتقد بالذود عن الوطن الذي اقله واظله يكون مركباً من مادتي الخيانة والجبانة.

س - ما هو ثواب الخونة والجبناء؟

ج - لا يوجد لهم ثواب وانما يكون عقابهم على الارض

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

الاحتقار وفي الابدية «نار العار».

س ـ ما هو عقاب صادقي الوطنية ؟

ج ـ لم توضع كلمة عقاب لاحد من المخلصين الصادقين الشجعان فان لهم ابتسامات الجمال، واعتبار الرجال، واوسمة الشرف، وافتخار السيوف في الحياة وبعد الممات.

س ـ الى اين يذهب الجبناء ؟

ج ـ اذا كان المراد من الذهاب ذهاب اجسامهم فالى القذارة، واذا كان ذهاب الارواح فالى حيث يكون للبهائم نصيب، لان السماء لم تخلق لغير ارواح البشر الحقيقيين.

س ـ والى اين يذهب الوطنيون الشجعان ؟

ج ـ تذهب اجسادهم وهم في قيد الحياة الى حيث تقيم المحبة والتجلة والاكرام. ثم ان هذه الاجساد تحفظ ذخائر للتذكار والافتخار بعد الموت، اما ارواحهم فتطير الى عرش الله لتكون مع ملائكته وتلهم الاحرار على الارض، بل تكون بينهم وبين الله رسل الاصلاح والارتقاء والحرية والاستقلال.

ـ ١٤ كانون الثاني سنة ١٩١٨ ـ

من نحن ؟

نحن كل شيء الا نحن !

نحن ابناء الاقيال والابطال، بل نحن الاقيال دون الصفوف والابطال دون السيوف من جور الدهر وعدوانه.

نحن الاولى لاينازعنا منازع في الفضل والعقل والعدل والبذل والاصل والنبل.

نحن اثقب الناس فكرا، واسدهم رأيا، وابسطهم كفا، واضربهم سيفا، ومن ينكر ؟

نحن على الاخص الاجرياء الاوفياء.

من الناس من يكتب كما يتظاهر، اما نحن فنكتب كما نحن.

نحن كل شيء الا نحن !

ليتدلع لسان التعنت علينا فقد كان كل مصانع مخادع وقيذ الجوانح، كسير القلب، مكشب النفس ولم يجده التعنت فتيلا.

نحن معدن مستوش، والاستيثاء ان يكون في المعدن يسير من الذهب الا ان المعدن نفسه غير ذهب.

هذه هي التوطئة المنفوثة من صدر محترق ونفس منسحقة.

يسألنا الناس من نحن فنقول : اننا فرنساويون ! يسألنا غيرهم فندعي اننا مصريون «من علية القوم لا من الفلاحين» ويسألنا اخرون فنزعم اننا بلقانيون، ثم يعن لاحدنا ان يقول انه سوري فيقول وهو

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

يلتفت ذات اليمين وذات الشمال الا اذا كان في موقف متفوق فيه على غيره.

عرفنا وطنيين ووطنيات لنا يرفضون التكلم بلغتهم لانهم يحسبون انها غير شريفة. اذن، لماذا لا يسألون احد الاطباء ان يفصدهم فيستخرج دمهم القديم كله وينفض في عروقهم الدم الذي يختارونه ولو افريقياً.

نعم، ايها الناس. نعم، ايها القراء، ان الكثيرين ينكرون اصلهم ولغتهم، ويفضلون ان يكونوا اتراكا طورانيين من المغول الاجلاف متى كان لهم في التترك مصلحة.

ومن يتترك للمصلحة؟ ـ الجبان!

ولماذا يتترك وهو غير تركي؟ لانه لا يريد ان يخدم الحرية والمدنية والانسانية.

ولماذا لا يريد؟

لان نفسه تتوق الى العبودية، ولان الذل باعماق قلبه مقيم.

ان من الناس بيننا من يصير تركياً ليهرب من الواجب، ولو ان تركيا حالفت الولايات المتحدة واصبح من الواجب الخدمة العسكرية لانكر صاحبنا انه عثماني واشهد السما، والارض وملائكة النور والنار على انه تتري او تبتي او افريقي من غير المنتمين الى دولة.

لانكتب ما نكتب عبثاً ولا نحن من محبي التنقص، الا اننا ونحن من خدمة الامة التي نكتب لها نريد ان تكون خدمتنا نصوحاً.

يهمنا فوق كل شيء ان يكون المولودون في لبنان كراماً، اباة النفوس، ويهمنا كثيرا ان يكون عدد المستركين بيننا قليلا اذا كان لا بدّ من الجبانة والخيانة. ويهمنا على الاكثر ان يعلم الذين يطلبون التغمش بيننا اننا مستقلون، وان لنا استقلالاً داخلياً، واننا تحت حماية ست دول كبرى معروفة.

ما معنى الاستقلال الاداري اذا كنا عثمانيين، وما هو هذا الهزء بنا وبالانظمة والشرائع والحرية والمدنية اذا كانت حماية الدول لغواً والوثائق بها قطع اوراق.

في حالة واحدة يستطيع الجبان ان يتترك او يتألمن او يتمسى، وتلك الحالة هي ان يقول ان المانيا والنمسا وتركيا من الدول الست صاحبات الحقوق في الحماية اللبنانية فهو متشيع لهن دون فرنسا وانكلترة وايطاليا. اما روسيا فلا كلمة لاحد فيها قبل ان يبوء اليها صوابها.

فمن هو المتشيع لالمانيا والنمسا من اللبنانيين الذين لا يحبون ان ينصروا المدنية والحرية لا بدمائهم ولا باموالهم.

هذه الكلمة غير موجهة الى شخص واحد، هي موجهة الى كل لبناني بين الحدود القديمة والحديثة يتوقع التمتع بالاستقلال الشريف تحت حماية فرنسا، اما الذين لا تهمهم غير بطونهم وجيوبهم فاننا نتعالى عن اعتبارهم منا الا باجسامهم لاننا نؤمن بالوطنية والمروءة.

التحمد وحده لا يجعل الانسان وعمله محمودين.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

والدعوى مهما تكن طويلة عريضة لابدّ من تأييدها بالبرهان.

نحن اللبنانيين والمتحدرين منهم لانرضى من النار بالبصوة «البصة» ويجب ان نورث ضراماً يشتعل دون احراق ولايأكل الا المارقين العاقين.

يجب ان نتحد على امر جوهري واحد هو ان اللبنانيين والمتحدرين منهم غير اتراك ويجب ان يكونوا معتبرين مستقلين.

يجب ان تفاوض الولايات المتحدة وسفارات دول الحلفاء في هذا الامر لصون شرفنا، والمحافظة على استقلالنا الاداري، وتسهيل سفر اخواننا من هنا الى اية البلاد الجائز السفر اليها ومنها الى هنا لان الخسائر فادحة.

ويجب علينا في مقابل الرفق بنا ان نكون مخلصين للولايات المتحدة ولسائر الحلفاء.

ويجب ان نكون عالمين ان الدولة التي اهتمت من قبل بنا ولا تزال مستعدة لمساعدتنا هي فرنسا، وان يتجاوز علمنا نفوسنا الى الاخرين فيعلم العالم اجمع ان لفرنسا دون سواها حق الحماية في لبنان المستقل والذي نكب من اجل حريته ودينه واخلاصه.

ويجب ان نتطوع وان نتبرع وان نعدل عن «التفلسف» الذي اصبح سلاح كل بخيل متعنت وهياب وجل ورعديد نخيب.

ونجب ان نكون شيئا لا كل شيء، وقوماً لا من كل قوم عنده غذاء وكساء.

ـ ١٨ كانون الاول سنة ١٩١٧ ـ

انت ايها العام الجديد !

«كتبت على اثر تحرير لبنان وسوريا وانقشاع ظلمة النكبة واهوال الحرب»

سلامٌ عليك، ايها العام الجديد، لانك انقذتنا من الموت والجوع والآلام والنكبات !

سلامٌ عليك، ايها العام الصغير، لانك تستقبلنا بالسلام ونستقبلك بالمحبة !

سلامٌ عليك، ايها العام الوليد، القادم الينا بالامل السعيد !

سلامٌ عليك، ايها العام الجديد، لان املنا بك وطيد !

سلامٌ على الرجاء بالرخاء !

سلامٌ على طفل الاعوام وحفيد القرون !

سلامٌ على القلوب الدامية !

سلامٌ من الآمال الثامية !

سلامٌ من ابناء وحفداء الراقدين في القبور !

سلامٌ من الاطفال الذين هم بيننا مثلك بين السنين !

سلامٌ من الحزانى والثكالى والمسحقي القلوب !

سلامٌ من نواقيس الرووس المهشمة بالمصائب !

سلامٌ من اجراس القلوب المتصدعة بالنوائب !

سلامٌ من قضبان الضلوع المطوية على الاحزان !

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

سلامٌ من الواح الصدور الرائنة بالاشجان !

سلامٌ من الظهور المقصوفة !

سلامٌ من الافئدة المكلومة !

سلامٌ من الادمغة الذائبة !

سلامٌ من الاحلام الذاهبة !

سلامٌ من الذين يسلمون وهم احياء في الموت !

سلامٌ من الذين يحيون وهم اموات في الحياة !

سلامٌ من قلب الليل المدلهم بالويل !

سلامٌ من مطلع الصباح المبتدئ بالنواح والمنقضي بالانواح !

أليس غريباً اننا نحن، المنكوبين فوق كل امة على وجه الارض، لانشعر بالنكبة ولابالي بغير يومنا الحاضر دون امسنا الدابر.

ألقوا انظاركم على اعمدة الجرائد واقرأوا اسماء الذين ماتوا جوعاً ايام كنا نأكل حتى الشبع ـ حتى التخمة.

اقرأوا الكتب الواردة من الوطن واعتبروا اذا كانت لاتزال القلوب شاعرة حساسة.

صحيح اننا نستقبل العام الجديد بالتهليل والتعييد، الا ان في سماء القلب غمامة مثلبدة لاتدري متى تنبعث من العيون دموعاً محرقة.

وصحيح اننا نعيد، الا ان تعيدنا اشبه بتضميد الجراحات الدامية.

وصحيح اننا نسمع التسابيح والترانيم، الا اننا نشعر بالنكبة الاليمة.

ليقل غيرنا ما شاء في الاعياد، اما نحن فلانستقبلها الا لنشكر الله على نجاة البقية الباقية من الموت.

ومن غرائب الاتفاق ان التركي والالماني والذئب والضبع تحالفوا على اهلنا فكان الاولان يرهقان والاخران يفترسان.

كان التركي والالماني يفترسان قبل الموت، والذئب والضبع يفترسان بعده.

وكانت الوحوش الاربعة متفاهمة متحالفة.

وكنا ولانزال نقرأ ما يصلنا من الاخبار فنبكي، ثم نسي فنضحك.

الكلمة التي احفيناها في كتابتها عشرات الاقلام والتي سنكررها ما زلنا نشعر بالنكبة الساحقة هي : ان الابتسامة التي لانكون من الحزن لاتستحق ان نقبلها.

افرحوا، افرحوا ! ولكن لاتنسوا الباكين الثاكلين فوق القبور !

افرحوا، افرحوا ! ولكن يجب ان تذكروا العظم الرميم في الوطن القديم !

افرحوا، افرحوا ! ولتكن كل ايامكم من بعد اعوام الهول افراحاً، ولكن يجب ان تحوم افكاركم فوق تلك المقابر الواسعة ـ فوق الوطن الذي اصبح كله مقبرة !...

ـ ٣١ كانون الاول سنة ١٩١٨ ـ

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

المهاجرون العائدون

اخذ الناس يعودون الى الوطن.

اشتاقوا الى الربوع.

حنّوا الى المتخلفين.

ذكروا الكرمة والتوتة والزيتونة والجب.

تنبهت حواسهم كلها، فكلهم مفارق مشتاق.

ليسوا عائدين كما جاءوا.

ادمغتهم مصقولة الآن.

جيوبهم ملآنة.

مناظرهم مرتبة ونظيفة.

للعمل قيمة عندهم.

للمرأة مقام ارفع من مقامها الاول بكثير.

اولادهم متمدنون ومتعلمون.

مبادىء الاباء والابناء افضل مما كانت، والمولودون في امريكا متأمركون - واكثرهم على التأمرك الراقي.

هم عائدون لافادة الوطن.

هم آتون ليساعدوا على ترقية الوطن.

وكل واحد منهم انفع لذلك الوطن من الذي قال عن المهاجرين «انهم لغو» - لأن المهاجرين العائدين كدّوا وكدحوا ونجحوا دون قمار وتلاعب وادعاء اما الشاتم فقد عاش من اموال الشعب ولا يزال يعيش باموالهم ولولا عطف الشعب لما كان هو وامثاله يصلحون لشيء - لشيء مفيد.

المهاجرون العائدون يدلون السلطة على طرق ترقية البلاد، وهم الذين لولاهم لما بقي حياً الا القليل في الوطن - هم الذين احيوا المشرفين على الموت بينما كان متسلمو التبرعات والاحسانات يضنون بها على الشعب ليموت، يستأثرون بها ويجسونها على نفوسهم وانسبائهم واحبائهم غير مبالين به.

هؤلاء المهاجرون العائدون هم الجنود الحقيقيون الذين حاربوا حروب المتخلفين الذين ينظر عثاتهم ومستبدوهم شزراً اليهم قائلين: - كانوا في امريكا.

هؤلاء هم الذين التجأ اليهم «المفلسون» من الاكابر والعكابر من المفلسين وبكل وقاحة يفاخرون.

هؤلاء هم الذين يستطيعون ان يقترنوا بافضل البنات بشرط ان يبذلوا لهنّ ولاهلهن.

هؤلاء هم العائدون للمساعدة على التعمير بانواعه دون تدمير على الاطلاق - بل يدمرون معاقل الاستبداد دون ما رحمة ولا شفقة.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

المهاجرون العائدون هم من اخطر اهل الارض على المستبدين والعتاة لانهم سيثورن في الشعب شيئا من روح الحرية.

سيتمردون على كل ظلم كائناً ما كان مصدره، ومع ان اكثرهم من غير المتعلمين في المدارس ومن غير مدبري الحركات الاصلاحية والسياسية، فهم قادرون على الافادة شيئا وسيفيدون.

ليس من ينكر ان المهاجرة هي مدرسة جامعة لا بدّ لكل من فيها من تحصيل شيء مفيد، والمهاجرون كانوا من الناجحين في هذه المدرسة.

سيعود اكثرهم.

وسيهاجر الذين لا يستطيعون تحصيل مايقوم باودهم في الوطن القديم، ومن العدل ومصلحة ذلك الوطن السماح لهم بالمهاجرة ليعودوا اليه بعد اعوام كما يعود الان اخوانهم الذين كانوا مهاجرين.

السماح بالمهاجرة خير من المنع الا تحت الشروط التالية:

١ ـ التجنيد الاجباري وجعل الغاية عملية لا دموية ولا للتعهد.

٢ ـ ارغام المسئولين على الاوقاف على تحويلها الى مدارس وميتم ومستشفيات وو.. او نزعها منهم وجعلها من املاك الشعب.

٣ ـ ايجاد الاشغال المفيدة ورفع الاجور العادلة.

٤ ـ العمل بمبادىء الحرية والاخاء والمساواة فعلاً لا قولاً.

هذه هي الشروط التي تنبه الافكار لها ولاتزيد الا كلمة في هذه المجالة:

خير للبنان الكبير وسوريا ان يهاجر ابناؤهما لتحصيل المال والادب والحرية من ان يرغموا على البقاء للتذمر والشكوى من الاستبداد والفقر.

ـ ١٥ تشرين الاول سنة ١٩٢٠ ـ

X لغتنا في المهجر

اللغة العربية لاتموت في المهجر اذا كان كرسي الطفل الاول، وهو ركبة الأم، معداً لها.

وهي لاتموت اذا اعتبر المهاجرون وطنيتهم القديمة اعتبارهم لوطنيتهم الجديدة.

وهي لاتموت اذا كان لنا ولع في الفنون الجميلة.

وهي لاتموت اذا عرفنا للتاريخ قدره.

وهي لاتموت اذا استثار ابناؤهما دفائنها الثمينة واخرجوا كنوزها النفيسة.

وهي لاتموت اذا كان لها في القلوب هياكل فيها من القداسة فوق ما في المدارس كلها.

ـ ٢٥ حزيران سنة ١٩٢٢ ـ

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

عن النهضة اللبنانية

ما اجملك !

انت سيدة الجميع.

كلنا بهواك متيمون.

نقرأ الحكمة في جبينك الوضّاح.

نقتبس الهدى على نور عينيك الدعجاوين البراقتين.

نتعلم الصفح على صفحتي خديك.

آمالنا معلقة بغدائرك المتينة.

من حاجبيك حارسنا ومن جفنك بتارنا ومن لحظك سهمنا الصائب.

تزول عند نهديك تنهداتنا لاننا نقاتل العدو من حصني الشرف المنيعين.

بين شفتيك الحياة وليس هناك موت.

كلك جميلة وليس بك ذام.

ما اجملك ياعروسة لبنان تحت الارز - بين الزنابق - في ظل الوادي - على قمة الجبل - عند شعافه - حول جذوع صنوبره المكتل.

ما اجملك بين رياحين الغابة - بين كروم الدوالي والتين والتفاح والكمثرى !

ما اجملك عند ينابيع لبنان وفيها حلاوة رضابك !

ما اجمل ثوبك النقي متغضنا فوق صنين، وبلونه الناصع !

عند قدميك تنكسر امواج بحر التمدن القديم - المتوسط.

أتيك من حرير السواحل والحواشي.

حذاؤك من جلد الجو لانك هناك كنت قبل ان تهبطي لزيارتنا.

اكليلك من النجوم، ومنديلك من الغيوم الرقيقة.

في الشمس عرشك، وعلى القمر نورك المنعكس.

من مثلك بين الحسان ؟

كلنا صرعى هواك من البطاركة الى الرهابين، ومن المزدهين الى المتنسكين.

ينحني الجبار انحناء الشيخ المحدودب الظهر امامك.

كل جميلة تغار من مثلها، اما انت فمعبودة الحسان والفرسان معا.

جمالك كادبك نقيٌ طاهر.

فعليك السلام ياوحيدة لبنان - يانصيرته.

يا نهضته !

ما اجملك وما اعقلك !

ما اعلاك وما ابهاك !

من مثلك بين الغيد والعمل الفريد المجيد ؟

انت هي النهضة فسلام عليك يوم ولدت ويوم حاربت وانتصرت ويوم تبعثين الخاملين من مضاجعهم الشائنة احياء بروح الوطنية.

انت معشوقة النساء كالرجال لأن حبّك طاهر.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

انت حبيبة الفتيان والشبان لانك ممثلة حياة.

انت افضل ما عند الاحداث لان احاديثك نقية كالسماء الصافية، ولذيذة كالماء النمير، ومنعشة كالهواء المار على الروضة الغناء - كالنسيم العاذي العليل.

انت قائدة الالوف الى الحياة لا الى الحتوف. فسلام الله وطنية عليك.

انفتحي يا ابواب المسامع فيدخل كلام الاحرار اليك - انفتحي ايتها العيون على ازهار ربيع المبادي، القويمة...

- ٢٨ نيسان سنة ١٩٢١ -

ساعة بين القبور

اجهشت السماء بالبكاء يوم تذكار الموتى او يوم التزيين.

ذهب الذين لهم اعزاء في مدائن الابدية يحملون الزهرات ينضحونها بالعبرات ثم يحرقونها بالزفرات.

في شوارع المقابر ازدحم الثاكلون والثاكلات ازدحامهم في المعارض، والجبانات من المعارض. الا ان بضاعتها ابدية.

هناك نظرنا الخطيبة الناطقة.

هناك رأينا الشقيقة الناحبة.

هناك شاهدنا الصديق الواجم.

هناك ابصرنا الجار الآسف.

هناك سمعنا بكاء الوالد الحزين، ولكننا من كل ما رأينا وسمعنا لم يؤثر بنا شيء كتأثير انسحاق الوالدة.

الزوجة تبكي، وقد تتباكى.

الابنة تنتحب ثم تسلو.

اما الام فلا دمعها يجف، ولا الهها يخف، لانها ام - لانها تبكي بعضها - لانها هي نفسها دفينة التراب ببعض افلاذ كبدها.

...

لم نرَ في المقابر احداً من رجال الدين.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

لم تنظر على ابواب الابدية احدا من الذين يقولون انهم يمثلون الله.

يضع رجال الاديان علينا الضرائب منذ نولد الى ان نلحد حتى اذا لم يبق لهم مورد يدر عليهم المال ينبذوننا كأننا لم نكن منهم شيئا.

يذهب رئيس الجمهورية الى مقابر الجيش.

يذهب القائد الى مقابر الجنود.

اما نحن «ابناء رجال الدين الروحيون» فلا يذهب احد هؤلاء الاباء الى المقابر من اجل موتانا ولا يرفع الى السماء صلاة او يلقي على مسامع الحزان كلمة.

...

كلما عنت لنا خاطرة جديدة وبسطناها للقراء وكان فيها ما يقلق راحة احد «اصحاب الحقوق الالهية» قام هؤلاء وقعدوا وزعموا اننا «نفتح عيون الناس» والزعم صحيح، وهل لغير تفتيح الابصار وجدت الصحافة.

من ذلك التفتيح ما يلي:

ليس للوطن القديم اعياد وطنية يشترك فيها ابناؤه، فان الاعياد في ذلك الوطن العزيز من تذكارات الانقسامات لا من وسائل التوفيق والتوحيد حتى ان الحكومة اللبنانية نفسها اهملت جل اهم ايام الوطن من الاعياد.

اين يوم الاستقلال؟

اين يوم الموتى ومنهم الشهداء؟

اين يوم العمل الذي هو شعار مجد الانسان؟

لا شيء من ذلك.

نعيد للقديس «شليطا» ـ مثلاً ـ لانه شفيع الماشية، نعيد للقديس دوميط من اجل العيون، نعيد للقديس عبدا «المشمر» ونجعله اخصائيا في علم التوليد، ونعيد ونعيد... ولكننا لا نقيم لما اشرنا اليه من ايام الاستقلال للاموات الذين ينهم ابطال ولا للعمل المفيد يوماً، وقد اخذ الناس يهتمون بواجباتهم ويقيمون للموتى يوما. وبيتنا من لا يزور قبر أمه.

فيا شهداء الوطن، يا ضحايا الجشع والنكبة، سيكون لكم يوم نذكركم فيه كما يجب ان يذكر الشهداء.

...

جميل هو اليوم الذي يكون فيه للموتى الذكر الطيب سواء كان ذلك الذكر لموت طبيعي او لشهادة او لنكبة او لجوع، وجميل وقوع هذا اليوم في هذا الفصل من السنة حيث تثوب الطبيعة بازهارها وطيوبها عن الشهاوين المقصرين.

سيكون لشهداء الحرية ولشهداء الجوع ولشهداء القضية ـ في لبنان خاصة ـ يوم ينقطع الناس فيه عن العمل ليذهبوا الى المقابر، بل ليذهبوا الى حيث نصبت المشانق والى حيث كان يجتمع الناس ليطلبوا طعاماً فيموتون اما على الطرقات واما في الغاب والاودية

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

وحولهم الديور والقصور.

لايقوم على رقة الشعور الوطني شاهد قبل ان يجعل للموتى يوم شرعي، ولكننا لانرى هذا اليوم قبل ان يمحق الاستبداد لان تعيينه يكون شاهدا على جرائم المستبدين، وهم لايزالون كما كانوا ولايزال نفوذهم كبيرا.

...

على العشب الاخضر وبين الجنائن الصغيرة - بين القبور التي كان كل واحدٍ منها جنينة - وجدنا الناس يغرسون عواطفهم بالازهار التي يغرسونها فوق القبور.

وعلى العشب الاخضر رأينا الرجال والنساء راكعين يصلون وايديهم مرفوعة الى السماء.

الى السماء ارتفعت الايدي - ارتفعت العواطف - ارتفعت الصلوات وكانت ارواح الذين نحبهم قد ارتفعت من قبل.

رحم الله الموتى الذين يحيون بنا والذين منهم حياتنا الاولى في هذا العالم.

هم السابقون ونحن اللاحقون، وكلنا من التراب والى التراب نعود.

- ٣١ اذار سنة ١٩٢١ -

الحقيقة الناصعة

تحت راية الخطوط والنجوم مقامنا.

تحت سماء الحرية والوطنية نزولنا.

بين اعطاف العدالة والنبالة ملجأنا.

فوق الارض المقول عنها انها للاحرار تبنى فيها دورهم وتحوم فوقها آمالهم نسرح ونمرح.

الولايات المتحدة هي منزل الشجعان والمجتهدين والصادقين، والخشاش والخنافس التي تنتشر دوائرها الخبيثة تكون بين ارجل هؤلاء وتحتها.

وما يقال عن الولايات المتحدة يقال عن كل بلاد راقية فيها من ابناء الوطن نزالات وطوارئ.

كانت ايام يرضى فيها المهاجر بالدولار يجعله الى الدولار، ولكن تلك الايام قد انقضت واصبح اكثر المهاجرين يفتشون عن كنوز الادب كما يبحثون عن كنوز الذهب.

يريد الراقون من المهاجرين ان تكون لهم مزايا يفاخرون العالم بها وهم نائلوها.

المهاجرون - الاعتاهم - يرتفعون بافكارهم الى سماء الحرية دنواً من مصدرها السامي.

المهاجرون - الاطفالهم - يبذرون التقاليد العقيمة يستبدلونها

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

باجمل واكمل ما في العصريات من الفوائد والمحامد.

المهاجرون - الا عيدهم - يتجعون مراتع للاستقلال والعدالة والمساواة والنبالة واكثرهم متمتع بها الان.

ليسقط الاستبداد وجنوده !

ليسقط اللوم وعبيده !

ولترتفع الحرية والمساواة والعدالة حتى تصير من اجل حجارة تاج المدنية النفيس.

من هو الواهم انا عائدون الى جاهلية القرون الوسطى ؟

من هو الزاعم ان الشعب ايقار تعامل بالاحتقار ؟

من هو الجبان الرعديد الذي يدعو الناس الى مقاومة الحرية في بلاد الحرية وتحت راية الحرية وبين ظهراني امة المروءة والحرية ؟

بينا فئة اتخذها العتاة ركوبة كانت لهم ذلولا، ورضيت بالذل طعاما، وباللوم شرابا، وبالتضليل عملا، وبالرواذة ردا، وبالخسة سياسة، وهي توهم ان لها من الشعب نصيرا، والشعب يأبى ان يظل خاضعا لغير العدل، وموتمرا بغير الحقائق التي لا مخارق فيها.

مظلوم هو الشعب الذي يرهقه الافاقون اللفاقون الذين لا يتكلمون الا عن طريق الجيوب والبطون.

مظلوم هو الشعب الذي لا يزال يحسب ان الخضوع للمستبدين ولصانعهم واجب.

- ٢١ تموز سنة ١٩٢١ -

بين الاشجار والازهار

خرجنا من مكتبنا عند اصيل السبت الماضي لقضاء بعض الواجبات الوطنية على مسافة سبعين ميلاً من نيويورك، ولم نكد نخرج من المدينة حتى شعرنا كأننا في عالم جديد.

اجتزنا حدود مدينة نيويورك الى جنات من البساتين والغابات، بل ابتدأت هذه المناظر الجميلة تقيد نظرنا في ضواحي المدينة.

سكنت الحركة كثيراً خارج المدينة وكنا نشعر بهدوء غريب.

دخل الهواء الى رئتينا اللتين كدنا نشعر «بجوعها» اليه.

اتسعت بسط العشب الاخضر وكثيراً ما كانت الازهار الجميلة تحوك الوانها البديعة.

انتشرت روائح الطيوب في كل مكان.

اهتزت قدود الاشجار كما تهتز قدود الجسان.

واخذت الاشجار الشمرة تطأطئ رؤوسها انضاعاً لان كل ما فيه جوهر مادي او ادبي منضع.

تمنا حنين الحب من خفيف الاوراق.

ملأت موسيقى العصافير بين تغريد وزقزقة تمنا.

لم يعد نشعر بما يسد الانف من الغبار.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

لم نعد نشعر بالارتجاجات التي تسببها حركة نيويورك الدائمة على ارضها وفوقها وتحتها.

نظرنا الى بعض الحقول التي لاتزال اخاديد المحاريث جديدة فيها وتأملنا حبل الطبيعة بالخيرات.

سمعنا أنين الطيارات ورفعنا اليها النظر فاذا هي تزاحم الطير في فضائه.

والانهار ـ السواقي والانهار ـ الجداول والينابيع كلها غزيرة في الارض التي كنا نجتازها. ولم يكن عارياً الا بعض الصخور التي تحيط بها نضارة الكلأ والشجر والزهر.

والبيوت بين كبيرة وصغيرة ودور وقصور مبثوثة هنا وهناك، والناس في اكثرها ينتون او ينقرون على الاوتار ومنهم من يلعب حولها والبعض جلوس اما على بسط الطبيعة واما على كراسيها.

تأملنا كل ذلك ودبَّت فينا حياة جديدة فقلنا اننا سنكتب كلمة ندعو فيها القراء الى الخروج من المدن والانتشار حولها بين الازهار والأشجار والانهار التي تجلو الافكار.

فاذهبوا الى خارج المدينة وعودوا ممتلئين نشاطا وقوة وهمة.

اذهبوا الى حيث الهواء نقي والماء سلسبيل ووجه الطبيعة جميل ـ اجمل من كل جمال اصطناعي.

...

ودارت الارض بنا كما كنا ندور عليها ولم يطل الوقت حتى

صرنا في الظل الكثيف وارخى الظلام سدوله.

طلعت النجوم متلألئة باهرة.

ليس لنا مثل هذا الجمال في المدينة، لا لأن نور الكواكب والنجوم يضؤل، بل لانه يحتقر «التقليد» فينسحب من امامه بائنة وكبرياء كما يعرض الرجل الحقيقي عن الرجل «التقليدي» وكما تزدري الحسناء النسيجة المتجملة.

وهبَّت نسمات لطيفة من تنهدات الطبيعة متكيفات متلطفات.

فما اجمل الحقول!

ما احلى السكينة للنفس!

ما اقرب الفكر الى مركزه السامي حيث يقل الاضطراب!

فاذهبوا ايها المتعبون الى الغاب.

اذهبوا الى الينبوع المترقرق والنهر او الزرنوق المنساب.

اذهبوا الى حيث تكون المروحة غصناً من الشجر والمقعد حجراً او جذع شجرة.

انقعوا عطشكم بالماء النمير.

«اغسلوا» رئاتكم بالهواء النقي.

«استحموا» بحرارة الشمس.

افترشوا الغبراء والتحفوا السماء في القيلولة او عند التعب.

وعودوا بعد ذلك الى اشغالكم بنشاط وعزم.

بين الذين يرتادون اللذات من يرتاد «تقصير العمر» والداء

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

والغناء وبينهم من يرتادها في كل ما هو جميل ونقي.

الماء يأجن بالمكث.

والهواء يفسد غير متغير.

والفكر يعتم منحصراً.

والجسم تهن قوته في المكان الضيق.

والعمل لا يجود الا حيث يكون التجديد.

فاخرجوا من البيوت والمعامل والاسواق والمدن الى فضاء الله الفسيح حيث يفيض الله الجمال الطبيعي في كل شيء.

واذا وجدتم عشرة طيبة ونظيفة فاغتنموها.

- ١٣ حزيران سنة ١٩٢١ -

طفل امة

من خواطر منشىء الهدى الاخيرة التي جرى بها قلمه في اثناء رحلته الى باريس حيث قضى نحبه مدافعا عن حقوق لبنان

ما هي الحياة التي ينبثق منها مثلها وهي مجهولة المصدر؟

ما هي حياة النبات؟ اهي البزرة والنواة وعكيس الشجرة؟

ما هي حياة الانسان وسائر الحيوان اهي نطفة لا افضل؟

ما هي حياة هذه الكرة التي اصيب اناسها بدوار الجهل من دورتها؟

ما هي هذه الحياة التي قد يكون طويلها قصيرا وقصيرها طويلاً؟

ما هي هذه التي سواسية، في آخرها، الحكماء والحمقى، لانهم يعودون الى التراب الذي اخذوا منه، الا اذا كانوا قد هبطوا من عل ولم يوجد للان من عرف كيف.

جاء آدم وحواء وماتا

جاء موسى ومات

جاء عيسى ومات

جاء محمد ومات

وجاء بينهم «آلهة!» وغزاة وجبابرة ومدوخون وعادوا الى اللحود دون ان تنقذهم النقود والجنود ودون ان يفيد مياسات القدود ووردیات الخدود جمال ودلال وخشمات رجال.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

ما هي هذه البارقة بين ظلمة الاحشاء وظلمة القبر؟

ما هي هذه الفترة بين ابديتين مجهولتين؟

اهي استعداد لحياة اخرى اجمل واكمل وافضل؟

اهي مثل هذه الباخرة التي انا على متنها ركوبة الراكب بين عبرين يذهب من احدهما ثم يعود اليه وقد لايعود

لا ارى في الحياة الا ثلاثة: الايمان والرجاء والمحبة ولايهمني من هذه الحِكَم الاها.

ان اروع واقطع ما في الحياة عندي ان تستحيل الى مجازفات ومغامرات الا للاختبار والاعتبار وانتهاز المفاجآت.

الحياة طفولة في محيط تقي، وشباب في اعتدال لبي، وكهال في مطمع سني، وهدف الى حكمة الشيخوخة بالحلم والعلم والمطلب القصي.

∴

من لوازم الحياة الامل والعمل، والحرية والسعادة والاستقلال، وفي مقدمة مطالبها الزواج.

دعوا المتبتلين في غرامهم الروحي، ونسيبهم الملائكي، وتشبيهم الجمالي - دعوهم تقضُّ مضاجعهم وهم على الفرش الوثيرة - ولا تسألوهم لماذا يقاومون الشرائع الطبيعية التي منها الزواج، فلهم حريتهم، ولا اتهمهم بالاستعاضة عن هذا التقييد الذي يدعوه الحيوانيون حيواناً وهو اسمى ما للروح من المطالب، واذا كان احد

من المتظاهرين بالهزء من قرن روح بروح يجمع قلب الى قلب فاسألوا عن الشوائع عن غرامه وهيامه واتركوه، وقلّ الناجون من التجربة.

الزواج هو قدس اقداس الانسانية وصائن مستقبلها.

هو اتحاد روحين قبل اتحاد جسدين، ولايكون فاسداً الا اذا افسدته المآرب والمكاسب.

هو مصدر السعادة والتعاسة، بحسب استعداد الزوجين.

هو منبت الفضيلة والرذيلة، والمحبة والبغض.

هو ان يكون البيت به فردوساً، بتبادل التفاهم.

هو ان يكون الزوج قصراً فخماً لتكون الزوجة جماله بالذوق والفنّ واللطف والعطف.

هو ان يكون الرجل امينا معيناً، والامرأة نقية طاهرة، بروحها وجسدها، وكلامها وحركاتها.

هو في الرجل الكدّ والكدح والسعي الشريف وفي المرأة الحكمة والاقتصاد والحشمة والنظام و«خلق» الفطنة لتكون سماء البيت صافية تتلألأ فيها نجوم الاخلاق الطيبة فينشأ الاولاد تحت تأثير جميل لسعادتهم وسعادة الانسانية.

والزوجة هي أمّ النسل - أمّ العيلة - أمّ الشاب والشابة - أمّ الرئيس والعاهل والحكيم والجاهل - أمّ القديس والشرير - هي اكثر البيت اما بفضلها واما بجهلها. ومباركة هي العيلة التي

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

للزوجة فيها ذراعان لزوجها واولادها دون سواهم وصدر لايرتفع ولاينخفض الا لحبهم وعينان لاتنيران الا قلوبهم ـ الأم هي الأمة.

∴

ولد شارل ليندبرغ من ابوين متهذبين متعاهدين على الامانة والصيانة وهذبا ابنهما تهذيباً نظيفا ـ وأمه معلمة مدرسة ـ فنشأ الفتى شاباً له مطامع ووطنية ورجولة ملوءها الشجاعة والاخلاص، وكان عهد الطيران في اوله فغامر الفرنساويون واستشهد بطلان منهم والطريق الجوي من اوربا الى آمريكا اهول واصعب مما هي من هذه الى تلك.

ورأى «لندي» ان للمجد العلمي طريقاً فطار عليه وحيداً من الولايات المتحدة الى باريس وهو لايحمل معه الا قطعاً من الخبز «والهام» فوصل مطار «بورجه» واعظم العالم اقدامه فدعي الطيار «المجنح» و «النسر الوحيد» ولايزال من اشهر واقدر ابطال الجو.

وطار «لندي» الى كثير من البلدان «مبشراً بحسن نيات ومقاصد الولايات المتحدة» فغمره المزورون بالهدايا و «طارت» حوله قلوب العذارى والحسان وكان قلبه كأنه من حديد طيارته البارد.

دخل الشاب في عالم الشهرة التي لم تكن في هذا العصر لغير فوش وجوفر من القادة الظافرين ولكنه لم يسكر بخمرتها.

كانت النساء عنده امهات واخوات وصديقات طاهرات لانه هكذا اراد.

وكان مورو سفير الولايات المتحدة الى بلاد الكنوز التاريخية والمعدنية التي لاتزال دفينة وكان من واجب لندي ان يحل على ممثلي بلاده ضيفاً وقد فعل ذلك في مكسيكو.

وكانت الفتاة آنّ احدى كريمتي السفير تنتظر وصول الطيار المجنّح وفي قلبها نار لاتدري كيف تأرثت.

وصل النسر البشري ـ وصل لندي ـ كان ترحيب فطعام فرقاد فاستفاقة ـ استفاقة على عوامل قلبية متبادلة ويقظة حب كان هاجعاً هجوع الطهارة فتنبه على غير انتظار.

لندي طويل القامة جبار الجسم عاش في الجو طويلاً ورافق الشمس طويلاً فهو كالهواء الخالي من كل هباءة.

وآنّ ـ آنّ التي تشبه اليمامة وقعت على جانح النسر ووقعت في هواه فصادف حبها قلباً خاليا فتملك.

من من الرجال لايحب العفاف المقرون باللطف ؟

ومع آنّ ملايين الدولارات.

وابو آنّ عصامي كان مع مورغان كما كان كوزان مع فورد فلم يعترض. وسرّت أمّ الفتاة الفاضلة.

وطار لندي مرة بعد عقد الخطبة من مكسيكو الى نيويورك واضطر الى الهبوط بطيارته لشأن نبيل له فنفث الثعابين السموم

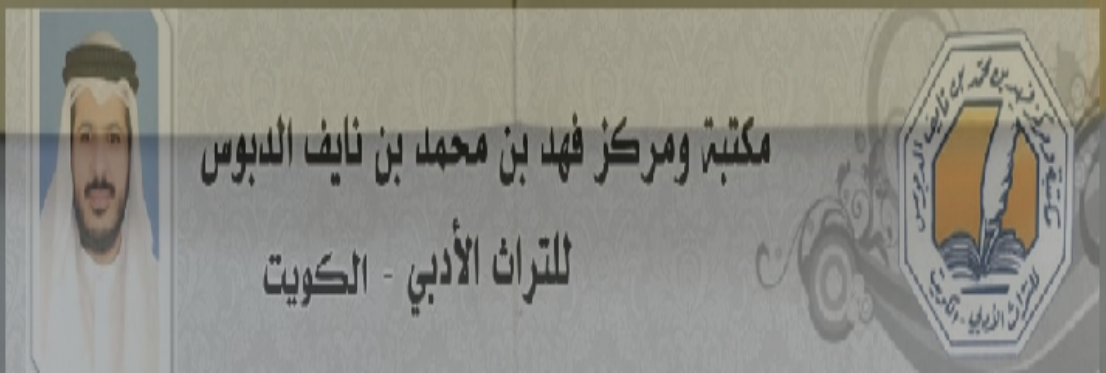
مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

واراد وا ان يفهموا آنّ ان خطيبها «غير امين» فاحترقهم- احترقهم كثيراً - قوتل ثمانين وثعالب البشرية !

⁂

اقترن الحبيبان

اقترنا فغضب الدهر لسعادتهما واحسّا بنقمته فاجبا الانفراد في دارٍ يبنيانها بعيدة عن كل ضوضاء واضطراب وقد بناها على نشز من الارض في ضواحي هوبوال من ولاية نيوجرزي، ومعناه «الرجاء الصالح» او «الأمل الحسن».

وولد للزوجين المحبين - العاشقين - ولدٌ فكان كوكباً في سماء قلب الأمّ واملاً بعيداً في مطامع الاب النبيل المبدأ.

⁂

من يعرف الاسرار الخفية في حياة الانسان ؟

سافر الزوجان الحبيبان حول الارض في طيارتهما وكانا يحسنان الى المساكين وقد اشرفا على الهلاك في الصين بسبب رحمتهما.

ومات والد آنّ الذي كان يرجح الكثيرون انتخابه لرئاسة الجمهورية وهي في الصين فبكته بكاء مرّاً وبكاه قرينها معها وحرم الاثنان حتى تعزية ثرى زهرة على قبر الفقيد الكبير.

هكذا بدأت المصائب ولكنها كانت لاتذكر عند المصيبة الكبرى الهائلة.

خطف الاشقياء طفل لندي وحيد والديه !

⁂

هذا هو الاسبوع الثالث لخطف الخاطفين الطفل الذي يعتبره الامريكيون «طفل الأمة» بالنسبة الى خدمات الوالد وحميه العمومية هذا كسفير خبير اصلح ما عجز عن اصلاحه في المكسيك وذاك، كسفير قدير، اظهر للعالم ان للولايات المتحدة عبارات جوية لايهاجمها مهاجم عاقل، وكان روزفلت قد سيّر الاسطول الامريكي الى كل ماء من امواه العالم وقصده الاول انذار اليابان التي لاتغفر له هذا القمع من نخوتها بعد ان كانت قد ظنت انها دولة العالم الكبرى على اثر انتصاريها الصيني والروسي.

هذا هو الاسبوع الثالث ينقضي على الخطف ولايعلم الا الله اين هو الطفل المخطوف.

كنت على متن الاوليمبيك اقرأ كل كلمة من الاخبار المنشورة في جريدة الباخرة اليومية وفي النشرات المعلقة في مكانها ومنذ ١٨ آذار الى ٢٤ منه وهو اليوم الذي اكتب فيه هذه الخاطرة لم يوقف للولد على اثر.

قيل ان الخاطفين طلبوا خمسين الف دولار فاعلن الوالدان انهما مستعدان لدفعها دون سوال او تعريض احد الخاطفين لاقل خطر.

نزل الوالدان عند ارادة الخاطفين وسألاهم في الجرائد وعلى المواج ان يشترطوا ما شاؤوا ولايكون على شروطهم اعتراض.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

ان كل ما يهم الوالدين ان يعاد وحيدهما اليهما.

∴

الولد المخطوف هو ثمرة الحب الاول، فهو عزيز - هو اعز حب يعرفه الانسان ولاسيما المرأة.

زعموا ان الوالدة صبرت وتجلدت ولكنهم لم يدرسوا غير ظاهر وجهها.

اذا احببتم ان تعرفوا الحقيقة فانظروا في عيني أم الطفل!

انصتوا الى نبضات قلبها!

اسمعوا تنهداتها كأنها الحشرجات!

انتم لاتستطيعون ان تمسحوا دموعها لانها تبكي بدم القلب.

اللآلئ التي تدعوها في عيني المرأة الباكية او المتباكية عبرات قد تتفذها احياناً كما تنفذ العبارات من الغرق اما دموع أم لدي الأم الفاضلة، والزوجة الامينة، فقطرات الغيم الباكي على الزهرة المقطوعة التي لاتحييها الامواه لا الهاطلة من السماء ولا الجارية على الارض.

اعطوني وحيدي تقول أم بين انات الاحزان.

قد ارزق اولاداً كلهم افضل من بكري ولكنني اريد باكورة حبي التي قدمتها الى قريني الحبيب.

ردوا الي وحيدي!

اين انت يا شارلي!

هل تحجرت القلوب؟

ماذا يفيدني ان تكون الولايات المتحدة كلها شاعرة معي وانا محرومة لمس الفلذة المقطوعة من كبدي.

لا اريد ان اقول كلمة خشنة في خاطفي ولدي لئلا يعذبوه وهو ملاك لا ذنب له.

ليأخذوني مربية له فاخدمه واخدمهم.

ليأخذوا قريني الامين الحبيب فانه يضحي بكل شيء دون مروءته في سبيل مرضاتهم.

خذوني الى طفلي او ارجعوا طفلي الي.

البيت الابيض اهتز للجريمة واظهر رئيس الأمة شعوره مع الوالدين.

حكومة الولايات المتحدة اعتبرت الجريمة مناهدة وبثت العيون والارصاد لمعرفة الجناة ومعاقبتهم.

الصحافة قدمت الموضوع على كل موضوع آخر ووضعت الجوائز لمكتشفي مخابئ الاشقياء.

الآباء - الامهات - الاخوة والاخوات كلهم اعتبروا الخطف كأنه لنسيب او حبيب.

وبعض زعماء المجرمين بل زعيم زعمائهم آل كابونه السجين الآن في شيكاغو عرض على الحكومة المساعدة اذا هي اطلقت سراحه بأخذ اخيه رهينة وبتقديم مئتي الف دولار كفالة ليفتش عن الجناة.

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

هل للعربية وعشيقها يد في الخطف ؟

هل الخطف لابتزاز المال او للانتقام ؟

هل يظهر الطفل بعد ان يهدأ الاضطراب ؟

لا ادري ! ومن يستطيع كشف الاسرار ؟

ومن اغرب ما حدث لي قبل ركوبي الباخرة ان «رائية» من بنات الوطن خاطبتني بالهاتف وسألتني عما اذا كان عليها خطر اذا هي كشفت سرّ الخطف فقلت لها ان الذين يعرفون الغيب للناس «يجب» ان يعرفوه لانفسهم.

واعتقادي الخاص هو ان بوعزة الجرائم في المنع لان حكومة الاشقياء والمجرمين هي ذات اليد العالية الآن.

المنع هو ابن الجهل والتعصب والاستبداد باسم الحرية والمعرفة والعدالة وخيره عشرة في المئة وشرّه تسعون .

انا مضطر الى كتابة البطاقات الكثيرة الى اصدقائي والى كتابة الرسائل التجارية الى الادارة وقد يكون ما ارسله من الباخرة فوق المئة بطاقة والخمس عشرة رسالة ونحو سبع خاطرات فاعتذر انني لم اشبع الموضوع بحثاً وارجو ان يكون قد وجد الطفل عند نشر هذه الخاطرة فتضيف الادارة اليها :

وقد وجد طفل الأمة.

نعوم مكرزل

عن متن الاولمبيك في ٢٤ آذار سنة ١٩٣٢

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

faldabos.org

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت